

فن الكعب موسم النوى

تأليف
أحمد يوسف أحمد

الطبعة الأولى
ابريل ١٩٦٢

الناشر دار النهضة العربية ٣٢ شارع عبد الحليم ت ٧٦٢٣١

الناشئ

كواكب تغيب . وكواكب تلوح مواكب تجي . ومواكب تروح
فيا دمع قل لي على ميب نسيل ويا قلب قل لي على مين تنوح
دموعنا الى مالية حنايا الجفون عصارة قلوب شضبتها الجروح

المرحوم
محمود رمزي نظم

الناشيء



فنان الشعب
« محمود يرم التونسي »
يدون روايته

المحتوى

٢	•	•	•	•	•	•	محمود بيرم التونسي
٨	•	•	•	•	•	•	قصة حياة بيرم
١٧	•	•	•	•	•	•	بيرم يحدثنا عن نفسه
٢١	•	•	•	•	•	•	من هو بيرم بين الأدباء ؟
٢٧	•	•	•	•	•	•	أسلوب بيرم
٣٣	•	•	•	•	•	•	بيرم واللغة العامية
٣٧	•	•	•	•	•	•	بيرم المصلح الاجتماعى
٦٢	•	•	•	•	•	•	فلسفة بيرم
٧٣	•	•	•	•	•	•	بيرم وأ أسرة محمد على
٨٠	•	•	•	•	•	•	بيرم فى المنفى
٩٨	•	•	•	•	•	•	إباء بيرم
١٠٥	•	•	•	•	•	•	الحنين إلى الوطن
١١٣	•	•	•	•	•	•	بيرم والاحتلال البريطانى
١١٧	•	•	•	•	•	•	بيرم والسياسة الداخلية
١٣٢	•	•	•	•	•	•	بيرم والسياسة الخارجية
١٤٠	•	•	•	•	•	•	بيرم والثورة
١٤٨	•	•	•	•	•	•	بيرم الشاعر
١٥٩	•	•	•	•	•	•	بيرم الزجال
١٩٢	•	•	•	•	•	•	بيرم الناثر
١٩٦	•	•	•	•	•	•	بيرم الصحفي

٢٠٨	بيرم ورجال الدين
٢١٦	بيرم والمرأة
٢٢٧	بيرم والعمال
٢٢٩	بيرم والفلاح
٢٣١	بيرم والصناعات الشعبية
٢٣٢	الإعلان بالزجل
٢٣٣	تقليد بيرم لشعراء العرب القدامى
٢٣٨	تقليد بيرم لأسلوب شعراء عصره
٢٤٣	تقليد بيرم لأسلوب كتاب عصره
٢٤٥	مداعبات بيرم للشعراء
٢٥١	بيرم في الرثاء
٢٥٥	على الأرغول
٢٥٩	على الربابة
٢٦٤	فوازي ررمضان
٢٦٨	المقامات الشعبية
٢٧٤	السيد ومراته في باريس
٢٨٤	بيرم القصصى
٢٩٠	محاكاة اللهجات المختلفة
٢٩٢	بيرم والأغاني
٣٩٢	الصور المختلفة في أقوال بيرم
٣٣٠	سجل بإنتاج بيرم في حياته الشعبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ليس ما يحويه هذا الكتاب تسجيلاً لكل إنتاج فنان الشعب « محمود
يبرم التونسي » ، ولكنما هو بعض ألوان مما نظمته أو كتبه ، في شتى فنون الأدب .

وأعتقد أنه من المتعذر أن تجمع آثاره كلها في كتاب . بل إنه لمن العسير
حقاً حصر جميع ما خطه هذا الأديب الفنان مما قرأناه وما لم نقرأ . إذ أب
ما وقعت عليه أعيننا من إنتاجه يبلغ آلاف القطع ، وما خطه مما شئت الأحداث
بعضه ، وأخفى الحقودون معالم بعضه الآخر ، غير ما أضاعه الإهمال ، يزيد على
ذلك بكثير

وأعمال « يبرم » ، في مدى صلته بالأدب ، وهي مدة نصف قرن كامل ،
أشبه بالعين الثرة التي لا يبطل منها نبع الماء .

الناشئ



كالجبرتي كان « بيم » يطوف الأحياء ليدون الأحداث .
والمصور السينمائي أو التشكيلي كان يسجل في لوحات أدبه حياة الشعب .

محمود يرم التونسي

عندما نذكر حياة المرحوم « محمود يرم التونسي » التي عاشها للأدب ،
تذكر في بعض معالمها المؤرخ العظيم « عبد الرحمن الجبرتي » الذي كان يطوف
بأحياء القاهرة على ظهر بفلته التي أرقها من طول تجواله ، وهو يدور بها بين
الحواري والأزقة ليلتقط الأخبار والأنباء من هنا ومن هناك ، ثم يدون هذه
الأخبار يوماً بيوم في مذكراته التي أصبحت من بعده أعظم سجل لأحداث العصر
الذي عاش فيه . فهكذا كان « يرم » يتنقل بين مختلف الأوساط ، ينقد حالات
المجتمع ومشاكله ، وما يعيش فيه الشعب من مساوئ وعجائب .

ونتخيل فيها أيضاً المصور « الفوتوغرافي » ، أو « السينمائي » ، وهو يحمل
« الكاميرا » ، يصبو عدستها نحو المنظر الذي يهجه ، والموضوع الذي يستهويه .
فهكذا كان « يرم » أيضاً يلقي بنظره اللامح على المشاهد التي حوله ، ليعكس
علينا صوراً من انطباعاته

ثم نتصور فيها كذلك الفنان الذي يسجل بفرشاته المشاهد التي تثيره ، والتي
يروق له التعبير عنها ، بدافع من أحاسيسه .

فهكذا كان « يرم » يفعل في لوحاته الجميلة التي أخرجها لنا في بدائع
شعره وزجله .

نلخص كل أولئك في « يرم »

فقد كان « يرم » حقاً هو ذلك المؤرخ ، وذلك الفوتوغرافي ، وذلك
الفنان التشكيلي

وضل من يحسبه ذلك الرجال الذي كان يصوغ الزجل ليطرب الناس ،

أو ذلك الشاعر والزجال الذي كان ينظم للأغاني ، بقدر ما استمعوا إلى ما غناه
ولحنه له المطربون والملحنون . أو هو ذلك الذي برع في كتابة الأدب العامي ،
بما كان ينشره على لغة العامة من موضوعات شعبية .

كان أكثر من ذلك .

كان الجوال في جميع ميادين الأدب .

في الشعر ... والزجل ... والنثر ... والقصة ... والنقد ...

كان بمفرده خلاصة لعبقريّة جيل بأمله .

ولقد غذى « بيرم » المكتبة العربية في جميع أنواع فروع الأدب بأروع
ما يمكن أن يخرج فرد بذاته . وأطرب الشعب بأنغام عذبة من لحاته ، في كل
غرض وغاية ، كما عالج شتى الموضوعات التي تهتم الشعب في المجتمع الذي ينشده له ،
ويسعى إلى تحقيقه ، محاربه للمساويء والأخطاء التي تتغلغل في كيان الشعب
وتهدم من قيمه .

فهو الشاعر ، والزجال ، والناقد ، والمصلح الكبير ، الذي يهدف ، جل
ما يهدف ، إلى رقي المجتمع الذي يعيش فيه .

مزيج من كل هؤلاء . تجتمع في إنتاجه جميع الفنون الرئيسية الكبرى
من الأدب .

• • •

كنت تراه هادئاً ، وديعاً ، صافي النفس ، نقي السريرة .

وكنت لا تلحظ للكبرياء أو الغرور أثراً في نفسه ، في الوقت الذي كان فيه
غيره من النكرات يملأون الجو من حولهم ضجيجاً .

كان لا يجاريه في صياغة الشعر ، ونظم الزجل ، وإنتاج الأدب الشعبي ،
أحد . ولا يبلغ شاعر ، أو زجال ، كفايته وبراعته ، في دقة الوصف ، والتصوير ،

وفى التعبير عن حياة المجتمع ، بمثل ما أوتي من البلاغة ، واللباقة ، والمقدرة . ومع ذلك كان لا يفتخر بشعره أو زجله . بل إنه لا يحفظ منه شيئاً ، ولا يذكّر شيئاً . بينما يتدفق منه الشعر والزجل تدفقاً ، حتى أعجز الجلمعين حصر ما قال .

وكان من أدبه ، كذلك ، أن يتوارى عن الناس قدر ما يستطيع . ويبلغ به التواضع أن يؤثر السكوت والانزواء . فكنت لا تراه متصدراً جماعة ، أو متعالياً في اجتماع .

وكان خفيف الروح فى الشعر الذى يصوغه ، أو الزجل الذى يتظمه . وتبلغ خفة روحه فى تعبيراته حد الإعجاز

* * *

وقد آتاه الله حساً مرهفاً ، وقرينة وقادة ، وذمناً لماحاً . فإذا رأى ما يثيره عبر عنه بواقعية لا تخطر على بال .

وكان يطلق لخياله العنان فى تصوير المراثيات أو الأحداث التى تمر به . فأتى بيانه صوراً رائعة ، وكأنه فنان واقى من العباقرة .

أنيس هو ذلك المصور الفنان الذى يكشف لنا عن وسيلته فى التعبير عن المراثيات ، وعن طريقة إخراجه لموضوعاته ، حين يدخل المعرض الزراعى الصناعى ، فلا يخطو بقدمه إلا ليضع لتوه اللمسات فى الصورة بكل تفاصيلها ؟

« حالى أنا له العجب . واتعجبوا ياناس

• تنفرج الناس على المعرض وأنا ع الناس »

وحين يصور ، مثلاً ، ذلك العامل المسكين « عم ابراهيم » وهو عائد حزينا

من عمله ، محالته المعنوية ، وشكله ، وهمه :

« عم ابراهيم راجع حزين من شغله

ماشى على العكاز ، ورابط رجله »

« شابل رغيغه تحت باطه وفجله

يارب أطف بالفلاية ، وبيه »

وإذ يعلم عن مطرب فقير ، ترك ولده مريضاً ، وجلس على مقهى انتظاراً لصديق
يقرضه ثمن الدواء . فيطول به الانتظار ، ثم ينمى إليه ولده الوحيد ، فى الوقت
الذى تسوق فيه الأقدار رجلاً يساومه على إحياء ليلة طرب ، وينتقده جنهين .
فيأخذها ، ويذهب إلى بيته ليجهز ولده للقبر ، ثم يعود بعد دفنه ليحيى
حفلة الغناء !! .

فيلخص « بيرم » تلك المتناقضات بهذا التصوير الرائع ، فى قطعة من الزجل :

آه عالى قاعد قدامكم	له نفس ملوك
وشكله ظاهر لعيونكم	أول صموك

المصر قاعد عا القهوة	مش لاقى القوت
جاله الى قال له على سهوة	إبنك ييموت

بين المشا كده والمغرب	راجل جزار
داخل يفتش على مطرب	ولقاه فى البار

طلع على التخت وفه	باسم فرحان
وكل ما ينوح من همه	يقولوا له كان

فى سهوته الناس آهنا	على لحن نواه
وحقهم كانوا يغنىوا	وهو يقول آه

قصة حياة يرم

فى يوم مجهول التاريخ ، من مطلع القرن التاسع عشر ، هاجر رجل من تونس ، يحمل فى صدره نقمة وكرها لأبناء عشيرته ، نتيجة لضياع حقه فى ميراث والديه ، الذى اغتصبته مطامع الأهل والاخوة .

نرح هذا الرجل إلى ميناء الاسكندرية ، ليستقر فيها ، ويتخذها وطناً .

وكانت أم هذا الرجل جارية من جوارى الأتراك .

وفى الاسكندرية تزوج من مصرية أنجب منه ثلاثة أولاد

يعيننا منهم واحد هو « محمد مصطفى يرم » الذى أضيف إلى اسمه لقب « التونسى » تمييزاً لأصل أسرته .

ولد « محمد مصطفى يرم » فى الاسكندرية ، وكان كأيهِ المهاجر من تونس يحترف التجارة ، وتجارة الأقمشة المنسوجة بالذات ، التى كانت مهنة شائعة بين المغاربة إذ ذاك .

تزوج هذا الابن من سيدة لم ينجب منها غير فتاة تدعى « ليبة » .

ثم أدى فريضة الحج فأصبح معروفاً فى الحى باسم « الحاج محمد مصطفى » .

وتزوج مرة أخرى من فتاة من الاسكندرية أيضاً ، أنجب منها ولده « محمود » وبناتاً ماتت بعد مولدها بثلاثة أيام .

وفى غفلة من هذه الزوجة الثانية اقترن سرّاً بفتاة فنانة ، ممن كن يترددن على متجره . وأصبحت زوجاته ثلاثاً . ماتت أولاهن قبل أن يقترن بالثانية ، ومات هو والزوجتان فى عصته .

كان مسرح ذلك حى السيلة بالاسكندرية .

وكان يرى هناك متجر متسع للأقمشة المنسوجة من كل نوع ، فى الجزء الذى يضم التجار المغاربة ، وتتجمع فى هذا المتجر ، بعد عصر كل يوم ، بضعة من تجار السوق ، وفريق من العلماء والأدباء ، من أصدقاء الحاج .

وشب الابن « محمود محمد مصطفى بيرم » حى إذا بلغ الرابعة ذهب به أبوه إلى كتاب « الشيخ جاد الله » فى « زاوية الشيخ خطاب » بحى السيلة . وكان هذا أول عهد « محمود بيرم » بالتعليم .

كان « الشيخ جاد الله » هذا قاسياً على الأطفال فكره . « محمود » الكتاب وصاحبه

وكان والد « محمود » يعزم على أن ينشئه فقيها فى علوم الدين فأخلف « محمود » هذا العزم

وانتهى الأمر بانقطاع « محمود » عن كتاب سيدنا ، إلى أن يعاون أباه ، مع ولدى عمه « حنفى » و « مصطفى » ، فى متجر المنسوجات . ولكن أباه لا يرضى أن يستمر ابنه بائعاً دون إتمام تعليمه .

فيرسله إلى مسجد « المرسى أبو العباس » بالاسكندرية ، ليتلقى فيه العلم ، حيث كان بعض المساجد ، إلى عهد قريب ، يتخذ معاهد دينية تتبع الجامعة الأزهرية .

وكانت من « محمود » فى ذلك الوقت قد نضجت بعض الشىء إذ هو الآن يتجاوز الرابعة عشرة من العمر

ومات أبوه ، وتنكر له أولاد عمه . فهجر المتجر أيضاً ، كما انقطع عن معهد العلم .

والتحق بعد ذلك بمحل بقاله عن طريق خاله ، ثم تركه أيضاً .
ثم التحق بعمل في مصنع لهوادج الجمال ، يملكه زوج أمه ، التي اضطرت
لضييقها أن تقترن بأحد أقربائها .

وماتت أم «محمود بيرم» وله من العمر سبعة عشر عاماً . فلم يبق له من أحد .
وقد فقد كل معين

وحينذاك دفعته الظروف الى أن يفعل شيئاً . فأفتح محلاً خاصاً للبقالة ،
ببعض ما تركته له أمه من ميراث . ولكنه لم يدم في هذا النوع من التجارة غير
شهور سبعة

ثم احترف التجارة بالجملة في صفائح السمن . وقد يسر له ذلك مبلغ الميراث
الذي آل إليه بعد وفاة أمه . إذ كفى تجارته وفاض ، فاشترى ببقائه بيتاً صغيراً
في حي الأنفوشي

كانت هذه فترة من حياة الفتى «محمود بيرم» تناولتها عوامل من القلق
والتردد في اختيار المصير

فهو فتى غير محظوظ . محروم من الحنان والسند . يشق طريقه في الحياة .
بقسوة وإصرار .

فتى تتعاقب الأحداث ، وتتكاثر ، وهو بعد لين العود .
وتدور برأسه أفكار وآمال ، ولا يجد في نفسه ما يركي هذه الأفكار والآمال .
إنه يشعر بنفسه فناً بفطرته ، أديباً بطبعه ، يحب الأدب ، ويعشق النظم
في الشعر والزجل . ولكنه إلى الآن ما زال يعمل في التجارة ، مقلداً بيئة أبيه
وجده . فهل قدر له أن يلتزم هذا الجانب من الحياة . . . أم أن القدر قد هيا له
مهاوجهاً آخر . . .

لقد كان الفتى سيلتزم العمل التجارى باطراد مكاسبه من تجارة السمن ،
فى عمله التجارى الأخير، لولا أنه ضاق وغضب من كثرة الضرائب التى كان
يفرضها المجلس البلدى على تجار الاسكندرية ، وكان أغلب أعضائه من الأجانب،
الأمر الذى كان فى واقعه سبباً مباشراً فى تغيير مجرى حياة « محمود » .

فقد بدأ أول محاولة أدبية فى هجاء هذا المجلس البلدى بالشعر

ونشرت له جريدة الأهالى هذا الهجاء وإذ نجح ما نظمه ، واستقبله
القراء بالإعجاب والرضا ، هياً نفسه للأدب ، ونوى أن يهجر العمل التجارى .

وكان قد اضطر ، بعد وفاة أمه ، وزواج أخته الكبرى الغير الشقيقة
« ليلى » ، إلى أن يطلب لنفسه زوجة . فخطبت له فتاة من أهل الاسكندرية ،
تزوجها ، ولكنها ماتت بعد أن أنجبت له ولداً وبنتاً ، هما « محمد » و « نعيمة » .

فاقترن ، بعد وفاتها ، بزوجة ثانية أنجبت منه أول ما أنجبت بنتاً سميت
« عابدة »

ويهم « يرم » لأن يخوض محار الأدب فينشئ مجلة باسم « المسلة » ،
ويصدر عددها الأول بالاسكندرية . ثم ينقلها ، بعد العدد الثانى ، إلى القاهرة
ويصدر منها ثلاثة عشر عدداً . ثم تعطلها له السلطات بأمر من حاكم البلاد ،
حيث كان قد كشف عن فضائح أسرة الجالس على العرش . فيصدر غيرها باسم
« الخازوق » ، ويهاجم فيها الأسرة المالكة أيضاً ، فيكون مآله أن ينفى إلى خارج
البلاد ويكون النفى إلى موطن أجداده تونس فيجد هناك من تنكر الأهل
له ، ومن سوء حال المواطنين ما يملأه ضيقاً .

ويقضى فى هذا المنفى عامين كاملين . ثم يحتال ليحصل على جواز سفر
مزيف ، ويعود إلى وطنه مصر متسللاً . ويعاود التحرير . ويظهر إنتاجه فى صحيفة

الشباب التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » . ويعيش في الوطن المصري زهاء العامين دون أن يكشف أمره

ثم ينكشف أمره ، فيقبض عليه من جديد ، وينفي ثانية ، ولكن إلى فرنسا هذه المرة . ويلاقى هناك أشد مآلآق من الضيق في منفاه الأول بوطن أجداده

يتمهن هناك أشق وأحط الأعمال ، لكي يعيش . ويقابله من المتاعب مالا يحتمله بشر ، وما تنهار دونه العزائم .

فقد كان لا يلتحق بعمل حتى يطرد منه ، عندما يتبين أنه محكوم عليه بعقاب ، أو يهجره كارهاً من صعوبة العمل ومشقته .

ولقد كان يقضى أياماً على الطوى لا يجد لقمة العيش ، فيقع في ركن من حجرته الحقيمة صابراً ، أو ينطلق إلى الطريق يبحث عن فتات القوت .

ونتركه يحدثنا عن حالته إذ ذاك في عبارة من عباراته :

« أنا أعيش هنا حياة التشرد .. أنا أكره البشر صحيح فيه جمال أمامي . لكنني لا أستطيع أن ألمسه .. صحيح فيه موائد زاخرة بالمأكولات أراها في اليوم ألف مرة ولكنني لا أستطيع أن أقرب منها فأنا أعيش حياة السرايب التي يعيشها أي فقير في حي مونمارتر أو الحى اللاتيني ...!! »

ويقضى هذه المرة في المنفى الثاني بفرنسا سبعة أعوام ، من سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٣٢ ، حيث رحلته السلطات الفرنسية إلى تونس بسبب أزمة البطالة في بلادها إذ ذاك .

ويشارك في تونس في تحرير جريدة الزمان « التونسية » . ثم يصدر جريدة خاصة باسم « الشباب » ، ويطلقها له الحاكم العسكري الفرنسي .

ثم يتقرر نفيه إلى السنغال

ثم إلى لبنان • سوريا •

ومن سوريا تعيده السلطات الفرنسية إلى فرنسا • وتبر السفينة التي أقلته
بيور سعيد ، فيهرب منها بمساعدة أحد المبعوثين — وهم الفئة التي تنقل السلع
بين الميناء والمراكب العابرة — ويمتنع عن العيون ، حتى يركب القطار إلى
القاهرة • وكان ذلك في الثامن من أبريل سنة ١٩٣٨ •

وفي وطنه مصر يعيش مستخفياً عن العيون تارة ، ومتنقلاً من جهة إلى جهة
تارة أخرى ، يستجدي الأصدقاء وأصحاب النفوذ لإطلاق حريته •

ويفوز بهذه الحرية بعض الشيء ، ولكنها حرية مضطربة لا تنتم له إلا
بعد استكتابه عبارات الاستعطاف الدليلة لحاكم البلاد . وأحاطت به ظروف
قاتلة من يوم دخوله أرض الوطن متخفياً إلى أن صدر من وزارة الداخلية أمر
بالاغضاء عنه ، لا العفو الشامل .

وعاش « بيرم » في وطنه كما شاءت له الحياة بمرارتها ، حتى أمن على نفسه
أن يكتب ، وتنشر له الصحف ، وتذيع له الإذاعة ، ما يتقاضى عنه الأجر ليعيش .

وإذ عاش مشرداً بين بلدان المنفى ، وإذا كان مفضوباً عليه من يوم أن شب
فتى إلى أن منحته السلطات المصرية الاغضاء دون العفو ، فقد كان لا يحمل
الجنسية المصرية ، من حيث كانت هذه الجنسية — في الفترة الأولى من حياة
« بيرم » التي ولد فيها من أصل تونسي — لا يهتم لشأنها ، والامتيازات قائمة
إذ ذاك ، وهي متعة وحصانة لمن ينعم بها •

ولكن الثورة ، في عهدها العادل ، اعترفت به مصري النشأة ، وطني
الكيان . فمنحته الجنسية المصرية في عام ١٩٥٤ ، ثم شرفته بإنعامها عليه

بوسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ، وقد سلم هذا الوسام إليه بنفسه السيد / الرئيس « جمال عبد الناصر » .

وكان « بيرم » ، لما لاقاه في حياته من اضطهاد وتشريد ، ولما عاناه من شقاء وحرمان ، ولسوء حظه وخذلانه في كل أمل يأمله أو عمل يطلبه ، ولما سارت عليه حياته من ضيق لازمه من منذ نشأته ، بموت والديه ، وتركه وحيداً يعول نفسه ويعتمد على أعصابه وجلده وصبره ، كان لكل هذا مضطرب الكيان ، مهزوز النفس وقد ترك كل هذا على نفسه أثراً من المرارة والضجر ، وعدم الإيمان بالبشر . فهو دائم الانطواء على نفسه ، يتعد عن المجتمعات ، ويؤثر العزلة والوحدة . وقد فرض على نفسه ذلك كأنه في محنة ممتدة الزمن ، لا يؤمن بشيء إلا إيمانه بالله وبالقدر المحتوم

وقد كان متديناً يؤدي فروض الدين في أوقاتها ، حتى أنه عوض في مصر ما كان فاته من الصلاة وهو في منفاه ، بأداء الوقت مرتين في مدى الزمن الذي قضاه بوطنه بعد استقراره الأخير .

وتفصيل خطوات حياة « بيرم » الخاصة أمر يطول استعراضه ، وهو ليس من شأن هذا البحث ، الذي يعنى ، جل ما يعنى ، بدراسة اتجاhe وعرض أعماله . وقد ظلت شعلة العبقرية في « بيرم » متوقدة ، مستمرة الوهج ، رغم إصابته في السنين الأخيرة بمرض الربو الذي هش صدره ، وأضنى صحته ، وهد من كيانه . ثم نقل الداء عليه ، فأنهى عهد الأدب ، في أوائل عام ١٩٦١ ، بهذا الصاحب الشاذى .

وكان مولده في يوم السبت ٤ مايو ١٨٩٣ ، ووفاته في يوم الخميس ٥ يناير ١٩٩١ ، وقد بلغ من العمر سبعة وستين عاماً وعشرة أشهر

يتم بين أولاده





يُرم يحدثنا عن نفسه

« ولدت في عام ١٨٩٣^(١) ، ولم أكد أشب عن الطوق حتى أدخلني أبي مكتباً لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، في الحى الذى كنا نقيم فيه ، وهو حى (السيلة) بالاسكندرية »

« وقضيت في ذلك المكتب فترة من الزمن تعلمت فيها وحفظت بعض سور القرآن . ثم نقلت لطلب العلم في مسجدى المرسى أبى العباس والبوصيرى . وهناك أقبلت ، في مهم وشغف على ما كان يلقي من دروس . ثم حدث أن رأيت أحد المدرسين يمتحنى بعنايته ويخصنى بكثير من رعايته ، ويسأل عنى كثيراً ، ويهم بى اهتماماً عظيماً وما لبث أن أسفر هذا الاهتمام عن الغرض الخفى الذى ينتويه ذلك المدرس

« إذ لا حظت أنه ينظر إلى نظرات مريبة . فاشمأزت نفسى منه ، وعولت على الفرار من وجهه وتركت المعهد إلى غير رجعة ، بعد أن كنت معدوداً فى طليقة الطلبة النجباء .. وتربت فى نفسى عقدة من جميع الشيوخ الذين يلبسون مسوح التقي والورع . وكرهتهم كراهة الأرض للدماء .

« وودعت المعهد الدينى غير آسف عليه . ثم اشتغلت بقالا فى الحى .

« وما لبثت أن ازددت ثقافة من كثرة ما كنت أقرأ من الكتب القديمة ، التى كنا نجلبها لنبيع فيها للمشتريين . وسرعان ما أصبحت هوايتى أن أطلع على ما هو مكتوب فى الورقة قبل أن أطوى فيها البضاعة ، وأعنى ما فيها ، ومن العجيب أننى عثرت ذات يوم على كتاب فى تاريخ « محي الدين بن العربى » وحياته ورأيه فى الدنيا ، فراقنى كثيراً ، وأقبلت عليه فى مهم وشغف .

(١) ٤ مارس ١٨٩٣

« وكان هذا الكتاب نقطة تحول في حياتي ، إذ رغب إلى حب التصوف ودراسة الإسلام وأحوال المسلمين ، على عطف يتناسب مع العصر ، ويتفق وروح الجماعة التي نعيش فيها. واتسعت مداركي .

« وكنت أقرأ إلى جانب ذلك ما كتبه الذين سبقونا في الزجل والأدب الشعبي ، أمثال عثمان جلال ، والقوصي ، والنجار ، وإمام العبد ، وعبد الله نديم ، وغيرهم من أبناء الفكاكة الراقية ، والنكته اللاذعة فأجتمع لي كل هذا ، مضافا إليه استعدادي الفطري للتمرد على البيئة القذرة التي أعيش بين ظهرانيها ، وأرى عيوبها الإجتماعية والأمراض المتفشية فيها . فأخذت أنظم الزجل في بعض الحالات ، وأنتقد بعض التصرفات، وفي نفسي حنق شديد على المجتمع الذي يحيا في جو خانق من الاحتلال الإنجليزي . وفي أعماقي ثورة عارمة على الذين يعملون على أن يظل الجهل والفقر سائدين يثبتنا إلى أبد الآبدين » .

« فتركت محل البقالة ... وأخذت أجوس خلال الديار ، وأتجول في الشوارع . أرى وأنتقد ، وأكتب وأؤلف وأحمل في يدي سوطا أضرب به في كل ميدان » .

ثم يقول بعد ذلك :

« لا أعرف شواطيء لهذا الموج الزاخر الذي يهدر في نفسي ، وفي قلبي ، وفي رأسي ، من روائع الشعر ، لأضخم الشعراء في أعظم العصور حفاوة بالشعر والشعراء .

« وقد حفظت القرآن ، ودرست ستة كتب مشهورة في تجويده وتلاوته ، بقراءاته الثابتة عن أئمة الشريعة والدين . ثم استوعبت دراسة الأدب العربي من أمهات مصادره ، وشربته من أصنى ينابيعه ودرست البلاغة ، وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالمعصم.

« وكنت أقدر أنتى سأجتر هذه الثقافات العربية الصميعة في صقل استعدادى وموهبتى الشعرية. إلا أنتى شهدت فى مطلع حياتى صرعى الشعر وأشلاء الشعراء تحت أقدام المشعوذين ، وشذاذ الآفاق ، والمتجرين فى سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة .

» ثم تعاقبت الحن الثقال مع الليالى الطوال . فأخذت الجاعة مخناق وخناق الأطفال وتلقيت وحشية الاغتراب^(١) ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والإخوان ، وضراوة الجاعة ، فى بيت لا يؤنس بقايا الآدميين فيه إلا الأنين ، والدموع ، والأنفاس اللاهثة . فلم أر أن أضيف إلى هذه الحن القاصمة محنة الشعر . فتركت ثقافتى واستعدادى ، وموهبتى الشاعرة ، أمانة فى ذمة الأيام إلى الزجل ، أنظم به المسرحية والموال والأغنية .

ويختتم بقوله :

«وكم استأجرى كل دعى ومتسلق ، لقاء منحنى القليل من الاثابة والمكافأة التى أجابه بها شظف العيش ، وخشونة الحياة، ودعوة حاقد استجابت لها الأقدار، فبت أرزح تحت وطأة الهم والرزم والجوع الأزلى » ...

بهذا التصوير الدقيق يقدم لنا « بيرم » نفسه . ولعله فى هذه الترجمة يوفر علينا البحث فى أصل هذه التنشئة التى أخرجت لنا ذلك النضوج الفذ فى شخصيته وكفاءته ، وفى حقيقة هذه الجذور التى أنتجت تلك العبقرية النادرة فى تكوين « بيرم » ، وإعداده هذا الاعداد المعجيب الذى تميز به عن أنداده وأرباب فنه .

* * *

(١) يقصد بنفيه خارج وطنه مصر حين شردته السلطات فى عام ١٩٢٠ ، بنفيه إلى تونس ، ثم فى عام ١٩٢٤ بنفيه إلى فرنسا ، إلى أن عاد خلسة إلى وطنه أخيراً فى عام ١٩٣٨

ولقد كانت حقا ، تظهر في الصحف المصرية ، حينذاك ، مقطوعات من الشعر والزجل فيها روحية « بيرم » ولكنها تحمل اسما غير اسمه .

ولقد اضطر بسبب ضيقه في غربته إلى أن ينظم الشعر أو يصوغ الزجل لغيره . وكان يقدم القطعة التي ينظمها بيضعة من قروش لتعينه على حياته التي كانت قد تأزمت ، وجملته يتلمس القوت بأشق الوسائل على نفسه .

تماما كما كانت الحال بالمرحوم الشاعر « عبد الحميد الديب » ، الذي كان ينظم القصيدة من الشعر بقرشين ، أو بقرش ، أو بقطعة من السندوتش ، « يبل بها ريقه » . وكان يكتب مخطه أحيانا في ذيل القصيدة اسم طالبها منه .

ويسجل « عبد الحميد الديب » ذلك في بيته العجيب ، وكأنه نظمه عزاء لنفسه ونفس « بيرم » .

« بين النجوم إناس قد رفعتهمو

إلى السماء فسدوا باب أرزاقى »

من هو بيرم بين الأدباء ؟

اعتادت الجماهير أن تذكر في مجالسها من يكثر الحديث عن نفسه ، من الشعراء أو الأدباء أو من يثير من حوله ضجة يرمى بها ، من قريب أو من بعيد ، إلى الدعاية لمكاته بين أنداده .

ولكن « بيرم » كان من انطوائه على نفسه ، واعتكافه عن الناس ، وعن المجتمعات العامة . ومن هدوئه وقناعته ، وعدم حبه للزهو ، وبعده عن التروار ، ما جعل الكثيرين لا يكثرثون له :

ولهذه الأسباب قل من شعر ببيرم ، وأحس بمجدارته

والذين يعرفون « بيرم » على حقيقته قلة هم المعنيون بالدراسة والمقارنة في الأدب الرفيع . وإن كان البعض منهم ، أيضا ، منته الأثرة والغبرة من الاعتراف الكامل بمكانة هذا الأديب .

لقد كان « بيرم » بعيداً عن الزهو ، والتظاهر - كما أشرنا - لذلك لم تمتلئ بذكره في حياته أعمدة الصحف ، من حيث ألفنا أن نقرأ المظاهرات الصحفية ، والمجادلات من بعض الكتاب والأدباء .

ولكنه ما فارق الحياة حتى نشطت في الإشادة به أقلام منصفة ، قدرت الرجل حق قدره ، وصححت ، من ناحية أخرى ، ما كان يشيع عنه الغيرون والحاقدون ، من أنه أديب سليط اللسان ، سوقي الألفاظ وضع المعاني ، ذلك لكي يحطوا من كيان الرجل ، ويشغلوا أذهان الناس عن قدره وامتيازه .

ومن هؤلاء الغيورين ، أو الحاقدين ، أحد كتاب الفكاهة والشعر والزجل .

وكان يرأس تحرير إحدى المجلات الفكاهية^(١) كان « بيرم » وهو في المنفى خارج الوطن يرسل إليه انتاجاً غزيراً مدى عام كامل لينشره له بأجر ، فكان يخفى الكثير منه ، أو يمزقه حتى لا يثير اهتمام القراء بصاحبه ثم اكتشف « بيرم » مقتبسات من ذلك ظهرت باسم هذا الصديق .

وبلغ الحد ببعضهم — قبل أن يمنح بيرم الجنسية المصرية (وكان المنح في عهد الثورة سنة ١٩٥٤) — أن يذيعوا نسبته إلى تونس ، ذلك من حيث الصق باسمه لقب التونسي ، وأن يجردوه من العلاقة بالجنسية المصرية . مع أنه ولد ، ونشأ ، وعاش في مصر وأحب مصر ، وتعلق بها ، أكثر من وطن أجداده . فإن لم يكن الأمر كما قال المرحوم الشاعر « أحمد نسيم » « مصر لمن عاش في أحضانها وطن » ، فلا أقل من أن تنطق جميع أقوال « بيرم » بحبه وتعلقه الشديد بها .

أليس يقول :

واللى أنا متمشق فيه وبروحى افديه
ما شفت له فى الدنيا شبيه ولا فى السموات

من بعد ما أحلف بالله أحلف بهواه
وعشقى له طاهر ترضاه كل السديانات

والقلب ده يانور العين ما يساعش اثنين
غيرك ما فيش يا ام الهرمين معشوق بالذات

(١) يروى « بيرم » أن هذا الشخص هو الشاعر والكاتب الفكاهى المعروف (المرحوم) الأستاذ حسين شفيق المصرى ، وكان يرأس تحرير مجلة الإثنين التى أصلها « مجلة كل شىء » والدنيا ، من مجلات دار الهلال . وقد هجاه بيرم بقصيدة قاسية رأينا أن نهمل نشرها ، ولعلها نعلمها فى مرارة الواقع الذى كان يعيش فيه

إن كل أديب من الأدباء ، محافضة الشعر ، أو الزجل ، اشتهر بفروع
أو فروعين ، أو أكثر، من فروع الإنتاج ، أما « بيرم » فقد اشتهر في فروع شتى
لم تجتمع لأى أديب من الأدباء .

كتب بالنثر والشعر والزجل المقامات الشعبية ، والمقطوعات الشعرية
والزجلية ، في صور الحياة الاجتماعية ، وتقليد الشعراء والكتاب ، والفوازير ،
وعلى الأرجل ، وعلى الرقبة ، والقصص القصيرة والطويلة باللغة العامية ، والمواويل
البلدية ، والأغاني ، والأوبريت ، والروايات القصيرة للاذاعة ، والروايات الطويلة
للمسرح والسينما ، والملاحم ، إلى غير ذلك .

كتب في كل هذا ، وأجاد في الجميع ، بل بلغ القمة في الإجابة

وعرض في نقده اللاذع للكثير من مشكلات حياتنا ، ومن أحوال الناس
في جميع الأوساط ، كما هاجم نواحي كثيرة من النظم والأوضاع التي تعيبها
الأخطاء . ومن ذلك مقارناته بين ما هو متبع عندنا من أساليب التربية والتعليم ،
وما يمثله في الخارج ، وفساد الروتين الحكومي ، وضياع مصالح الناس في دواوين
العمل ، والاسترخاء في المقاهي ، والفوضى في المنازل ، وجهل المرأة ، والرجل ،
والشعوذة ، ونظام الوقف ، والمخدرات ، والاختلاسات ، والإسراف ، وغرائز
الخيانة ، والجرام ، وانحراف السياسة ، والزعامة ، إلى غير ذلك .

وكان في تهكماته ، وسخريته ، ونقده لأخطاء المجتمع ومساوئه ، إلى جانب
توجيهاته بالعلاج والإصلاح ، ونواحي فلسفته ، ممثلاً لجميع رجال النقد وكبار
المصلحين الاجتماعيين والناشرين على الأوضاع الخاطئة ، والموجهين من الشعراء
والأدباء .

وقد قال عنه الدكتور « مصطفى مشرفة » :

« لو قيس فن « بيرم » بمقياس الفن الأوروبي لوجب أن يكون في مقدمة

مرء العالم ، كبارهم لا صغارهم . فهو يشبه إلى حد بعيد شعراء الانجليز : صنفهم ،
واليوت بل ، وشكسبير

وكتب عنه الأستاذ « أحمد عبد المجيد الفزالي » :

« هكذا عاش « بيرم التونسي » يطالع الناس في كل يوم بإحدى شخصيته
التي كانتا تؤلفان فنه ومواهبه ، وظلت شخصيته كرائد ، وإمام ، وموجه ،
وأستاذ ، لكل من زجل ، تنأى به عن الشعر ، وتفريه بالزجل ، حتى استوى
على عرشه ملكا متوجا ، فكل زجالينا ، صغيرهم وكبيرهم ، روافد لهذا المحيط
عميق الأغوار ، مديد الأبعاد ، متلاطم الأمواج »

وكان يشهد له زميله المرحوم الشاعر الزجال « أبو الوفا محمود رمزي نظم » ،
الذي كان معروفا بأمر الزجالين : بأنه سيد الأدباء جميعاً في فن الزجل والأدب
الشعبي . وكان لا ينفعه إلا بأستاذنا « بيرم »

والحق إن هذه الأستاذية التي نسبها إليه زميله « نظم » ، وهذا التفوق
الذي بلغه « بيرم » عن جدارة ، لتمثلها براعته الفذة في صياغة القوافي الخلابة
اللطيفة ، التي لا تخطر على بال ، وصياغته للمعاني والعبارات الجديدة كل الجدة ،
والقوية كل القوة

والمثال على ذلك ، مثلاً ، قوله من قطعة يعالج فيها مشكلة الحب .

الحب ده حاكم ، وحاكم جاهل ، يقتل ويأسر في المرأة والراجل
جانب الشريفة تحت رجل السافل وجمع المسلم على اليهوديه

* * *

داير بكاسه والأمم عطشانه يستنظر السهران على السهرانه
يسقى اللي في المسجد وأهل الحانه ويبور الأديان على الأنبيه

وقوله وهو يصف القطن :

فايت على القطن كان له ورق في العود

واقفة عليه العذارى تحرسه م الدود

فقلت قادر إلهى يجعلك في صعود

وان كنت مخلوق عفيفى يقلبك فولى جود

وإذ يخاطب زعيم الانقلاب العثماني الأول « مصطفى كمال » بقوله :

يا هل ترا وقت ماتلضم بالحيـل ترطم

حكمت بالشلضم بلضم ماخافش مـلام

• • •

صبحت حالا يا مجاهد للدين جـ ——— احـد

والمسلمين واحد واحد عـذ ——— دك أغنام

وحين يصور الزواج الغير المتكافئ بين فقر الرجل وتمرد المرأة ، بهذه
الحكمة :

إن كنت يا ابن العرب راجل فقير وعفيف

فوت الجواز للغنى واقعد وحيد وشریف

دى العنة غالية ولكن تنشرى برغيف

والفقر يرمى العفيف فى أوسخ الأوحال

ثم هذه البراعة فى التهمك على متعاطى المخدرات الذى قتلته سمومها :

حاتبكى عالى انفقـد ماله وزاد غلبه

إبكى على اللى فى حفظه انكتم قلبه

ياللى ربطت الكفن ليه الكفن مربوط
حاش الهوى عالى داخل تربته مبسوط

وإذ تثيره مناظر النساء على شاطئ* البحر فيخاطب ربه :

وأقول له يارب تحرقنى وأنا عبدك
واللى عشق واتعشق منك ومن عندك
أنا كنت فى الدنيا بتفرج على فنك
قال لى هناك صنعتى لكن هنا حكى

ثم قدرته الفائقة فى استخدام الكلمات الأجنبية للقافية العربية بهذه العبارة
التي يتهم فيها على لغة التونسيين .

سأله إسمك محمد قال محمد « وى »

وقلت عندك بطاطس قال لى « نوسيه فنى »

وقلت عندك فاصوليا قال لى « توپا كوى »

شوفتوش بقى بعد ده طبابخ « تريه جنتى »

من ذا يمكنه أن يبلغ هذه المقدرة ؟

ثم من ذا يحسن مثل هذا الوصف لمدنى الجلوس على المقاهى (الملاطيع) :

قاعد لى للبصبصة والرجل فوق الرجل

كراسى مترصصة ، والعجل جنب العجل

طالع لى فى الحنشطة ، وامه بتاعة فجّل

لمكن سبب نفخته عمه ، جوز امه ، غفير

هذا هو بيرم التونسى .

أسلوب يرم

تناول « يرم » مظاهر الفساد في المجتمع بأسلوب لاذع من التهمك ، بلغ فيه أحياناً حد الاقتداء . وعالج الصور التي استخلصها من نقده لشتى الأوضاع النابية بنوع فاضح أحياناً من الأدب المكشوف ، قد يؤخذ عليه في البعض ، وقد يغفر له في البعض الآخر .

وقد يكون لحياة « يرم » في البيئة التي لازمها في أول عهده ، بعض الأثر في ذلك ، فضلاً عن الملابس التي تحيط بالموضوع الذي يتناوله .

ونستمع إلى « يرم » وهو يصور لنا البيئة التي عاش فيها في أول حياته .

« كان حى رأس التين المجاور للأنفوشي صورة طبق الأصل من عشب الترجمان القاهرية . الرجال يرقصون القردة ، والنساء تسمى في الأزقة تميز ترى القمامة ، والأطفال يجمعون السبارس .

« كانت أكثر مبانيهم مؤلفة من عشب الصفيح ، المرقعة بالخليش والأبراش ، يعلوها الدجاج والميز . وكان قسم كبير من هذه العشب يمتد في شارع رأس التين الموصل إلى السراى ، يتفرج عليه السفراء والقناصل في كل تشريفة . « وأسوأ ما كان يعرف عن أهل رأس التين هو الشجار الذي يقع بين نساءهم ، بتعاير يهتز لها عرش الرحمن ، وبألفاظ ترقص عليها الشياطين . . . »

بما تتخيله من صورة هذه البيئة كان المؤثر الأول على « يرم » ، وهو ما جملة يردد ، دون حساب ، بعض أنواع تلك التعبيرات التي كان يسمها ، والتي زودته ألفاظها محصيلة شعبية لم يشاركه فيها غيره . فإذا أضفنا إلى ذلك حالة الانحدار ، التي كانت بادية في ذلك الوقت على المجتمع العام ، ندرك السبب

الذى حدا بيبرم إلى أن يستخدم ألواناً من الألفاظ السوقية ، وعبارات المهجاء السافرة ، والصفات الساخرة اللاذعة .

وهو يفسر لنا أمر ذلك فى رده على قارىء اسهجن منه استعماله لأمثال تلك الألفاظ والتعبيرات ، بقوله :

« رويدك أيها الكاتب الملتهب . فقد نقلنا إليك شيئاً سمعته بأذنك ، عن شيء رأيناه بأعيننا . إننا قبل أن نحاول تبرير مسلكنا نوافقك على أننا خططنا بهذا القلم تلك الألفاظ البذيئة كما قلت ، المخجلة كما وصفت . وقد كان غرضنا أن تكون بذيئة ومخجلة . ولئن تتلطح صفحات المسلة^(١) بمثل ما رأيت فهو أحب إلينا من أن يرى ماخوراً مفتوح الأبواب فى أكبر ميادين العاصمة ، وفيه الآداب تذلل ، والمروءة تنتهك ، وأحوال الشبيبة تضيع .

« وما كنا نتوقع أن يكون بين قراء المسلة قارىء تخفى عليه أغراضها فيسيء الظن بنية كاتبها . فإذا فهمت أنت أننا نريد بما كتبناه هدم الأخلاق أو نشر الفساد ، فأنت ضال عن مهجنا ، قصير النظر عما ذهبنا إليه .

« هذا الطبيب يعالج الداء فى بدء الأمر بالمقاقير البسيطة فإذا خبث الداء ، واستعصى فلا سبيل إلا إلى عملية جراحية ، تنرف الدم ، والقيح ، أو البتر ، حيث يكون الشفاء أو الموت . وكلاهما صلاح وإصلاح . »

هذا هو المبرر لبيرم فيما كان يصدر منه أحياناً من ألفاظ نابية ، أو عبارات سوقية وقد يكون فيما أشرنا دفاع عن هذا الكاتب فيما يحويه إنتاجه الأدبى من بعض الفلتات اللفظية . وإن كان لا يغفر له هذا بعض الهفوات النابية التى لا بد أن تحسب عليه ، حيث لا يقوم له عذر فيها .

(١) أول مجلة حررها وهو بالاسكندرية . وصدر أول أعدادها يوم الأحد ٤ مايو سنة ١٩١٩

وقد تعمدت من ناحيتي ، في هذا الكتاب أن أستغنى عن الفقرات التي جاءت فيها الألفاظ أو العبارات النائية ، مستكفيا بالذخيرة الصافية التي لا تحصى من إنتاج « بيرم » .

ومن له من إنتاجه الآلاف من القطع الرائعة لا يجب أن تؤاخذ على بعض الفلوات . بل أننا لنغتفر له حتماً هذا الانطلاق الجارف الذي لم يتمكن من كتبه ، أو كبح جماحه ، وهو في دافع شديد من فيض دافق من الإنتاج ، لا يتحكم في غربلته ، أو تصفيته ، الكاتب الفياض ، الذي يريد أن يعبر عن كل شيء ، وأن يلمس الحوادث جميعاً ، وأن يصور كل الأحداث بواقعتها وطبيعتها .

* * *

وقد تميز « بيرم » بألفاظ بلدية غريبة على أسماع الكثيرين ، لأنها من التعبيرات العامية العميقة .

وبعض هذه الألفاظ من أظرف ما تسمعه الأذن في دقة التعبير ، وصدق الغرض الموضوع له ، فضلاً عن مقدرة « بيرم » الفذة ، ومطاوعة اللغة له ، ونحكه فيها ، وسعة قاموسه في العامية ، وراعته في استخدام اللفظ الناجح .
فمثلاً يستخدم لفظة « شباط » . في التعبير عن العراك ، بدل لفظة « شكل » المألوفة .

ولفظة « النشة » . في التعبير عن السيدة البالغة السمنة . .

وهكذا

ونعرض بعض النماذج من ألفاظ « بيرم » - البلدية - الفذة

يقول « بيرم » مثلاً ، للزوجة المناكفة :

« غلبتي جوزك وعلمتني على (الزناز) »

ويقول في وصف الفوضى المتسببة في نظام البيت من زوجة العامل الجاهلة :

« والأرض (تشفى) من طبيخها كناسة »

« خطى الكانون و (البرمتين) والطاسة »

وفي وصف « الستات البلدى » في داخل عربة « السوارس » — وهى عربة ذات شكل خاص كانت إلى عهد قريب تنقل الركاب بأجر زهيد بين بعض الأحياء الوطنية ويجرها الخيل

« أو واحدة في حضنها قرطاس (يزك) الأنف »

« قرطاس ملان (بالكاخ) و (العكنة) و (الخلتيت) » .

وفي وصف حالة أحد البكوات في أيام الرتب ، وهو تاجر خضروات من أصل وضع

« ولما فات (الهفق) و (الصرحة) رافق »

« في سوق خضار مصر يباة بلح أمهات »

وفي وصف الفضولى على الفن ، المتعجب بنفسه :

« يامطول الشعر و (مشلش) (بدلدولتين) و (مبلم) » .

و يخاطب السيدات :

يابنت بانى الهرم لمى (هلاهياك) » .

ويصف مرة ولدا من أولاد البلد فى لعبه مع ابن « صول » من

البوليس

« لعب أمين بن نظلة مرة (طب الميس) »

و« طب الميس » تعبير سوقى عن لعبة « الكرة الشراب »

ثم وصفه للأصوات التى سمعها ، وهو فى تونس ، من الإذاعة فى أول عهدها أيام إدارة شركة ماركوى لها :

« صوتهم (يططش) فى ودى ولا (طشيش المقالى) »

وهذا تصوير غريب ليس أنجح منه فى مثل التعبير عما يحسه الانسان من الصوت المضطرب لعدم ضبط الموجة .

ثم يقول فى هذا الزجل أيضاً عارضاً صورة مهائية لقبح الإذاعة حينذاك :

(تحود) و (تلود) و (تربع)

زى الحمار الحساوى

وكل هذه التعبيرات اللفظية ، بالعامية العميقة ، تصوير عجيب لا يخرج إلا عن خيال بارع ، ومن ناقد مصور ، متمكن من فنون الأدب الشعبى .

هذا فى اختياره للألفاظ ، عامية كانت أو عربية فصيحة أما فى فن النثر المرسل فإن « بيرم » ، بلا شك ، قد أجاد فيه إلى حد بعيد .

والذى نعجب له هو هذه العبقرية التى اتسم بها ، وهو لم يتخرج فى معهد رسمى ، أو جامعة من الجامعات ، بل كون نضجه تكويناً من جهده الشخصى ودراسته الخاصة .

إنها عبقرية لن تجارى ، ولا نحسب أن الزمن سيجوز بمثله مرة أخرى إلا نادراً

* * *

قد البعض « بيرم » وهاجموه من غير حق ، فى إثارة للعامية .

قالوا إن عاميته لا ترقى إلى درجة الأدب الرفيع ، ونكروا على العامية قيمتها
كلفة أصيلة ، لها مكانتها وقدرتها في الأداء .

و بعض الناقدين من الجاهلين ، والبعض من الحاقدين .

« وليبرم ، كما قلنا ، حساد كثيرون ، حرّضتهم الغيرة على أن يبخسوه حقه
من التقدير ، ومهم من كان يشنع عليه بشتى الطرق ، ومن كان يخونه الأمانة .
وكان « يبرم » نفسه يشعر بذلك ، ولا يوليه اكتراثا ، حين كان يؤمن
برسالته كناقذ مصلح ، كرس جهده لخدمة المجتمع . وهو يلجأ إلى هذه الحقيقة
بقوله ، في مطلع قطعة بعنوان « الشرق » :

من قبل ما أكتب أنا عارف	القول ضايح
والأجر بالتأكيد ذاهب	حسب الشايح
والشتم حايجينى مسوجر	من واد صايح
مهما انكويت بالنار والزيت	برضك فنان

بيرم واللغة العامية

آثر « بيرم » أن يتخذ من اللغة العامية ميدانا ليتجاوب فيه مع الشعب في صميم حياته الواقعية ، فمارس الكتابة بالعامية ، من حيث هي لغة الحياة ، حتى هز المشاعر بمقدرته في ميدانها الذي تعذر ولوجه على الكثيرين .

و بيرم الذى كتب فى كل فنون الأدب ، من شعر رصين بليغ ، وزجل لطيف أخاذ ، ونثر سليم ممتاز ، بالعربية الفصحى ، وبصور مختلفة فى الأدب البحت ، وفى السياسة والاجتماع ، وفى القصة على اختلاف ألوانها ، وفى نوع المقامات الشعبية التى تبرز فيها الفصحى بالأدب الشعبى ، ويتطعم فيها الجدل بالفكاهة . وفى تقليده المقتبس من القرآن الكريم ، وفى محاكاته لأساليب المشاهير من الكتاب لم يكن إيثاره اللغة العامية على الفصحى عن ضعف

وقد تبدو اللغة العامية سهلة فى الظاهر ولكنها تستعصى على قلم الكاتب ، حينما يحاول أن يوطنها إلى فن الأدب ، ويتخذ منها وسيلة للتعبير عما يريد عرضه كقطعة أدبية يخلو بها روائع إنتاجه

أخذ « بيرم » اللغة العامية ميداناً لإجلاء روائعه فى فنون الأدب فكتب بها أزراله ، ومواويله ، وأغانيه ، وملحجته ، ومسرحياته . وكتب بها قصصاً قصيرة وطويلة ، وبرع فى كل ذلك براعته فى نظم الشعر العربى الفصيح .

ونسجل هنا كلمة قيمة للأستاذ الجليل أمين الخولى ، فى حديث له عن « بيرم »^(١) متناولا الكشف عن طاقة اللغة العامية فى كيان الأدب العام :

« إن حياة « بيرم » الحافلة شاهد على الحاجة الماسة الدافعة إلى استعمال لغة الحياة فى مختلف الفنون ، من مسرحية ، وصحافية ، وعملية .. إذ كان الرجل

(١) مجلة الأدب ، العدد العاشر ، مارس ١٩٦١ السنة الخامسة

مع الطاقة الفصيحة التي أثبتتها أقوى الاثبات وأبرعه ، يعمد إلى استعمال لفظة الحياة ويؤثرها ، ويبلغ بها من التأثير على الدنيا ذلك المبلغ الكبير .. وتلك فيما يستبين — شهادة — للغة الحياة لا يطن فيها ولا تجحد .. وأحسب أنه لا موضع للماراة في جدوى استعمال لغة الحياة ، بعد هذه التجربة الطويلة ، بل إن هذه التجربة لتشهد أنه لا حياة للغة الرسمية إلا بقدر ما تستطيع أن تكون لغة الحياة

« وحياء » تجربة في هذا شاهد ، ينبغي أن تقدر دلالتها على أن اللغة العامة لا تقدر الكفاية للتعبير عن كرائم المعاني وكبار الأهداف وجلائل الأغراض .. بل إنها ، باستطاعة التأثير على النفوس والوصول إلى القلوب ، تستطيع مالا تستطيعه اللغة الأخرى من ذلك وتبلغ فيه مبلغاً لا تبلغه الأخرى .. وتنطلق إلى آفاق فسيحة ، كريمة ، تؤثر أن تعبر عنها ب تلك اللغة الحيوية فيسفك تأثيرها على الإقناع بها .

« وليس مما يصح كثيراً القول بأن لغة الحياة هي ، دائماً وأولاً ، لغة الأغمار الجهال الذين لا يعرفون من الحياة إلا ما يقوم به بناؤهم الجسدى وكيانهم الحيوانى ، ولا بد لهم بشئ من المعانى العالية ، ولا تستطيع لغتهم التعبير عن أغراض سامية .

« وليس المعرفة ، ولا الخبرة ، بل ليست الحكمة نفسها موقوفة على القارئ الكاتبين ، بل إن الذين يمارسون الحياة ممارسة عامة ، والذين لم يقرءوا ويكتبوا ، قد يتبها لهم من المعرفة والثقافة مالا يتبها شئ منه للذين وقفت معرفتهم بالدنيا عند فك الخط وقراءة الورقة .

« وحسبنا استطرادا في الحديث عن طاقة العامية ، فإنما كان القصد الأول إلى بيان ما لبرم من قدرة على الانتفاع بطاقة العامية والحكمة الاجتماعية ،

والنقد السياسي والأدبي ، وغير ذلك مما ترك فيه آثاراً شاهده بطاقة لنة الحياة ، التي آثر استعمالها ، وأجاد .

« وما نحن فيه من وقوف عند تجارب الأديب الشعبي الوقوف عند بلاغة لغة الحياة ، في آثار الرجل ، ومدار تلك البلاغة وأساسها ... وما يخفى من معرفة مواطن تلك البلاغة فيها ، على من يحاولون استعمالها الفنى اليوم . فلا يتهاى لهم ذلك القول البليغ بها إلا لقلة محدودة فيهم .

« وبلاغة العامية لا تكتسب بالمدارس والتلقى المتعلم . لأنها لاتجد فرصة من التعليم والتلقين ، في مدرسة ، أو في معهد . بل هي محرومة من ذلك تماماً . . . فلم يبق سبيل إلى معرفتها واكتسابها إلا الممارسة المجربة المزاولة ، يسمعها الذوق الموهوب ، والملاحظة الحساسة ، والوجدان الشفاف .. حتى يتهاى من كل أولئك مجتمعة ما يرجى من الشعور بوقع التعبير ، وتمثله بالحواس كافة فتحسه ، وتظفر منه بالادراك الحسى ، كما يقول النفسيون، ويصل الأمر بصاحب الموهبة الذوقية الممارس إلى أن يرى الكلمات شاهدة ويسمعها معبرة ، ويذوقها ذات طعم . ولا يبعد عليه أن يتبين للكلمة ملامح وقسمات محببة ، خفيفة الدم أو ثقيلة الظل ، كأبناء آدم الذين يراهم في أوضاع من ذلك متفاوتة . ويسمعها كذلك نغماً رناناً صافياً ، أو أجش كائياً كأنغام الموسيقى في التوقيع والتلحين ويذوق الألفاظ طعماً حلواً ، أو مرراً ، كالطعوم والأشربة ، وهو يشمها كذلك عطراً وطيباً ، أو خبثاً ورتناً .

* * *

« وإذا كان الأمر في كسب بلاغة العامية ودقة الحس بها ، على نحو ما تهياً لأديب الشعب « بيرم » فإننا لا نلقت الراغبين في شيء من القول البليغ بهذه اللغة العامة إلا إلى تلك الممارسة المجربة ، يهتدون بها وفي فن بيرم الشعبي ، وتجربته الحيوية في استعمال اللغة العامية ما يفسر

كل الذى نريد أب نقوله هنا عن بلاغة العامية ، وطريق إدراكها وكيفية إحساسها وتذوقها . فقد كان أديب الشعب من أكثر الناس توفيقاً ، فى التذوق اللغوى وعن هذا التذوق النفاذ كان يتخير عباراته ويواتيه من التخير تدفق منطوق ، حتى لا يحوجه الوزن إلى تغيير الكلمات ، وتأليف الجمل فى اللغة العامة ، فتحمل كل ما لها من تأثير ووقع ، وهى فى نظمه من زجل أو موال ، أو أغنية ، كأنها تجرى فى الحديث العادى المرسل . . . وكذلك تقدم تجربة « يرم » الفنية المثل والشاهد ، ووسيلة الإيضاح ، التى نلتمسها فى بيان بلاغة العامية .

وفى هذه الكلمة البارعة من الأستاذ الكبير « أمين الخولى » ما فيه الكفاية فى الدفاع عن مكانة اللغة العامية ، وبلاغتها فى التعبير والأداء ، ومقدرة « يرم » الفذة فى استخدامها بنجاح منقطع النظير .

يرم المصلح الاجتماعى

الذى يدقق البحث فى إنتاج المرحوم « محمود يرم التونسى » لا شك أنه سيحس أن « يرم » كان يجمع فى نفسه خلاصة كثير من مذاهب رجال الإصلاح ، الذين ظهوروا على مسرح الإنسانية .

مهم « دانتي اليارى » شاعر إيطاليا الكبير (١٢٦٥ — ١٣٢١) صاحب « الكوميديا الإلهية » ، وهى المسرحية الرائعة التى صور بها الجحيم الذى يتوعد به الله عباده . وقد عانى « دانتي » آلام النفى والتشريد ، وهو أول من كتب باللغة الإيطالية التى كانت تعد فى وقته اللغة العامية للغة اللاتينية .

ومهم المصلح الدينى « مارتن لوثر » ، زعيم الإصلاح الألمانى (١٤٨٣ — ١٥٤٦) الذى ثار على الكنيسة معترضاً على سلطة البابا المطلقة ، التى جرت إلى المساوىء التى عهدتها القرون الوسطى فى منح صكوك الغفران ، والنذور الرهبانية ، وإكرام القديسين ، والإغراق فى التبتل ، حيث قال : « إني أحتج » . فكان مؤسساً للمذهب البروتستانتى ، مذهب المحتجين .

ومهم « وليم شكسبير » ، الشاعر الانجليزى الكبير (١٥٦٤ — ١٦١٦) الذى ألف المسرحيات الخالدة فى نقد المجتمع الأرستقراطى ، وأسرار القصور الملكية فى بريطانيا ، والذى حلل عواطف الحب والبغض ، والأمانة والجريمة ، فى رواياته المسرحية الكثيرة ، التى منها « عطيل » و « هملت » و « ماكبث » و « العاصفة » و « يوليوس قيصر » و « روميو وجوليت » ، وغيرها .

ومهم « جان مولير » ، شاعر فرنسا الحر الجرى . (١٦٢٢ — ١٦٧٣) الذى عالج موضوعات الحياة فى المجتمع الفرنسى ، وفضح المساوىء ، وعلى

الأخص البخل والاحتيال ، هادفا إلى تهذيب الخلق برواياته التمثيلية الهزلية ،
التي منها « البخيل » و « العاى النبيل » و « مريض الوهم » و « الطبيب رغما
عنه » ، وغيرها . وهى بأسلوبه التهكى النافذ .

ومهم « جان جاك روسو » ، أحد كبار دعاة الثورة الاجتماعية فى تاريخ
فرنسا . (١٧١٢ — ١٧٧٨) ، وكان لمؤلفاته ، وكلماته القوية ، الأثر البالغ فى
قيام الثورة الفرنسية . ومنها « أميل » و « العقد الاجتماعى » ، وغيرها

ومهم « جان جيته » ، الشاعر والكاتب المسرحى الألمانى ، (١٧٤٩ —
١٨٣٢) ، صاحب مسرحية « فاوست » التى عالج فيها الصراع بين الخير والشر ،
وصاحب « آلام فيتر » التى تصور النواحي الإنسانية العميقة من الألم
والحرمان والصبر .

ومهم « آرثر شوبهور » الفيلسوف الألمانى (١٧٨٨ — ١٨٦٠) الذى
نقد المرأة أشد النقد ، وهو صاحب مذهب التشاؤم

ومهم « ليونولستوى » فيلسوف الإنسانية الروسى ، (١٨٢٨ — ١٩١٠) ،
الذى ثار على الزعماء من الحكام والأكليروس ، فهدد للثورة ، وناصر الطبقة
الفقيرة من الفلاحين والعمال ، ودافع عنهم فى قصصه البديع ، وكلماته الرائعة ،
وفى مقالاته ومؤلفاته

ومهم « رابندراناث طاغور » شاعر الهند العظيم ، (١٨٦١ — ١٩٤١) ،
الذى حلل مختلف الشخصيات ، وبالأخص المرأة التى نظم عنها فى الحب والحياة
أروع القطع الشعرية ، وكتب أبدع وأرق القصص فى الوطنية والسلام .

ومهم « برنارد شو » ، الفيلسوف والكاتب المسرحى الإنجليزى الساخر
(١٨٥٦ — ١٩٥٦)^(١) ، الذى نقد جميع الأوضاع الشاذة بجرأة لم تتوفر فى

(١) راعينا فى ترتيب السنين تاريخ وفاة المؤرخ له .

أحد غيره . وهو صاحب المسرحيات الناجحة التي منها : « بيوت الأراميل »
و « رجل الأقدار » و « كانديدا » و « بيجماليون » .

لقد جمع « بيرم » في نفسه خلاصة من مذاهب كل هؤلاء .

يزيد على ذلك خلاصة من آراء شعراء الحكمة ، والفلسفة ، والوعظ ،
والنقد ، والوصف ، في التاريخ الإسلامي بأجمعه . أمثال « البحتري » وأبي العتاهية
و « أبي تمام » و « ابن الرومي » و « أبي العلاء » ، وغيرهم

* * *

ها هو كصلح اجتماعي يعرض الفارق بين الحال في وطنه والحال في البلاد
الأخرى التي آمنت مدينتها . ليقدم بذلك درسا في الإصلاح .

حا اتجن !

حا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز
دى بلاد تمدين ونضافة ، وذوق ولطافة ، وحاجة تفيظ

ما لا قيشي جدع متعافى ، وحافى ، وماشى يقشر خص
ولا شحط مشمرخ ، أفندى ، معاه عود خافه ، ونازل مص
ولالب أسمر ، وسودانى ، وحمص ، وانزل ياتقزقيز
حا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن والا باريز

ولا عركة فى نص الليل ، دايرة بالحيل ، وساحبها بوليس
قدامها جدع متجرجر ، وشه معور ، قال ده عريس
الخلق ما هي بتجوز ، واشمغنى احنا ما فيش تميز
حا اتجن

ولا واحدة في وش الفجر تبرطع ، مالية الدنيا صوات
قال إيه جوز خالتي أم احمد سلفة أخوها السيد مات
سبحانك ، ما اعظم شانك ، والله الموت دا مفيد ولذيذ
ح ا اتجن

ولا واحد طالع يجري ، وواحد تاني يجري وراه
ويقول هاهم ، حصاتك ، يا ابن اللي ابصر إيه عامله
لا الشارع غيط يا اخوانا ، ولا احنا بدارد ، ولا احنا معيز
ح ا اتجن

ولا واحد يبيع حاجة يقول بريال ، وتأخذها بصاغ
يا اخوانا دي حتى الابرة تأخذها بدوشة وقلب دماغ
حلقان ، وعراك ، ومناهدة ، ويمكن ضرب كفوف يا حفيظ
ح ا اتجن

ولافيش ميت ألف صعيدى بتوع يا نصيب ، ولا فيش
ميت ألف معوض داعس ، جاي معاه صندوق ورنيش
والله كرهت القهوة ، وحرمت أقعد عا الأفاريز
ح ا اتجن ، ياريت يا اخوانا مارحتش لندن ولا باريز

وها هو ينقد حال الأفراد التي كانت توفدهم البلاد في بعثات للخارج مهيبا
بالجميع أن يدركوا أن البلاد تريد رجالا لمستقبلها .

بعثات

يا فندي ياللي أبوك باعتك	تتعملم طب
وفايت العلم وداير	تمشقق وتحب
سبع سنين فأت وانت	تنظس ما تقب
خليت أبوك من مصروفك	يكفر ويسب
سبك بقى من دى الغربة	وارجع يسمع لب
وان شفت فى مصر بطالة	أقمدا بطل
دى مصر عايزة رجالة	مش عايزة عيال
وحضرتك ياللى بتدرس	فى أوربا حقوق
بتعط من قهوة لقهوة	سكران ماتفوق
إب كان قانونك يسكت لك	أنا أقول محروق
والله اللى جابك من ضهره	ماخد الاخازوق
رجعت له بفرق وقصة	وشنب مخلوق
وتنجص له فى الصالة	تقرا الجرنال
دى مصر عايزة
وحضرتك ياللى بتدرس	فن الدويبا
وتعت باطك لرفايقك	دفتر كويبا

ياكل	لويسا	تاكل فراخ وأبوك قاعد
يشرب	سوييـا	وتشرب البـيرة وهوـه
الا	زنوييـا	حتى السيجارة ما تشربها
بشمانية	ريـال	واخرتها تخدم في وكالة
• • •		دى مصر عايزة • • •

وعامل لى عظمـيم	أما اسمه إيه اللى فالقنى
علم التطعيم	قال فى الزراعة يتعلم
طعم البرسيم	يقول لى طعم التين يشبه
بتربى برسيم	والفلح لما بتربى
من غير تعلمـيم	يطلع يبرطع فى العزبة
الطور شفال	والقاية ما دام شغالة
•	دى مصر عايزة • • • •

تحاوليل عا البنكـك	فلوس بتورد م الكايرو
ميت ألف فرنكـك	كتير ومين عارف يمكن
بين هنك ورنكـك	مع الولد يبيعتـها
والجرسـوب سنك ^(١)	يحط للمشروب عشرة
وقرايه فى ضنكـك	ويعيش هنا زايط هايص
ياخسارة المـال	تقول إذا شفت الحالة

(١) سنك عدد فرنسى معناه بالعربية حبة .

دى مصر عايزة رجاله مش عايزه عيال
وينقد الروتين الحكومى ، والتراخى المتفشى فى دواوين الحكومة ، حتى
تتعطل منه أعمال الجماهير :

دوسيهات الدواوين

فى دى الدوسيهات أشفالك وأشغالسى
بقى لها خمسين سنة فى وضعها الحال
فيها معاش أرملة قالت يابو عيالى
وعرضحال شاب بائس م العمل خالى
ومشكلة وقف فاتهما خورشيد الوالى
حاططهما صاحبك وييقول لك وانا مالى
دا حسى بيه المدير العام باعتها لى
ولسه عايزا لها إمضة مستشار عالى
والا حاتمزل على الأرشيف طـوالى
آدى النظـام اللى خارب كل بيت مالى
ومركب الفقر أمثالك وأمثالى
ثم ها هو يصور رذيلة الاختلاس التى تنتشر فى مصالح الحكومة وفى
طبيعة بعض الأفراد ، ويدعو لذلك بالاصلاح .

الاختلاس

ياواد يافندى الديوان معفن من كتر ما بتحشى فيه وتدفن
حايظبطوك عن قريب مكفن بسرقتك والخنوط عليه

اتوسطت عمتك حنيفة	وخالتك أم ابراهيم ظريفة
لخدمالبيه عطاك وظيفة	يادوب عشان تقبض الماهية
جيت انت يادولة الموظف	بدل ما تهتم أو تنصف
بديت لنا تختلس وتخطف	من مال جناب أمك المالية
إلف وشيل ، الفلوس ، ياشاطر	وشغل اللبس في الدفاتر
دا كل راجل شجاع ، مخاطر	والجبن للطفل ، والولية
إسرق يامجدع ، وخذ عيننا	يامضحك الانجليز علينا
ما دام دا عاجب أمك أمينة	إعمل خلاصك يانورعية
في مصر أربع تلاف محامى	أشوف عددكم أقول ياحامى
أتارى فيه مليونين حرامى	وكل واحد عليه قضية
ياواد يافندى العقاب قريب	في ذمتى إنك عملت طيب
لا بد من يوم يحبك يشيب	سعيد ^(١) يزيحك من التكية
إن كنت تسرق دى حسبة واهية	إسرق وخليك تروح في داهية
تصبح بيوت الحكومة زاهية	من خلقة المجرم الردية
إن كان يحب الوزير يوفر	يقوم يراجع في كل دفتر
يلاقى نص العدد وأكثر	يستاهل الرفت والأذية

(١) يقصد سعيد باشا الذى كثرت في عهده التكايا

لو نرَبط الخبص . والرشاوى نرتاح من الصرف والبلاوى
ولما قال يرفعوا الدعاوى يبقى الى يحكم تجيه رذية
دا جيش يا عالم بألف فرقة بتنصرف له الفلوس بحرقه
لله فى الله ، كان وسرقه الله يخيب دى فنطريسة
ثم يتناول مشاكل الرشاوى فى القائمين على خدمة الجمهور من موظفى
الحكومة ، بهذا التصور الرائع لحالة من الحالات التى يتكرر حدوثها دائما :

شغل الحكومة

عيلة بناتها ثمانية ، وأربعة صبيان
ميت أبوم ، وأرشداهم جد غلبان
باع نص بيت ملك واتوكل على الرحمن
يفتح له دكان بقالة زى بعضيشان
دفع إيجار السنة ، وخلو رجل كان
جينا بقى للمساعى من ديوان لديوان
قال فهمى افندى : الرفوف تبعد عن الجدران
وحسنى افندى يقول : الحيطه ناقصة دهاب
وبكرى افندى ، حكم بالفلق عا الدكار
وقال حسن بيه حسين : الفتح فى الامكار
عبال ما فأت سنة فى المنح والحـرمان
ضاع رأس ماله ، وباع الصنجة والميزان
ثم هو الآن يتناول فى موضوع «الكوبونات» ، ويقصد نظام البطاقات.

التموينية ، ما يبدو من جفوة النظم الحكومية في المشرفين على خدمة الجمهور
من رجال الحفظ ، والعناء الشديد الذى يصادفه الناس في التفاهم مع المتطهرسين
من بعضهم : بينا الرؤساء الكبار يمتازون بإنسانيتهم .

الكوبونات

دخلت قسم الخليفة أطلب الكوبونات لقيت شاويش منتفخ بيهرم الشنبات
قريت عليه السلام بالقول والاشارات قال لي ارتكن لما يبجي الباتشاويش بركات
وقفنا شلة إلى أن يحضر المذكور ولما فات المساون وقفونا طابور
ولما شرف سعادة عزت الأمور خلانا نذكر آله الأرض والسماوات
قلت التذلل إلى الحاكم مهش عيبة والدولة يلزم لها التفخيم والهيبة
لا يصبح الشر بالقذ-طار وبالويبة ولا السجون والحديد ينفع ولا اللومانات
ولما جيت يا جماعة مجلس الوزرا حسبت روحى راح ادخل في بلاط كسرى
حجاب ورا كل باب واقفين بالعشرة وكل حاجب وباش حاجب عليه زغرة
تغير الدم من حمرة إلى صفرة لكن أخينا العزيز لما دخلت عليه
غير يقينى وأخلف ظنى بالمرّة

ثم يتناول موضوع نظار الوقف ، وشرهم ، وعدم أمانتهم في المحافظة على
حقوق المستحقين :

ياناظر الوقف من رب العباد ما تخاف ولا الحاكم بتملك منك الانصاف
وان كنت اجازف واقول إن البعيد خطاف أطلع أنا المعتدى وانت من الأشراف

الوقف لك مملكة ، والعدل عنها غاب	لا برلمان يخضعك فيها ولا نواب
عشر سنين وانت تبلى لم حسبت حساب	والمستحقين وراك ما يلتقوا عيش حاف
أول سنة رحلت لك قلت أما أوفى الدين	تاني سنة قلت لي جاري صلاح العين
ثالث سنة رحلت انا حبيت وزرت الزين	رابع سنة رحلت لك كنت انت في الأرياف
خامس سنة خمست عالمكة خشيت	لحد قاضي الشريعة بالبساط وبكيت
طول لتاسع سنة حبل القضية ياريت	سلمت أمرى لربي خافي الألفاف
يا ناظر الوقف خلعت العبارة خل	وانت الى صبحت وقف المسلمين ينحل
بكره الأيادي الجديبة بالفلوس تنبل	ويسرسبوها على أروام وبنسيونات

ويتناول أحوال عبيد الله في علاقاتهم بالتعبد والصلاح ، بينما تحجب مظاهرهم
الكثير من الأغراض والغايات ثم ينتهي برأى قاصم في جنس المعجائز من
النساء

يارب سلطان جمالك يتعبد بالذات	خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات
لكن عبيدك وخلقتك يعبدوك لغايات	صبحوا ، وانا عبد منهم كلهم ترسات
التاجر أما افتقر صلى وصام الفرض	والعمدة لما آتفد جالك وقع في العرض
والقطن لما انحرق صاحبه سجد على الأرض	وكلهم عابادة يطلبوا حسنات
ولما قلت اعملوا بالشرع والسنة	أضمن لكم يا عبيدي الخلد في الجنة
جئات بها التقين بالخور تنهى	قام المريض والمكسح بالسبع ركعات

وانا الى ناوى إذا حققت أحلامي لاحق في كل عام ماشى على أقدامى
واضبط ميعاد الصلا وامسك على صيامى وانفق جميع ماملكه فى البر والصدقات
تقص لي إعر المرة لو حصلت خمسين وبالخصوص لو تكون وحشة من الناشئين
تروق لنا الدنيا، ويروق لك كان الدين والخلق تستغنى عن مشاطات وعن دايات
تبلى العجايز بحمى حامية تمحيهم واذا اقتضت قدرتك إنك تخليهم
الأمر لك بس تطرشهم وتعميهم إنت الى عالم بهم ياخالق الحيات
ويدخل ضريح السيدة زينب فيصور لنا هذه الصورة العجيبة للحقائق التى
تختفى وراء أشباح الناس ، فى داخل الضريح الشريف :

ضريح حفيدة محمد سيد الأكوان
زواره تنسى الهموم وتفارق الأحزان
فيه جوهرة مفخرة متصورة انسان
أخت الحسن والحسين • السيدة زينب
وأقرب الناس بعهد الوحي والقرآن
وفى المقام الكريم محال ومحتالة
عا الزائرين يلعبوا نسوان ورجالة
تعرفهم المسلمين فىكى يا بنفالة
ويدور عليهم نقيب يبحث عن الحلوان

وكل يوم تنشل كام محفظة فـلاح
وكل يوم تنفم الشباحة والشباح
واحـدة الحلق من ودانها باللطافة راح
والثانية ضاء من سكات من صدرها الكردان

والنصايين . والاصوص قاعدين بشكل مرب
في القبة « ليلا سهاراً » واسمهم محاسب
مترصدين بالمقالب ضد كل غريب
والغرب تحضر ألوف من كافة البلدان
وفي المقام الكريم يدخل هاموش وهاموش
يجبوا أهل النبي لكن ما يبصلوش
ويجبوا أهل النبي لكن ما ييزكـوش
غير قرش . والقرش ياريتة لفقـير غلبان

ثم هو هنا يعطى درساً لجماعة الأمهات في سوء رعايتهن للأطفال ، مندداً
بالإهمال الذي يهوى إلى الموت .

في التربة حطت ثمانية
لو شفتي يا نظرة هانم خللك أم رءوف
والموت ييجرف عيالها بالجاروف ويـزوف
في التربة حطت ثمانية ، جنب بعض صفوف
وادی الی فاضل علی ادیها ولد مقصوف

جابت في أول ولادة البكرى في شعبان
في النص باين ، وقام كل يا دوب رمضان
تعالى قال دغدغى له الكعك دى الغابان
ما بات بميد عنك إلا في الكفن ملفوف
والثانى كاب كل لحظة تعطيه البرة
ولما يصرخ تهززه ستميت هزة
راح من إديهـا على التربة وله حزة
عالبطن والركبتين من دى القماط الصوف
والتالت اللى حبي لها بلغ سنتين
فايتاه موسخ وقال خايفة عليه م العين
يقوم على اديه ، ويتدور ، صلاة الزين
شاف لك وابور الطيخ والع وراح محذوف
وعاش لها الرابع اتناشر سنة بالزور
باعت عليه الأساور في علب وبخور
طلع عداكى ، بليد ، ألدغ ، عبيط ، مطيور
يوقع القرش ، ويقول عا الحمامة خروف
استنظره الموت ، وفي العيد الكبير جاه
في اللحم ، لما حشر من كل ما طاه

أكل في بيتهم ، وبيت عمه. ، وبيت خاله
ويعيد غداه ، كل ما يدخل لأهله ضيوف

والخامس اللي طلع لك من أخوه أعبط
فسد ، وخاب ، ماتشوفيه في البحر يتلعبط
يا عالترمواي بيتقنرح ويتشعبط
وصل الخبر للمرة إن ابنها منسوف

أما رءوف اللي كانت كل يوم توصيه
إذ ان أبوه يسأله عن أى شىء يخفيه
كبر ، وكان ان طلب حاجة ، ولم تعطيه
يدغها العلقه ، والسيم القديم معروف

ولما كان الولد في نشأته كذاب
والكذب دا يخلي صاحبه في الكبر نصاب
رءوف في كل الصنایع والوظائف خاب
طفش على الكبومات^(١). ويا اللي ماتوا ألوف

قلت لها يا دلعدى العيل إذا كتر
من اللبن يتجمع ويش حال إذا اتظفر

(١) العسكرية التي كانت منتشرة لسلطات الانجليزية في ذلك العهد

قالت : يا شيخ كل شيء مكتوب ومقدر
قلت لها : طب والحجاب ؟ قالت : داشيء موصوف

يا نظـلة هانم ، في نواننا أنا كليت
حتى الشتية بعـدد عن ستي ما خليت
قصـدى صلاح النسا ، والمائة والبيت
لأن نسوان بلـدنا رجالهمـا قحوف

ثم يتناول ما يدور بين الحريم في البيوت من حوار سخيف ، يسىء إلى
الكرامة ، ويضر برقى المجتمع الذى تتوخاه في أديهن ، وتريتهن ، وثقافتهن .

الحـريم

أنا حافتح شباك يازكية دى طراوة وساعة عصرية
شوفى ياختى الناس رايحة وجاية والعريسات اللـيـانة
حلاوة بيتكم ياختى يافايقة عا الشارع وله شكل وهياة
يا ما با ابقى ف بيتنا متضايقة كدا وحدى وقاعدة طهقانة
الشيخ ده أبو جبه طرايشى وحزام متدلل مناویشى
جه خطينى وبابا مارضىشى قال مارضىش يسكن ويانا
شوفى شوفى الراجل يميل عا الشبة اللى معاها العيل
واهو يكلمها المنـيـل واهى ردت رخرة التلفانة

وكان يتجاوب بملاطفة
يحنى النسوان جاتهم قصفة
والافندى الى فايدة عصاية
جاك نيلة دى زى الحراية
والافندى الى ببدلة رمادى
مستقل وف حاله وهادى
وادى جوز بنت حسين أفندى
وفى صدره المنديل الوردى
يقولوا الناس دا مغلبها
وابصر مين كان قال سيها
ياخى جاتها مصيبة فى خلقتها
هيه الى بفعل بسلامتها
خشى أحسن بابا حاشوفنا
يطلع يشـتمنا ويكسفنا
وها هو يعالج مشكلة الحب الجنونى ، الذى يندفع فيه الأفراد بطيش وخيـ

الم

يا لى تقول الحب نعيم — بس انت بهيم —
ما يعلك غير التلطى — بين الجالات —

حسدت عاشق على معشوق	لو كنت تـــــــدوق.
تـــــــلم بان الحب خازوق	مش بلع امهـــــــات.
ما حد منـــــــه بلغ أمله	وركب جمـــــــله
ياما عمـــــــل وبلغ عمله	بدع الســـــــتات
آه لما تاخـــــــد مرة ميعاد	وتقف منـــــــكاد
تقول ما جاتش البنت يا واد	ليلتك حـــــــومات
تقف من اثنين تحت الكن	لحمـــــــة ترن.
لاست ولا ســــتوتة تحن	على الشـــــــحات
ولا أما تتمحك عالباب	ويجي البـــــــواب
ويسألك إيه الأســــباب	لك ستـــــــاعات
يا يقول عليك سافل ملعون	يا يقول مجنـــــــون
يبقى إن ما كان دا يكون دا يكون	ضرب مقشـــــــات
الحب له تخايل وأمر	وتاريخ مســـــــطور
ودعس كبس من المأمور	عالعريـــــــات
الحب خلا ناسات سهوت	وناسات كفـــــــرت
ويا ما ناس فيـــــــه امتحرت	ف الذهبـــــــيات
ومش مصيبة أما الإنسان	شرفه ينهـــــــان.
لما يكلم دى النســــوان	بالعرضـــــــات.

واللى أنا متمشق فيه	وبروحى افديه
ما شفت له فى الدينى اشبيه	ولا فى السموات
من بعد ما أحلف بالله	أحلف بهـ
وعشقى له طاهر ترضاه	كل الدينى انما
والقلب دا يا نور العين	ما يساعش اثنى
غيرك ما فيش يام الهرمين	معشوق بالذات

وفي هذه القطعة المؤلة يصور مأساة في ملجأ للأيتام بمدينة طنطا ، كان جميع الأطفال فيه قد أصيبوا بالانكلستوما ، لتناولهم طعاما ملوثا ، ثم حقنوا بحقن غير نظيفة فماتوا جميعا :

من خوفى لا يجينى	عيل يتيم
ويلوص من بعدى	والناس فيه تشم
وان رحموه يدخل	فى الملجأ يخدم
سعادتلو الناظر	من غير شهرة

على بيته يجره	يقضى طلباته
ويوماني على الله	يمسح له بلاطه
وابنه الى يريضع	يفسل له قماطه
لا ملهم ياخذ	ولا شربة ميه

ایتام	انصـ	ابت	بالانکلیسوما
ووراهم	ناظـ	ر	سایق بالشومه

اتحفظوا وناموا	كأت آخر نومة
وانشالوا وراحوا	فى الأمة ضحية
حالف ما اتجوز	ولا اجيب لى أذية
قولوا ويأيه	تحيا العزوية

وهو هنا يعطى درساً ناجحاً فى قيمة العمل الحر ، اختار له عنوان
« الصعايدة » ليكون دليلاً صادقاً للمقارنة بين صاحب العمل أو التجارة ،
وحامل الشهادة العبي

الصعايدة

حلال عليكم يا صعايدة	تكسبوا الملايين
بمزمكم نلتو القايدة	والجميع نايمين
فلوس على المصرى عايدة	مش على الثانين
خضار، وسمك، كله مزاييدة	واشتغل يا زيدان ^(١)
من غير كتابة ولا قراية	تملكوا العمارات
وانا والذوات اللى معايا	قال بتوع شهادات
مقعدانا فى تكايا	نشحت العلالات
فى كل كام عام وكفاية	نفختك يا ديوان
شلة كوامل وصوامعه ^(٢)	شقلبوا الأوصاء

(١) تاجر جملة صعيدى معروف .

(٢) الكوامل والصوامعة عشائر صعيدية .

كسب الوزير سنوى فى جمعة يكسبه البىـاع
اتشطرى لنا انتى يا جامعة واخلى الصباغ
يترصصوا رؤيا وسمعة يلعبوا كونكان

وها هو يعالج موضوعاً خطيراً ، وهو موضوع أدعياء الأدب والفضولين على مآثدته . ويصور هؤلاء « الهلافيت » وسط بيئتهم . بل إنه ليصور الحالة المعنوية لضيق حال الأدب ، وبؤس حال الأديب .

المـؤلف

عبد السلام أحمدین صالح زنائى جاد
أفندى حاجج ، ولكن من بنى « شداد »
ما يفوتشى نوبة الصلا ، بعد الصلا أوراد
وكل أسبوع فى بيته الذكر والانشاد
له مكتبة تلقى فيها بهجة العشاق
والجلال السيوطى لهفة المشتاق
ونسخة فى الطب والحكمة لسبعين داء
وكتاب محارى كان من ريحة الأجداد
طلعت فى راس أحمدین يعمل كتاب تأليف
حيث إازه عصرى وجده شيخ طريق وشريف
وصار يصنف ويجمع فى الحكم تصنيف
شئ عن عطا الله وشئ عن ظافر الحداد

هار ولیل والکتاب یتعاد ویتراجع
وکل صفحة انکتب فی طرفها تابع
سبع شهور والمؤلف ناوی فی السابـع
یطبع وصول اشـتراک ویحصل الایراد

قالت مرأة أحدین لما وحشها الیه
ما اعرفش لیه بس یتعب کل لیلۃ عنیه
ماشفت مثله یفتش عما التعب بإیدیه
بشوف عما یله دی وحیة النبی بانکاد

لو کان داشیء منه فایدة کنت أقول یاطباه
السعی عالرزی واجب ، لم أحد یأباه
لکن حیا الله ؛ کتاب عمری ما انا شاریاه
بقرش تعریفه ، والا قرش صاغ ان زاد

قال یاعبیطة ، بلاش دوشة وقلب دماغ
دا کتاب ثمین فی «العلوم» حقه حداسر صاغ
واهو النهاردة علی وش انتها وفراغ
وبعد ما ینطبع ویجیب فلوس یتعاد

عبد السلام بالدفاتر دار علی الاخوان
من له عشم فیه یناوله الدفتر الملیان

عشرين جنيه لهم بالقربة والفنجان
والوصل فيه الحساب لكن ما فيش ميعاد
قالت له هات لى بقى يادلعدى ملاية
وغويشة واحدة ، ولومفرد بدلاية
وان كان نقص شىء أكل مللى ويابه
كان الكتاب اتجمع فى المطبعة يا اولاد

بيعت له صبيانه صاحب المطبعة سلامون
يقول لهم من سريره عندكو الكركون
لا بالمراسلة أخذ حقه ولا بتليفون
آخرتها باع الكتاب بيعة ورق فى مزاد

واللى اشترك فى الكتاب وصله الكتاب ثانى
الى اشترى فيه بلح واللى اشترى سودانى
واللى اشترى فيه عنب ، واللى طحال ضانى
القصد إن الكتاب برضك لأهله عاد

ثم يذهب « يرم » إلى بعيد ، فيصور لنا ، وهو فى باريس ، مرقصا من
مراقص الزنوج وكأنك ، وأنت تتأو عبارات « يرم » فيه ، تتبع الإيقاع
للموسيقى فى « جازباند » الزنوج خطوة خطوة .

مراقص الزنوج

يجمع البدور والزنج	تحت في الظلام دانسينج
أحلى من حقن مورفين	مخبوطين بمحنة بنج
بنج من جمال أشكال	بنج من جمال أشكال
مندغم نغم شياطين	من جعب قصار وطوال
والقدود تميل للحب	ترجف القلوب وتطب
ياللى فى الميدان نازلين	هب شدوا حيلكم هب
دايرة والتغير ممدود	طبيلة العبيد السود
تنتقل شمال ويمين	خلت ام أجمل عود
يقلب الملايكة بحن	تسمع السودع يذثن
فى المدموازيل جوزفين	لما كل عرق يحن
أختها الشمال وتميل	ترفع اليمين وتشيل
ياختى والعيون ناعسين	عالمجدع بشكل جميل
«وكتوريس» من السربون	واللى حطوا لون على لون
عن عصب أم غافلين	والجدع من الكاميرون
فى المهج بفحم عبيد	يشغل الغرام ويقيد
بعده بطلوا الكوانين	بدع من أوربا جديد

واللعين إديه بتلف خصر يترعش ويرف
جسمه يبتعد ويخف ضو غري والجميع شايفين
لابسة روب حرير مكشوف من حروف تشد حروف
لى ما اتصلش يشوف يعنى كلهم فايزين
يجعل الكلام ده خفيف عالى عقله له ضعيف
واللى قلبه له عفيف يفهم الشرف والدين.

« إن بيرم كان يمكن أن يكون رساماً
كبيراً فالكلمات تخرج من فيه ، وكأنها
عذارى جميلات ، تلبس أنحر الثياب .
والصورة الشعرية تفـادر خياله ،
وكانها مواكب أفراح وأحزان ، تنير إلى
دنيا الحواس . »

رشدى صالح

فلسفة بيرم

هل تقتصر على أن تعرف «بيرم» شاعراً وزجّالاً، ومؤلفاً للأغاني، فحسب، كما تقف في معرفته عند هذا الحد، للأسف، أذهان فريق كبير من القراء أم الأجدر أن نكلف أنفسنا دراسة أعماله، وأن نتناول بالتحليل الدقيق أفكاره ومعانيه؟

ليس من شك في أننا سنؤمن بعد هذه الدراسة، وهذا التحليل، بأنه كان فيلسوفاً.

لم يكن شاعراً ينظم ما لا هدف له.
ولم يكن زجّالاً يصوغ من العبارات ما يرمى فقط إلى النكتة والمتعة العارضة.
بل كان أعمق من كل ذلك بكثير، فيما نظم أو زجل .
كان فيلسوفاً بحق .
كانت عباراته السهلة الرقيقة نابضة بالفلسفة العميقة المعنى .
كانت نقداً لاذعاً .

كانت كالسياط التي تدمى الجسد، وتمزق الجلد .
أليست القوة كلها تنبض مع الفلسفة في مثل هذه الكلمات، التي يصور بها «بيرم» قومه؟

يامدغدين بعضكم يامنفعين الناس
يامكسرين جنسكم يامجبرين «بابولاس»
من كان على شكلكم أجسام بدون احساس
حمض الفينيك والسلياني لهم موصوف

وأليست الفلسفة في أعرق معانيها في مثل هذا الوصف ؟

في مصر أربع تلاف محامى أشوف عددهم أقول يا حامى
أتارى فيه مليونين حرامى وكل واحد عليه قضية

وفي مثل هذه الحكمة الصادقة :

ياما غنى يشتريها، والفقير مدعوق والرب يخلق، ويمنع نعمته المخلوق

بل يكفى دليلا صادقاً على نجاح « يرم » في تعبيراته الفلسفية قوله في
تصويره للمرأة مخاطباً المالك .

ولك قوالب في الأجسام غلب الرسام
يقلدك بحجر ورخام يملقك أشرط

وإذا ما قارنا « يرم » بشعراء الفلسفة والحكمة ، أمثال « أبي العتاهية »
و « عمر الخيام » ، مثلاً ، في العبارات القصيرة النابضة ، الصارخة بمعاني الحياة ،
وجدناه لا يقل عنهما بل قد جاراها أحياناً على قدم المساواة والفارق الوحيد
بينه وبينهما ، وبينه وبين الكثيرين غيرها ، أنه قد يصوغ عباراته بلغة العامة ،
التي تتجاوب مع مفاهيم الشعب ، ليس إلا ذلك ، وهو لعمري اختصاص لم يتأت
لفير « يرم » .

* * *

ونحن معه الآن في معرض أقواله :

فلنستمع إليه في هذه انقطعة ذات العبارات المختزلة ، والألفاظ الدقيقة المعبرة ،
التي يحاكي بها فلسفة « أبي العتاهية » في مقطوعاته الصغيرة في الحكم والمواعظ ،
وهي قطعة رائعة ، بل معجزة حقاً :

قال لى مش الدنيا فانية قلت له حقة
قال إيه مراد ابن آدم قلت له طقة
قال إيه يكفى منابه قلت له شـ____قة
قال إيه يعجل بموته قلت له زقـ____ة
قال حد خالد عليها قلت لـ____ه لأه

قال لى ما دام ابن آدم بالصفات دى نويت
أحفظ صفات ابن آدم كل ما اترقى

وهذه القطعة الجميلة عن الورد ، وهى نوع مبتكر من فلسفة النظم =

يا ورد استنـ____ظرك قبل الربيع بربيع
وأوهب لك العمر

واجعل لأهل الملامة فى هـ____واى شفيح
أوراقك كالحمر

دى رقتك علمتنى أبقي عبد مطيع
للبيض وللسم

واوهب لك العمر يا للى عمرك انت قصير
ويقصر المـ____هم

أوراقك الحمر تشرب دم قلبي عصير
يا اغلى من الدم

للبيض وللسم تهدي وانت حر أسير
تنباس وتنضم

ويقصر الهم زولك وانت له جاي
في عالم الغيب
يا أغلى من الدم لونك في عروق الحى
حتى مع الشيب
تنباس وتنضم قسداً الرقيب فى الضى
ما فيكش من عيب
وفى الحديث عن الفن

الفن

الفن ياهل الطبيعة روح تخاطب روح	بلغاها
والفن ياهل الحجة عين تكلم عين	بناهاة
والفن ياهل القلوب صوت من سكوت الموت	أحيهاها
ياطالب الفن ، إفتح لك كتب فى الفن	تقراها
يامطول الشعر ، ومشلش بدلدولتين	ومبلم
شوف النجوم فى السما ، متوجهين على فين	واتعلم
وشوف بكا العين ، وضحك الفن فى الاثنين	واتكلم
ورد الحدود فن	فيه الفن يتغير
طول القودود فن	فيه العين تتحير
وكل شىء فى الحياة	بالفن مقير

ياطالب الفن

وفي قطعة عميقة بعنوان « بين القبور » . وكأنها « تابلوه » ناطق بحقيقة الحياة ، وواقعيتها ، في المفارقات بين طبيعة الفنان في نفسه ودقائق حياته ، وبين محيطه الذي يذيب فيه نفسه :

بين القبور

ياريس الفن ، ياسارح بأرغولك طالب من الله
إن شفت بين القبور أطرش ينادى لك أجرك على الله
زمر على بلوتك ، واجمع هلاهلك وتوب إلى الله

طالب من الله وليه طالبة العبيد منك ياليل وياعين
أجرك على الله ، لا أجرك على فنك الفن دا زين
زمر على بلوتك ، الله يزيج عنك يوم الحساب دين

ياليل وياعين . سهرتى بين تجار النوم أعدا وأحباب
الفن ده زين بس يرضى القوم وتقول ما يتعاب
يوم الحساب دين . يوفيه الجحود فى يوم فيه الشفيغ غاب

أعدا ، وأحباب عليهم تنزل الشياطين محكم جبار
وتقول ما تعاب . جهنم تحشر الظالمين فى سجن من نار
فيه الشفيغ غاب . وأهله فى المذاب خالدين لا ليل ولا همار

وقطعة بعنوان « بنات محرى » يحتملها بفسلفة عميقة رائعة

بنات محرى

أبواب جهنم فى يونيه ———هـ تفتح رسمى
لى على الشط قالت يا جمال جسمى
أفواج بتدخل جهنم بعهدها أفواج
وفى كل فوج الزبانية تلتقى اسمى
لادخل جهنم مع اللى جسمها م العاج
ووسطها لما تمشى ينتنى رج — راج
تمثال من الحسن فوق الشط والأمواج
قلوب تسم — لم على التمثال ونسمى
وادخل جهنم مع اللى خصرها مزنوق
وجسمها فى المياويه المخترب مخنوق
الكورة ترميها فى وشى وأنا مفلوق
تيجى تقول لى ناولنى الكورة باعى
وادخل جهنم مع اللى مشبطة ع البار
وتنتنى وتنفر دلى فى أدب ووقار
خلتنى أروح للشيطان اللى قاعد فى الدار
واقول لها إمتى تبقى طالقة زى امى

وأقول يارب تحرقنى وأنا عندك

واللى عشق واتعشق منك ومن عندك

أنا كنت فى الدنيا بتفرج على فنك

قال لى هناك صنعتى لكن هنا حكى

ثم يرسم صورة عجيبة لعزرائيل ، يضع اللمسات فيها من جميع الأمم الأجنبية ،
المتطاحنة فى شرور الحروب والفطرسه :

عزرائيل

مركز أوروى	فى النوم رأيت عزرائيل
معوج وسبى	ضوفه انجليزى طويل
أزرق فرنساوى	وناب يشيل ألف فيل
فى مجرى ملى	والقم يبلع قبيل
فاشيست طليانى	عليه قميص من سواد
من صلب جرمانى	وجنبه منجل حصاد
من بعب بريطانى	وف خرج زاده زواد
من دقة يونانى	ومعاه خناجر بولاد
والوقفه مكسيكى	واقف فى نص الطريق
من طرز أمريكى	ماسك تليسكوب دقيق
فيه فحم بلجيكى	ينظر فى منجم عميق
يشعل ميكانيكى	يستنى لىمى الحريق

قرئت عليه السلام قام رد بلغارى
 طلبت منه الكلام كلمنى باقارى
 شاورت باليد قام شاور لى هنغارى
 صحيت أنا م المنام أقرض فى أظفارى
 ثم يتناول كثيراً من أحوال المجتمع الذى يحيط به فى قطع متناثرة فى
 ديوانيه ، « الأول والثانى » ، ومنها هذا النموذج بعنوان « الفواكه » .

الفواكه

حاطين فى مدخل جماركنا خير خندوق
 يقول على كل وارد للبلا موبوء
 خافين من الخوخ ، والكثرى ، والبرقوق
 فيهم جرائم حتمدى الخندويل فى دسوق
 واحنا هنا م (البصرة) قلبنا محروق
 وربقنا يجرى على حنة جزر مسلوق
 أصل الحكاية الذوات ، ولهم علينا حقوق
 زارعين بساتين ، وخافين من نزول السوق
 ياما غنى يشتريها ، والفقير مدعوق
 والرب يخاف ، ويمنع نعمته المخلوق
 وهذا النموذج بعنوان الزحام

الزحام

شوف الجاموس لما يشرب من شطوط النيل

الواحدة جنب اختها واقفين في صف جميل
شوف الغنم لما تطلع للمراعى رعىل
لا الكباش يطنى ولا ينطح بقرنه فصيل
شوف الطيور لما بتروح فى كل أصيل
أسراب منتظمة ، راجعة الحى بدليل
وانظر وشوف البنى آدم ، بتوع الجيـل
كل الأمور عندهم بالزغد والتشـصيل
قالوا اللى ما يكونش فى الأول دايبقى عويل
ومن كده بالقليل فى كل زحمة قـتـيل
والله البهايم ولا أولاد قايل وهايـل

وهذا النموذج أيضاً فى استهلاله لقطعة تهكمية عن طبيعة البشر :

الفرق بين ابن آدم والخروف معروف
ان ابن آدم بعقله فى الخطر محفوف .
أما الغنم فاللى فى وسطها فايز
لبن ، وزبدة ، وبسطرمة ، وجلد ، وصوف

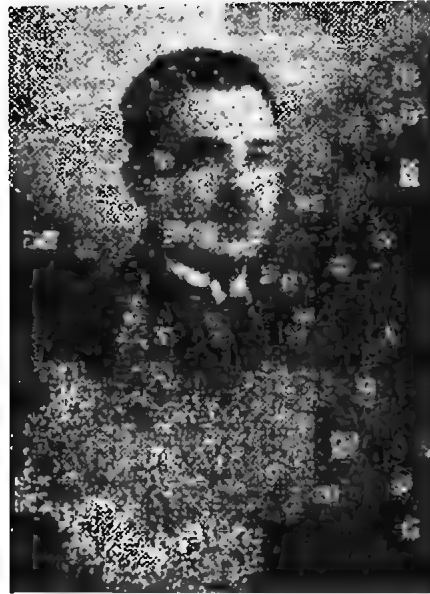
وفى البلد مية والقاريين على الكاتيين
سبعة ومعنا الحير أكثر من التسمين .
إن خش فى دول ودول الفجر والتمدين
نشوف مسخ شبراخيتية — وياما نشوف .

أما وصفه لختلف الألوان التي تحفيها عيون النساء فقد بلغ به غاية الإجابة
في تصوير الواقعية

العيون

من العيون ياسلام سلم	شوف واتعلم
تحت البراقع تتكلم	والدينيا همار
عيون تقول لك قصدك إيه	بتبخلق لييه
مالكش شغل تعمس عليه	ياراجل ياحمار
وعيون تقول لك أنا عارقاك	والنبي ما انساك
من يوم ما شفتك م الشباك	ياجد يا صفار
وعيون تقول لك روح يارذيل	يا بوم دم تقيمل
يا باي كبة في الخاليل	ياماهمه كتار
وعيون تقول لك بالمحسوس	أنا عاوره فلموس
وان شالله حتى محوس وتدوس	أنا عامله كار
وعيون تقول لك إمشى ياواد	أنا أم اولاد
وعيون تقول لك عندي ميعاد	ويسا المسار
وعيون تسبل فوق الخد	دي جد في جد
وعمرها ماتكله حد	دي عيون أحرار

وعيون ما تعرف زعلانة أو فرحانة
صباح مساأهي سهتانة وصاحبة أفكار
وعيون لها ضحكة في وشك بس تفشك
وتبص من تحت البشمك تلقى المنقار
وعيون كده يبقم ساهتين صفر وباهتين
بالشكل ده عيون الخاينين تضرب بصفار



صورة يرم التونسي أيام صباه
حين كان يهاجم أسرة محمد علي

بيرم وأسرة محمد علي

كان « بيرم التونسي » في وقته ، أجراً من تصدى لأسرة « محمد علي »
فأعلن عليها الحرب

كان ذلك حين كان كل مواطن يخشى أن يتحدث عن مساوئها، ولو همساً.
بدأ عليها هجومه الجريء في عهد السلطان « أحمد فؤاد » - الملك فؤاد فيما بعد -
بل كان هجومه على « أحمد فؤاد » نفسه . مرات بأزجال مكتوبة ، ومرة بزجل
لم ينشر ولكنه دوى في البلاد حتى صار محفوظاً على الألسنة ، يتصايح الأفراد به
في الطرقات .

كان الديوان ، أو سراي السلطان ، هو المسرح الذي ظهرت عليه الواقعة
التي استغلها « بيرم » أساساً لهجومه .

فقد شاعت أخبار عن غرام سافر لابنة السلطان « الأميرة فوقية » من
روجه الأولى « شويكار » التي طلقها واقتن « بنازلي عبد الرحيم صبرى » الزوجة
التي لازمته حتى مماته .

وكان هذا الغرام مثاراً لأقاويل علت الناس منها أن محافظ القاهرة الباشا^(١)
إذ ذاك ، على علاقة غير شريفة بالفتاة .

فحين تسرب الخبر إلى خارج السراي طلب « فؤاد » من المحافظ أن
يتزوجها ، فرفض . فعرض الأمر على أخيه مغرياً له بالجزاء ، فقبل . وبذلك
ستر الأمر

(١) حسين باشا فخري

وكان حظ هذا الزوج الترقية المطردة إلى أعلى الرتب، وقضى أكبر قسط من حياته بفرنسا في وظيفة دبلوماسية بعيداً عن ذاكرة الجمهور^(١)
أسرع «بيرم» وكتب في مجلة المسلة، التي كان يحررها إذ ذاك، هذا الزجل:

البامية السلطاني

على وزن الأغنية الشعبية المشهورة

مرمر زمانى يازمانى مرمر

البنات ماشية من زمان تتمخطر والفلة زارعة في الديوان قرع اخضر
تشوف حبيبها في الجا كيتة الكاكي والسته خيل والقمشجى الملاكي
تسمع قولتها والعافية هيلة والجدع متشطر
الوزة من قبل الفرحة مدبوحة والعطفة من قبل النظام مفتوحة
والديك بيدن والهائم مسطوحة تقرا الحوادث في جريدة كتر
ياراكب الفيتون وقلبك حامى إسبق على القبة وروح قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى وابوها يشبه في الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك وجيب لها شبشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القديم من طوقك يزل في طوعك لا الولد يتكبر
دا ياما مزع كل بدلة وبدلة وياما شمع بالقطار والفتلة
ولما جه الأمر الكريم بالدخلة قلنا اسكتوا خلوا البنات تقستر

(١) محمود غزى (باشا) سفير (الملكة المصرية) بفرنسا

وكان لهذا الزجل رجة في جميع الأوساط

وما أن بلغ الأمر السراى حتى أعقب « يرم » بزجل آخر ، أشد إيلاماً
في مفزى عباراته للسلطان فؤاد .

فقد كانت ولادة ولى عهده « فاروق » في ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ ، ولم
يكن قد مضى على إعلان زواج السلطان بنازلى ، التى تزوجها بعد شويكار ،
إلا قرابة السبعة شهور . وكانت الوقائع تلمح إذ ذاك أيضاً إلى أن شيئاً غير طبيعى
وراء عدم الاحتفال بمراسم الزواج ، التى كان قد تعودها الشعب من الأسرة
الحاكمة ، حيث اكتفى بالإعلان عنه^(١)

فنظم يرم لذلك زجلاً طويلاً شنيعاً - هو الذى أشرنا إليه بأنه لم ينشر -
كان الناس يتصايحون به فى الطرقات . ثم نشر فى المسلة ، فى العدد الأخير الثالث عشر ،
زجلاً آخر بعنوان : « البامية السلطاني والقرع الملوكي » . وجاء فى هذا الزجل .

البامية فى البستان تهز القرون وجنبها القرع الملوكي اللطيف

والديدبان دابر يـلم الزبون صهين وقدم وامثل ياخفيف

نزل يـلملعلط تحت برج القمر

ربك يبارك لك فى عمر الفـلام

ياخسارة بس الشهر كان مش تمام

أما الزجل الذى لم ينشر ، والذى حفظه الناس ، فمن عباراته :

إسمع حكاية وبمدها هاها زهر الملوك فى الولد أهو طأ طأ

مالناش قرون كنا نقول مأمأ ونا كل البرسيم بالقفة

(١) كان يظهر دائماً فى تدوينات التقويم السنوى أن زواج نازلى تم فى سنة ١٩١٩
هون ذكر اليوم أو الشهر

سلطان بلدنا حرمة جابت ولد وقال سموه بفاروق
• • • • •

فاروق فارقنا أمال بلا نيلة دى مصرمش عايزة لها رذيلة
دى عيشة بالقوة وبالتيلة ومين بقى يلحس دى التفة
ياداية ليه ما انتش حداية خدتيه ورحتى على الجبلاية
جبتي لنا خبره وتنك جاية وندق لك فى البيت الزفة
ياعزرائيل اخلص بقى تاوى ناقص سوا وديه عا النار
وخد كان جوليا قطاوى ياما الزمن كشف الأسرار
• الخ •

وجن جنون السلطان فطلب القبض على « يرم » وإيداعه فى السجن .
ولكن تنفيذ ذلك لم يكن ممكناً ، إذ كانت أسرة « يرم » مازالت تحتفظ
بالحماية الفرنسية ، لتبعية الأولى لتونس التى كانت محتلة من فرنسا . وكان
قانون الامتيازات الأجنبية يحول دون ذلك . فاكتمى بتعطيل المسئلة وجمع
أعدادها التى طبعت .

وأصدر « يرم » بدلها صحيفة أخرى باسم « الخازوق » ، ولم يسكت ،
بل ضمن صحيفته الجديدة فى عددها الثانى كلمة بعنوان « لعنة الله على المحافظ » ..
جاء فيها

بينما كنت سائراً فى طريقى (لاليه ولا عليه) إذ حدثنى النفس الأماره
بالسوء ، وقادتني رجالى اللعينتان إلى العتبة الخضراء ، حيث يكثّر النشالون
على الطريقة الأمريكية . فتقدم منى نشال فى خفة ورشاقة وسرعة . وانتقل

محفظتى ، فصحت بأعلى صوتى: «لمنة الله على المحافظ» . فغطت له هذه المجلة أيضاً.

وكان « قواد » فى أشد حالات الفضب ، ولكن لم يكن من الميسور حبس « بيرم » فاتصل السلطان بالسلطات الإنجليزية التى ما أدركت خطورة هذا الأديب حتى انتهزتها فرصة لتخلص من شروره ، واستقر رأى بمعاونة الإنجليز ، على ضرورة ترحيل « بيرم » إلى تونس ، أى نفيه إلى خارج البلاد . واتخذت الإجراءات لذلك مع القنصلية الفرنسية .

ونفذ البوليس المصرى مع أولئك الأجانب أمر القبض على « بيرم » .

كان « بيرم » يسكن إذ ذاك فى بانسيون محارة الطواشى ، المتفرعة من شارع عبد العزيز خلف محلات عمر أفندى . فدخل عليه البوليس المصرى مع مندوب انجليزى وآخر فرنسى ، واعتقلوه . ومضوا به تحت الحراسة فى قطار السكة الحديدية إلى الاسكندرية . ومسا على باخرة إلى وطن أجداده تونس .

وكان ذلك فى يوم عيد الأضحى ١٠ ذو الحجة عام ١٣٣٨ هجرية ، الموافق ٢٥ أغسطس عام ١٩٢٠ ميلادية . وكان يوم أربعاء

وما استقر هناك حتى أرسل زجلا فيه التجريح الخفى للسراى وجاء فى مطلقه

ما قتلش ياراعى الرعيان بقى لك أزمـان
إزاي أحوال الخرفان بتـوع المجزر

ثم أعقب بزجل أرسله من تونس فى ١٩٢٢ ، بعد إذ أصبح السلطان أحمد قواد ملكا ، عقب التصريح البريطانى المعروف بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وفى اعترفت انجلترا بالاستقلال الذاتى لمصر .

وهو زجل فاضح ، أقرب إلى « الردح البادى » . وفيه يقول :

ولما عدمننا بمصر الملوك جابوك الانجليز يافؤاد قعدوك
تمثل على العرش دور الملوك وفيه يلقوا مجرم نظيرك ودون
وخلوك تخالط بنات البلاد على شرط تقطيع رقاب العباد
وتنسى زمان وقفتهك يافؤاد على البنك تشحت شوية زيتون^(١)
بذلنا وله ببذل نفوس وقلنا عسى الله يزول الكابوس
مانابنا الا عرشك ياتيس التيوس لا مصر استقلت ولا يحزنون

* * *

واستمر عداء « بيرم » للأسرة المالكة - أسرة محمد على - حتى أنه
كان لا يفوته التلميح بما يكرهه في نفسه وإنك لتشعر بذلك حتى في الوقت
الذى عاشه في مصر بعد استقراره الأخير .

(١) كان أحمد فؤاد قديراً قبل أن يدعو الانجليز لتولى السلطنة .



يهرم يمتقله البوليس المصرى والأجنبي

يرم في المنفى

وقعت أوامر النفي على « محمود يرم التونسي » مرتين : الأولى حين نفي إلى تونس بعد قذفه المقذع لأسرة محمد علي ، وكان ذلك - كما ذكرنا - في ٢٥ أغسطس ١٩٢٠ . والثانية في أواخر ديسمبر سنة ١٩٢٤ ، إذ نفي إلى فرنسا . وقد ظل في تونس في المرة الأولى زهاء العامين ، لاقى في أثناءهما الضيق والضنك ، حيث كانت تلك البلاد ، في ذلك الوقت ، تعاني أشد البلاء من الحكم الفرنسي ، وكان أهلها المقيمون لا يجدون لأنفسهم وفرة القوت . وهو يشير إلى ذلك في قول له « على الأرغول » ، نظمه بعد نفيه الثاني .
جاء فيه :

الأولة ، مصر ، قالوا تونس ، ونفوني ، جزاة الخير ، وإحساني
والثانية ، تونس ، وفيها الأهل جحدوني ، وحتى الغير ، ما صافاني
والثالثة ، باريس ، وفي باريس جهلوني ، وأنا مولير ، في زمانى
وكان قد عزم على الهرب من تونس حين ضاقت الحياة في وجهه ،
فاندس عاملا في سفينة وصلت به إلى الاسكندرية ، وانهز الفرصة وحاول النزول
خلصة ، فاكتشف أمره ، وأعيد من حيث أتى .

ولكنه نجح في مرة ثانية ، حين تمكن من استخراج جواز سفر مزيف
خول له المرور من الميناء ، والدخول إلى أرض الوطن . ومن الإسكندرية قصد
إلى القاهرة في غفلة من عيون البوليس ، إذ كان أمر الأمن في تلك الأوقات
(أواخر عام ١٩٢٢) في غير الهدنة الممهودة اليوم .

وأتجه إلى المكان الذى يعرفه ، والذى كان صديقه (المرحوم) « الأستاذ عبد العزيز الصدر » يصدر منه صحيفة الشباب ، التى كانت فى شهرتها ، إذ ذاك ، كصحيفة تهتم بشئون الأدب . وهو رقم ١٣٠ . بشارع محمد على (القلعة) فى البناء المعروف بدار المؤيد ، والذى كانت تصدر فيه أيضاً مجلة النيل لصاحبها (المرحوم) « الأستاذ فرج سليمان داود » ، وتحتله الآن مطبعة الرغائب .

انضم « بيرم » إلى صحيفة الشباب ، وبدأ يحررها كلها من أواخر عام ١٩٢٢ إلى أواخر عام ١٩٢٤ ، وابتكر فيها طابعه الجديد فى الأدب الشعبى . وكان هذا التاريخ فترة من الفترات الذهبية فى حياة صحيفة الشباب . حيث كان الشعب يتخطفها حين ظهورها

وظل الكاتب الشاعر يخرج روائعه دون أن يتيقظ له أولو الأمر ، حتى اكتشف أمره فعاد البوليس إلى ترحيله إلى خارج البلاد . وكان النفى هذه المرة إلى فرنسا .

وعاش فى باريس منفيًا من سنة ١٩٢٥ ، إلى سنة ١٩٣٢ . ولكنه لم يهدأ فى منفيه .

وتسلمته السلطات الفرنسية على ميناء مرسيليا ، ثم رحلته إلى مدينة ليون ليعيش فيها بعد أن سلمته بطاقة باسمه ذكر فيها أنه غير مصرح له بالعمل . وعلم بيرم من السلطات أنه مطلق الحرية فى ربوع فرنسا ، يتنقل كيف يشاء بين مدنها وريفها ، دون أن يفادر البلاد .

وقضى « بيرم » فى ليون أياما سوداء ، يقضيها كل غريب لا حول له ولا طول ، فكيف بمضطهد محكوم عليه بالنفى ، وتحوم حوله شبهة التأثير المشاكس ، وفى البطاقة الرسمية التى يحملها تحذير منه .



يرم في مدينة ليون يشتغل عتالا في مصنع الخصور

عاش في ليون بأسأ سنتين كاملتين . كان في بعض أيامها يبست على الطوى
حتى أنه أمضى ثلاثة أيام دون أن يجد قوتا .

وكان يطرق كثيراً من الأما كن لعله يجد لنفسه عملاً . فلا يبقى في عمل
إلا وقتاً محدوداً يهجره بعده ، إما لانكشاف أمره حين يعلم صاحب العمل أنه
محكوم عايه بعقاب ، وإما لصعوبة العمل حيث لا يعهد للأجنبي عن البلاد
بغير العمل المرهق الشاق ، هذا إذا أغفل أمر العقوبة بحرمانه من أى عمل .

ومن جملة الأعمال التى زاو لها في ليون اشتغاله عتالا في مصنع للخمر . وكان
عليه أن يدحرج البراميل ، أو يحمل القنينات الثقيلة .

ثم رحل إلى مرسيليا ، لعله يستبدل فيها شقاءه بهناء . فعمل أول ما عمل
في هذه المدينة حمالا في الميناء . ثم عاملا في مصنع لمنتجات الكيمائية

ثم قصـد إلى باريس راكباً سيارة لورى قطع بها مسافة كبيرة من
الكيلومترات

وفي باريس لاقى الضيق والضنك مرة أخرى وكان له بين الوافدين
عليها من يشابهه في غربته من التونسيين والجزائريين والمراكشيين . فتلمس
فيهم ما تلمس من المعونة ، ولكنهم لم يكونوا أسعد منه حالا . بل كانوا يعانون
مثله شظف العيش .

ولكنه عاش عاش متأسياً بالذل الذى كانوا فيه

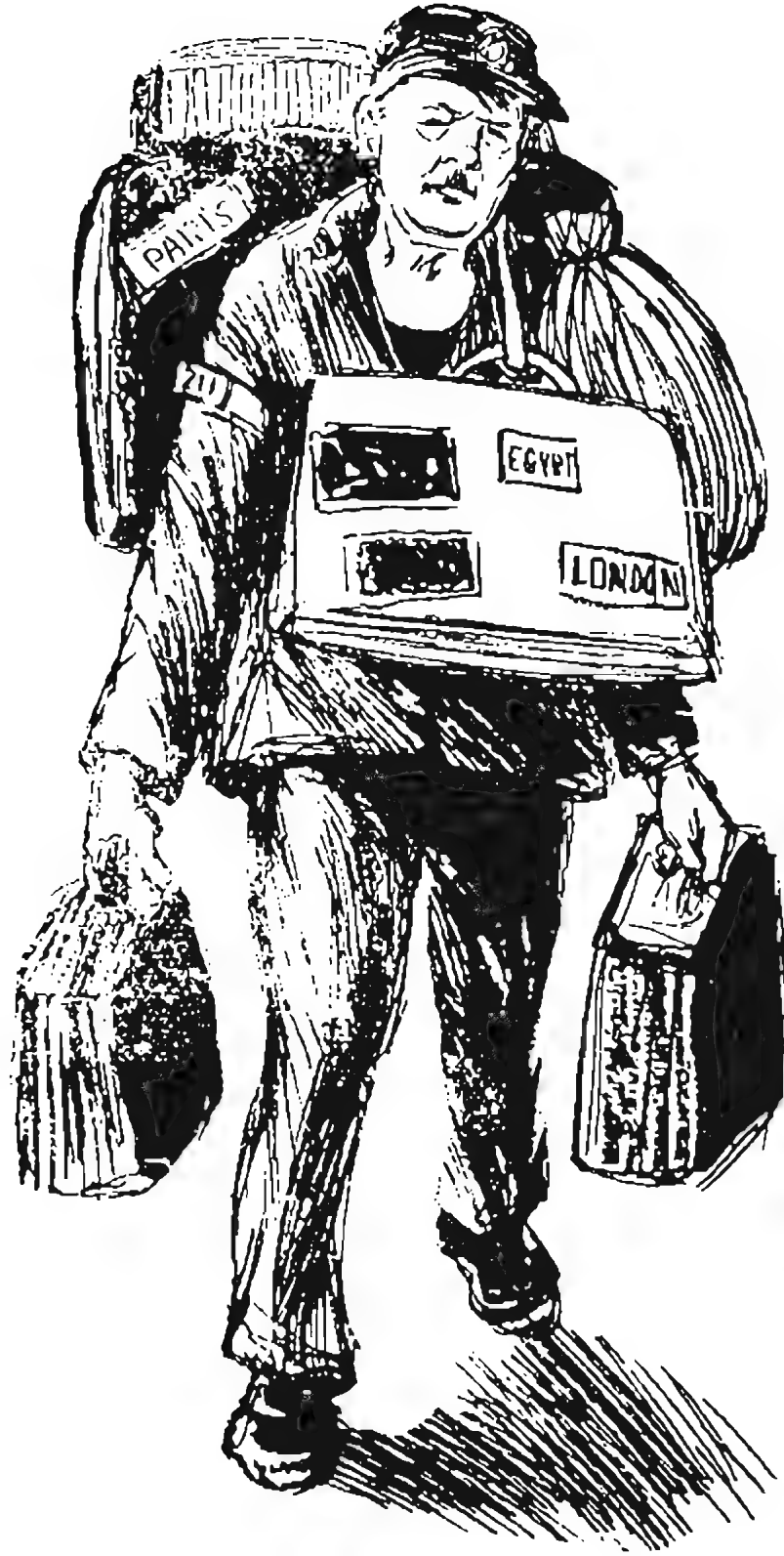
وهو يذكر ذلك في قوله :

باريس خلاص صبحت خربة اللقمة فيها بمضاربة

وانا اترميت وسط مغاربة الغلب والكرب قاتلها

مغاربة يا الزر فاشـوكة يا الزر تربط به فلوكة

باكل معاش شكشـوكة تشمط وتشوى الى يا كلما



بيرم يشتغل حمالاً على رصيف الميناء بمرسيليا
بفرنسا، لكي يحصل على لقمة العيش

وكانت عزيمته هي التي تصونه . من الانهيار لقد كان يعتز بنفسه ، ويؤمن
بانتصاره على الأقدار .

عاش فقيراً ولكن قوى العزم ، طموح النفس ، صابراً مكافئاً
إنه الذي ناضل وناطح أكبر رأس في وطنه . لقد عادى السراى والسلطات
والحماية الإنجليزية . فهو إذن لا يهزم ولا تخور قواه .

كانت تمر عليه أيام عصيبة جداً من الفقر ، ويقضى أوقاتاً طويلة بلا قوت ،
ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً ، فلقد وجد هناك مصريين عرفوه .
وجد من ينصفه ومن يقدم إليه يد المعونة .

كان أمير الشعراء « أحمد شوقي » يخصه بعطفه كلما زار باريس . وكان
يبحث إليه بما يعينه على متاعبه .

وكان أمير السكك الحديدية الأستاذ « سامى الشوا » من أحبابه هناك . وقد قام
بواجبه أيضاً في إكرامه .

وكان كثير من رجالات مصر الذين يعرفون قدره ، ويدركون حقيقة
الأمور ، يلزمونه بمخدماتهم وعطفهم كلما زاروا باريس .
وكان كثير منهم يرسلون إليه المعونة بطرق خاصة .

وكان أصدقاءه الفنانين يلزمونه كلما زاروا باريس ، ويعاونونه بقدر
طاقاتهم . ومهم الأستاذان المرحومان ، عزيز عيد الممثل ، وزكريا أحمد الملحن .
ومن غير الفنانين جماعات من الذين تعرفوا عليه هناك .

وكان هو قد شق لنفسه الطريق في أن يعيش ، وأن يهدىء من باله بعض الشيء .

قام بإعطاء دروس في اللغة العربية لأبناء المقربين من الجاليات العربية .
وكان يجيد اللغة الفرنسية فدرسها أيضاً لبعض التلاميذ الصغار .
وكتب الفكاهات الطلية ، وبعض القطع الأدبية الساخرة لبضعة من الصحف الفرنسية .

وأتخذ من كل ذلك ، إلى جانب المساعدات الأخوية التي يحوز عليها ، وسيلة للتغلب على المعيشة .

ثم بدأ يرسل الصحف المصرية من هناك ، فظهرت له الروائع في صحف :
« الشباب » و « الفنون » و « الامام » و « ابولو » و « النبيل » .

وكان ما يصله على إسهامه بإنتاجه في هذه الصحف من الضالة بحيث ينجده أن نسجه .

لقد كسب أصحابها أموالا كثيرة من رواجها ، نتيجة لمشاركته فيها بآيات إبداعه ، ولكنهم كانوا لا يكافئون صاحب تلك البدائع بما يستحق .

وقد ذكر صديقه الأستاذ « محمد كامل البنا » تلميحات قاسية عن ذلك في كتابه الذي أخرجه عن « بيرم » باسم (بيرم التونسي كما عرفته) . حيث كان يقوم بنفسه بالوساطة بين « بيرم » وبين أصحاب تلك الصحف .

والذي كان يهم من كل هذا هو أن « بيرم » عاش . . عاش رغم الأحداث المضنية التي أحاطت به في منفاه .

* * *

لم يهدأ « بيرم » في المنفى . فقد أنتج للأدب وأنتج ذخائر سجلها له التاريخ .

لم ينس من نفاه ، فشتته وهو هناك في منفاه .

ولم ينس الانجليز وطفيتهم ، فشنع بهم وبأساليب استعمارهم ، ما شاء له
التشنيع

ولم ينس وطنه . وطنه مصر التي أحبها كل الحب ، وعبر عن تعلقه بها
في كثير من كتاباته ، وكرس حياته لخدمة شعبها ناقداً ومصلحاً وموجهاً وقد
أطرب الشعوب العربية عامة بروائع إنتاجه إلى جانب ما أفاد الناس في لفتاته
المرّة وتقدده اللادع .

كان يكتب من فرنسا وكأنه قائم بين أهل وطنه ، يراهم بعينه ويحس
بأوجاعهم وآلامهم .

كان يصور الأحداث التي كانت تغتور البلاد بقلم أروع من آلة السينما التي
تسجل المراثيات كما هي في حقيقتها . حتى كان كثير من القراء لا يدركون أن
كاتب هذه الأحداث بعيد عنها مغترب في وطن آخر . وكان العالمون بأمره في
دهشة من هذه المقدرة الفائقة على التصوير ، وبذهلهم هذه الواقعية الفذة التي
كان يخرج بها « بيرم » تلك الصور

وحدثت بفرنسا أزمة للبطالة فاضطرت السلطات إلى أن تبعد الغرباء
العاطلين ، فكان نصيب « بيرم » أن يرحل في عام ١٩٣٢ إلى موطن أجداده
تونس .

وبقي بتونس أربعة أعوام ، حرر في أثناءها في جريدة ، ثم أصدر لنفسه
جريدة أسماها « الشباب » وشحنها بالهجمات الصاخبة على أعداء الوطن العربي ،
إلى جانب أسلوبه الفكاهة الشعبي . فنارت عليه تأثرة الحاكم الفرنسي هناك ، وهو
قائد القوات الفرنسية الجنرال « جاملان » ، فقرر نفيه إلى السنغال .

وفي السنغال لم يستقر به المقام ، فقد وجدوه هناك خطراً على الأذهان ، حيث ينهبها مجرد وجوده بين ذلك الشعب المستعبد إلى اليقظة والثورة التي يخشى الفرنسيون قيامها في أى مكان فأخرجوه من السنغال . فقصده إلى بيروت على باخرة إيطالية ونزل إلى أرضها خلسة وكان يعلم أن بقاءه في لبنان وهو تحت الانتداب الفرنسي لن يكون مرغوباً فيه .

ومالبث أن تنهت إليه السلطات الفرنسية ببيروت فأثر أن يسلم بنفسه وكان قد التقى في بيروت بصديق لبناني عزيز عليه هو الأستاذ الكاتب « نجيب كرم » الذي ساعده على الهرب من بيروت إلى دمشق متخفياً في لباس راهب ذي لحية مرخاة .

ومكث في دمشق في رعاية الأحرار من أهلها أربعة أشهر ، كان يكتب في أثنائها في بعض الصحف والمجلات باسم مستعار . وقد دربت عليه هذه الكتابة بما أعانه على حاجاته .

بدأت هذه الرحلة الشاقة من فرنسا في عام ١٩٣٢ . بين تونس، والسنغال ولبنان وسوريا .

ثم انتهى الأمر بأن علم بأمره المعتمد الفرنسي في دمشق . فأنذره بأن يكف عن نشاطه الأدبي ، ولكن « بيرم » لم يذعن لهذا الأمر ، فأركبته السلطات الفرنسية سفينة لتعيده إلى فرنسا مقر نفية الأصل ، ووضعته تحت الحراسة .

وكان على السفينة أن تصل في رحلتها إلى بور سعيد . وهناك غافل « بيرم » حراسه وفر من السفينة إلى الميناء ، مجازفاً كل المجازفة ، إذ كان يعلم ، فوق الحراسة المضروبة عليه في الباخرة ، بالرقابة المفروضة عليه في أرض الوطن . إذا هو حاول دخول هذه الأرض .

ولنستعرض بعض ألوان مما نظمه « بيرم » في المنفى فما هو يدون مشاهداته
وتعليقاته بفرنسا بهذا التصوير البارع :

فرنسا

قضيت حياتي غريب في أرض فرنسا	ياويحه من يدخل فرنسا غريب
لقيت كلام القوم شهد مكرر	لكن عيونهم تشتت لهاليب
مليون أوتيل مفتوح ، يتأروا جتنا	وخدامينها كل واحد ديب
يرجع كلامنا ، والصلاة على النبي	لرستوران ، والرقص ، والتخشب
عشر غيلان واقفين عليهم سموكن	حول الفيلاز قاعدين بنات مكاليب
ياما انجليزى انشال بدفتر شيكاته	وياما هندي رجعوه سنديب
دفع الفتى على خان ^(١) ملايين ربابى	لبنت قرعة ماعليها ريب
واللى جرى لفهمى ^(٢) من مرات فهمى	خلت رصاصها فى ضلوعه يغيب
أتس عباد الله هناك الأجانب	أقولها ، والمولى على حبيب
الى دخل بفلوس ، يا ضيعة فلوسه	واللى دخل يكسب جزاه توضيب
يدخل يشوف مالين قزان المسابك	فولاذ مسيح. فوق دماغه قريب
عليه رئيس واقف ، وراه الجرادل	شايلينها من كل الأمم منا كيب
ميسل قزانه بالدولاب عاجل اذال	كأنه فى الجرادل يعبى حليب
خمس تلاف درجة يفظ شرارها	ويطب يخرق أجعد المراكيب

(١) على خان ابن الزعيم الاسماعيلي أغاخان .

(٢) على بك فهمى (المرحوم) وكان من كبار الثروة . وقد اغتالته فى باريس إحدى

القنصيات .

ولو تشوف ياخال مصانع غازاتهم
من كل بير يطبخ « كلور » المانيا
واقفين عليه أشباح عليهم كايم
ومن بعيد جاعلين عجوز وعجوزة
مين راح لهم غدوه بنصر اليومية
ومن أكل يسقوه عصير البتاني
كام مغربي مسلم نطق بالشهادة
ويا ما جرم صلبوا تصليب

وها هو يتحدث عن نفسه وسط الغربة منهكاً على الحالة التي ترك فيها وطنه،
ومهدداً لنفسه حياة جديدة في بلد جديد ، بهذا الزجل الذي نظمه على وزن
الفولكلور الصعدي المشهور

عطشان يا صبايا دلولي على السبيل

عطشان يا صبايا

عطشان يا صبايا	عطشان يا صبايا
عطشان والنيل في بلادكم	عطشان والنيل في بلادكم
ولا مهر الروب يرويني	ولا مهر الروب يرويني
ودموع العين مابتروي	ودموع العين مابتروي
شدة ونزول يامعوض	شدة ونزول يامعوض
دي ثلاث حكومات يا اخوانا	دي ثلاث حكومات يا اخوانا
يابنت باريس اسقيني	يابنت باريس اسقيني
عطشان يا مصريين	عطشان يا مصريين
متعكر مليون طين	متعكر مليون طين
ولا مية مهر السين	ولا مية مهر السين
نار القلب الحزين	نار القلب الحزين
سبحانه رب ممين	سبحانه رب ممين
ظلهوني واشكى لمن	ظلهوني واشكى لمن
كاساتك مليانين	كاساتك مليانين

عشرين عام عا المهجين .	فاضل عا العتبه الخضرا
زغروته يا ام ياسين	زغروته يام سد احمد
وأزور سيدنا الحسين	راجع أتوضي واصلى
وايد الباشا التخمين	وأبوس ايسد الشيخ بلمع
ولشعبسان طيبين	وأقول سلامات لخليفة
عن كار الجرائين	وأتوب على سيدى لاظوغلى
وأشيل الميتيين	واعمل حانوتى ومفسل
والكودية أم اسماعين	وانجوز بنت الماشطة
واخدم فى الدواوين	إياك يتعدل مخفى
وابقى البيه التخين	والبسلى سموكن مقصب
وبتمشى عا العجين	ياما ناس ف نعيم وف نعمة
للغلبان الفطمين	غير شى جعلوا التخشية
من مرسيليا للصين	يخرج مها ويسوح
يعشق بنت التسعين	دا جزاة الخايب اللى
أهداهم مرعرعين	شايفمن تحت البرقع
وسنانها مهرتمين	ما احبش حنكها مطبق
والراس دى راس التين	والقم المحمودية
أهل الدنيـا والدين	وتحب كان وترافق
ولا يباع القلين	ولا تطرد يباع رنجمة

واولاده	اسم الله عليهم
رجالة	وضد ايعية
واحد	تاجر طعمية
والى	بيبيع جوافة
وواحد	سمكرى أفرنجى
وانتين	سارحين بكلونيا
والحاج	محمد برعى
وأخوه	له معمل طرشى
والكل	يزيد وبيبارك
ماينوب	الواحد منهم
يارازق	جيش الأزهر
يا باريزيا	ام بلاده ره
بعثت لك	أم الدنيـا
يعمل أشـهـار	لبرارة
وتـلامذة	وأزهرية
إياك	ما يموتش عندك
يتعدوا	بالملايين
بياعين	شرايين
والثانى	بتاع مصارين
واللى	بيبيع سردين
قاغد فى	وابور طحين
وفدـالات	معتبرين
له	فابريكة كوانين
مشهور فى	الكمكنين
قاعـدين	متصـنعين
غير قفل	الدكاكين
إيـاك	نستعين
يامريـة	لامرتين
شاعر فى	الشعر متين
وصعايدة	وفلاحين
وخواجات	ومفتشين
فى أزيل	المساكين

ثم يندمج فى حياته الجديدة ويسجل ما يشاهده ، عن يمينه وعن يساره ، وما يقع تحت عينه من المشاهد الغريبة عليه والمثيرة له ، وكأنه يلتقط بآلة فوتوغرافية صوراً من مختلف الزوايا فى أنحاء باريس .

بـاريس

الفجر نائم وأهلك يا باريس صاحبين
معمرين الطريق داخلين على خارجين
ومنورين الظلام راكبين على ماشيين
بنات بتجرى وياما للبنات أشغال
وعيال تروح المدارس فى الحقيقة رجال
ورجال ولكن على كل الرجال أبطال
ولسه حامد وعيشة واسماعيل ناعمين

راحت على الشمس نومة والبلد فى ظلام
وقبل دى الشمس فاق ابن المدينة وقام
الكور ينور بايده لما شمس تنام
فاينها للشرق تتلطمع على الأطـلال
ينشف عليها الفسيل والطلبة والغربال
ويقوم على لدعها النائم سنة بطـال
صبحت باريس فى غنى عنك يا شمس الدين

للعلم والرقص دول فى معهد السربون
أعجب عجيبة أشوفها هـلـو ألف الكون

معهد حكومى ، وحقه يشبه الكراكون
لكن فرنسا لها دون الأمم أحوال
ليبران^(١) فى الاحتفال بيمصافح الشيال
وبنت سوق الخضار ساكنة مع الماريشال
والبوسته صندوقها واقف داخل الدكاكين
جارتى سوزان الجميلة اللى تبيع الموز
نازل عليها المطر من فم متراليوز
اتبسمت للمطر ، أحسبها فازت فوز
لكن سوزان اللى واقفة وقفة التمثال
مجلس بلاها جعل رجلى سوزان سخنيـ

شفت العيون والشفافى فى باريس بتقول
إحنا ملوك البرايا حكنا مقبول
البــــدع والفن كله عننا منقول
سادات بنا فى السيادة تنضرب أمثال
أحرار محرم علينا السجن والأغلال
الفقر والذل ما لهم فى بلادنا مجال
ويوم سباق النجايب كلنا سابقين

إن دقت اثنين صباحا خش مونبار ناس
حي المذارى السكارى تحت كعب الكاس

(١) رئيس الوزراء

وجوه عزلها جمالها عن وجوه الناس
من كل نجمة عانقها في سماها هلال
تجذب بنورها أمم في الهند والشلال
هى فينوس عبادها من ملوك المال
وتبقى صالة بديعة والى فيها مين

وينظم قطعة أخرى يصور بها ما رآه من أنواع النساء الباريسيات اللآتى
يتمخطن على طريق « جران بولفار » .

جران بولفار

شوف الخفة	أم الشعور اللفة فوق اللفة
	غير ام شعر طويل
والمقصوعة	ورجائها فوق اختها مرفوعة
	تستنظر الطوموبيل
والحرارة	من المعاصم للكتاف عريانة
	زى اللى غاسلة غسيل
والمقفوفة	باين عصبها والنهود مكشوفة
	ماخلت إلا قليل
والمحتارة	بالشنطة والشمسية والنضارة
	رايحة على التمثيل
والغندورة	تحبها لولا مشيها صنيورة
	والا ام خصر نحيل

طالع نازل لولا ما هي ماسكة دراع الراجل
من لمسة واحدة يميل

وينظر « بيرم » الى أعضاء البعثات التي كانت توفد من مصر إذ ذاك ،
وأغلبها كان بالوساطة والمحسوية ، من أولاد الذوات أو أقرباء وأصدقاء أولى
الشان ، فيتحسر على الانحلال الذي كان فاشياً بينهم ، ويصوغ هذه القطعة
اللاذعة بعنوان « مونبلييه » :

مونبلييه —

زربة متطرة فيها الميز سايبين
ترعى حشيش المحبة والرعاة غايبين
سبع مراكب بنشحن عد بالطرازين
دكتور ، مهندس ، محامى والجميع خايبين
دكتور وراجع بلاده ينجد العيان
وهو فيه العيا أربع خمس ألوان
تشليل ، وتشويش ، وقول هربس ، وقول سيلان
يعدى السليم قبل ما يشفى المريض يا شاهين (١)

وفى البلد واد مهندس بس فى. البوكر
ضاع نص عمره ياريت كان ضاع فى طوكر
له كل أسبوع جواب من والدته مسوكر
تسأل على الهندسة اللي اتكلفت ملايين

(١) محمد شامى باشا وكان كبير الأطباء المصريين

وواد بيدرس تجارة ، انما نصاب
يقبض ما يدفع ولا يحسب لحد حساب
ان جاء مطالب بدينه يطمعه عا لباب
ويقول له خليك مؤدب داحنا مصريين

سألت شيخ الأساتذة في البلد دى سؤال
عن الشهادات اللى بنشوفها مع الجهال
قام شد عقب السجارة ، والتفت قال لى
« حار الطيب والأديب فيكم يا شرقيين »

بيطار مواشيننا ينفع عندكم دكتور
والبنا ينفع مهندس بينى ستين دور
وان شا الله يبقى اللى داخل فى بلادكم طور
برضك تجوز له العبادة فى بنى القفاطين

فالحمد لله بقى عالجتر والبونجور
وعا المونوكل اللى زان العور ولاد العور
والفالس، والهاس، والطونجور، والكونكور
لا علم نابههم، ولا أخلاق بقت ولا دين

إباء بيرم

دخل « بيرم » أرض الوطن ، دخل متخفياً ، ولكنه ما لبث أن كشف أمره ، إذ التقى بإخوان له . وكانت فرحة الأوساط الصديقة ببيرم لا تعادلها فرحة .

ولكن الرئاسة العليا ما زالت هي المارد الخفيف الذي يخشاه .

ظل محتفياً ، لا يستقر به مكان

وكان يرأس الوزارة في ذلك الوقت المرحوم « محمد محمود » ، وكان وزير الداخلية « محمود فهمى النقراشي » ، وكلاهما من المقدرين لبيرم ، المعجبين بأدبه .

وكان من رجال السراى حينذاك المرحوم « أحمد حسنين » وكان هو الآخر من الذين يعطفون على « بيرم » ، ويعشقون أدبه .

ولكن الإنجليز كانوا ما يزالون في تحكمهم في شئون البلاد .

ومن جهة أخرى كان « فاروق » نفسه لا ينسى ما لحق أسرته ، ولحقه هو نفسه ، من تجريح شنيع من شخص هذا الأديب .

فكان الموقف من أجل ذلك كله في غاية من الدقة والتوريط .

وقيل لبيرم إن في يده الحل وطلب منه أن يستعطف .

وهنا بدأ الاضطراب يبدو على الرجل .

كيف يفعل هذا ، وهو المناضل الذى لم تكسر له شوكة ؟

كيف يطاق ، رأسه بعد كل هذا الصراع ؟

ولكنه أرغم على ذلك .

ووضع المستولون أمر استعطافه لفاروق كفاء لحريته والاعضاء عنه .

طلب إليه أن يكتب ما يرضى فاروقا . فكتب ، مرغماً ، ما لم يحسبه الوسطاء
كافياً فنبهوا بإعادة الكرة . فكتب أيضاً .. وظل ، فى كل مناسبة ، يكتب
بغير رضى من ضميره .

وكان الوسيط بينه وبين فاروق هو « أحمد حسنين » . أما « محمود فهمى
النقراشى » ، فقد أصدر أوامره إلى البوليس بأن لا يتعرضوا ليرم .

وكان فى تلك الوساطة ما أذل كبرياء الرجل ، ولعل أكبر وصمة فى تاريخ
هذا الشاعر أن تذلل كبرياؤه .

وإن كانت روح التملق التى فرضتها فى ذلك الوقت دكتاتورية الحاكم قد
تبرر كل ما كان يقوله الأفراد من عبارات الزلفى والتهليل والتكبير للجالس على
عرش البلاد ، إلا أن « يرم » لم يكن ليصوغ من تلقاء نفسه ما كان يستجدى
به غيره من أصحاب الغايات .

فإن الأمر كان يدفع به إلى أن يصور بزجل حال عودته من المنفى فى السفينة
التي أقلته . ثم هروبه من السفينة وتسلمه إلى داخل الوطن . فقل . ولكنه أمر
أن يضيف إلى ذيل عبارته شيئاً مقصوداً

ولذلك رأينا الصحف تنشر له ذلك الزجل ، حتى جريدة الأهرام التى لم
تعودنا أن تنشر زجلا . وكان أمراً صدر باعلان الزجل ، ليس لجمال الزجل فى
ذاته ، ولكن إطاعة لأمر الحاكم ، الذى نجح وسطاؤه فى أن يذلوا كبرياء
الرجل .

وقد بكى « يرم » وهو يضيف العبارة التذيلية إلى ختام زجله ، تحت الضغط
من الوسطاء .

وهذه هي بداية الزجل :

غلبت أقطع تذاكر	وشبعت يارب غربة
بين الشطوط والبواخر	ومن بلادنا لأوربا
وقلت عا الشام أسافر	إياك ألاقى لى تربة
فيها أجاور معاوية	واصبح حماة أمية
جاورت قاسيون ^(١) وجيرته	توحش ولا فيهم حاجة
وعزرائيل انتظرتـه	ما جاش وجانى الخواجة
نافخ وسابق أمارتـه	وقال لى : شوف السماجة
البر تحت انتدابنا ^(٢)	أخرج دى ماهش وسية
رجعت للبحر تـانى	مخفور ورايح فرنسا
ولسه طعم البـودانى ^(٣)	فاكره وانا عمرى ما انسى
وان رحت تونس كفـانى	عذاب أنا والتوانسة
«جاملان» ^(٤) محضر مدافن	للأمة والأمة حية
فى بور سعيد السفينة	رستت تفرغ وتملا
والبياعين حوطونا	بكاتر بوستال وعملة
لكن بوليس المدينة	ما تزوغش من جنبه نملة
يا بور سعيد والله حرة	ولسه يا اسكندرية

(١) جبل يشرف على دمشق .

(٢) كانت سوريا تحت الانتداب الفرنسى ، إذ ذاك .

(٣) حلوى فرنسية .

(٤) اسم الحاكم المكربى لتونس فى ذلك الوقت .

هتف بي هاتف وقال لي
إنزل دى ساعة تجلى
إنزل ده ربك تملى
خطيت فى ستر المهيمن
وأقول لكم بالصراحة
عشرين سنة فى السياحة
ما شفت يا قلبى راحة
إلا أما شفت البراقع
إنزل ومن غير عزومة
ففى الشياطين فى نومة
فوقك وفوق الحكومة
للبر يا حكدارية
الى ف زماننا قليلة
واشوف مناظر جميلة
فى دى السنين الطويلة
واللبدة والجلالية
هذا هو أصل الزجل ، ويلحظ منه انتهاء الموضوع عند هذا الحد .

أما ما أضيف إليه ، فهو هذا الختام :

يا مصر نور الوسامة
لحن السلام والسلامة
والجو فوقه ابتسامة
تحوم عليها الملائكة
يا فرحتى يا هنايا
وكل قصدى ومنايا
واخذ تراب السراية
بس الحكدار وجيشه
ساطع وبابن شروقك
الدنيا سامعاه فى بوقك
زى ابتسامة فاروقك
وتنطق الإنسانيّة
حضرت فى عيد جلوسه
أفرش له خدى يدوسه
من تحت رجله أبوسه
داير يفتش عليه

وإنه حقاً لأمر يبكى الرجل الحراسى وإشفاقاً ، ليس فقط حينما يعلم

الحقائق التي أرغم من أجلها « بيرم » على أن يكتب تلك العبارة القليلة ،
ولكن للحالة المعنوية التي أرجفت روح الكاتب ، ورجت فؤاده ، وجرحته .
وجدانه

تقد كتبها ، وسجلها التاريخ ، نكسة لم يكن ينساها « بيرم » ، بل كانت
تدمع عيناه كلما تذكرها ولكنه كان يتلمس من حبه للوطن الذي كرس
حياته لخدمته عزاء له .

ومع ذلك لم يصدر « فاروق » عفواً عنه ، بل سكنت السلطات عن اضطهاده ..
وكان هذا كل ما حدث .

وكان من قبل ، قد توسط فريق من الكبراء لدى الملك « فؤاد » ليعفو
عن « بيرم » . ومنهم « سعد زغلول » ، و « عبد الخالق ثروت » ، و « مصطفى
النحاس » ، وطلب كل واحد من هؤلاء بدوره أن يعود « بيرم » إلى وطنه
ولسكن الملك « فؤاد » كان يشور في وجههم كلما سمع اسمه .

وكتب إلى « بيرم » ، وهو في باريس ، أن يبعث بزل ينشر له ، وفيه
استعطاف ليصفح عنه « فؤاد » . فنظم « بيرم » هذا الزجل الذي لمح في بعضه
بشيء ، واحتفظ لكرامته في سائر .

ويلاحظ من عنوانه الذي وضعه له ، وهو « باريس خلاص » أنه كان
مطمئناً أن يكون الزجل عربوناً للعفو الذي ينشده فيستبدل بباريس مصر .

يا ابو الفاروق لما اسكندر حكم على الدنيا ودبر
شاف المداين واتخير اسكندرية وسمّاها

يوناني ويحب الفارة	ورخرة ذيه أم مناره
جبار وعاشق جبارة	طلع هواه وفق هواها
اسكندر الى بجنوده	الشرق والغرب في ايده
والإنس والجن عبيده	باسكندرية يتبهاهي
واققت عظمته وجبروته	لايفوها لحظة ولا تفوته
الإمبراطور جوده تابوته	نائم هنا تحت ثراها
يابو الفاروق بعد عصره	دى اسكندرية هلال مصره
النجمة رأس التين قصره	وإت في النجمة ضياها
أما احنا يااسكندراية	طالعين جميعا شضليه
طبيعة في الطين والمية	متركة تحت سماها
الاسكندراي إذا صافح	يفاط ساعات وروح ناطح
وارثها عن جده الفاتح	فحل الملوك الى حماها
الاسكندراي إذا اتحدلق	جلنف لكن له مبدأ
يفسواه لحد مايتزحلق	في نايبة عمره ماينساها
الاسكندراي إذا اتخمس	يفقد صوابه ويطلمس
لحد مايروح متكربس	في نقرة إبليس يخشاها
لكن يقوم يفل وشه	ويروح يجيب الى غشه

فى خلقتة ويروح نانشه راسين يعيش مسخة بعااه

وانا اللى جيب من سياله فيها العيال والرجاله

شجعتان ولكن بهباله يانتصر يا أكلناها

والحق نقطع له روسنا نقطعها إحنا بأنفنا

مادام مليكننا وريسننا عا الدفة مامك مجراها

ومين ياريسنا يفوقك دم الملوك مالى عروقتك

وصل جدودك بفاروقك ورعرع الشجرة اياها

من أصاها الأصل الفالى لفرعها الفرع العالى

مظلة الناس عقبـالى ما اعيش واموت تحت نداها

ويلاحظ فى هذه القطعة الفتور الذى يضفى على عباراتها . بل إن الذى يقرأ

هذا الزجل يرى أن « يرم » مازال ذلك المناضل الناطح ، كما يلمح عن عشيرته

أهل الاسكندرية ، وليس ذلك المتوسل الذى أرغموه أخيراً على الخضوع

الحنين إلى الوطن

كان « بيرم » في منفاه كثير التحنن إلى وطنه مصر ، لا يفضل عليه كل الأجواء التي أحاطت به . فلا جمال باريس ، ولا بهجة ، ولا أرض أجداده الأصليين « تونس » التي تزج معها جده واستوطن ديار مصر ، فكانت وطنه ووطن ذريته ، ولا البلاد التي رست فيها السفن التي كان يستقلها مرحلاً بأمر السلطات ، أو مترقباً للفرص التي يمكن أن ينتهزها ليغافل الحراس ويهرب إلى أرض مصر . كل ذلك لم يكن يوازي عنده نعيم وطنه .

وإنك لتلاحظ منه هذا الحنين في أغلب أقواله في منفاه . سواء أكان في الفترة التي قضاها في تونس ، أو في تلك التي قضاها في فرنسا وهي أطول مدى . أو في أقواله وهو يحاول أن يدخل مصر خلسة .

ولنسمع إليه وهو يخاطب الوطن في ذكرى ذلك اليوم الذي أبعد فيه من البلاد (وكان يوم عيد الأضحى) بهذه القطعة الباكية :

يوم الدبابيح كان	آخر مواعيدك
وقفت له فرحان	أنصب رايات عيدك
وافرش لك الريحان	واسمع زغاريدك
زعم غراب البين	فصلت أ كفاني
خيبة أمل ومرام	واعمر وتمعمر
ياريته كان في منام	يصبح ويتفسر

أو حكم بالإعدام

ما كان تشوف العين

ع الناس ومتسطر

حالى الى بكافى

عا السين يامصر مشيت

عليه عبـد جوليت

إسـاك يسلىنى

تركى على صينى

يامسا التقيت ورأيت

جال ينسبنى

واتفكر الهرمـين

تجرى الدموع تانى

ثم يذكر الاسكندرية ، بلده الذى ولد فيه :

يا امـكـندرية

يانور غنيـه

ياللى زائنه البحر الأبيض

عالشباب وعايكى يعوض

كتمت نـارى

وفضلت ادارى

من مهارالبين فى ضلوعى

عن عيون الخلق دموعى

رأيت مـوانى

ماشفت تـانى

غن يمين ملكك وشمالك

فيه أثر من بعض جمالك

والى طويته

فراق ياريتـه

كان علم يحقق فى هواكى

كان فراق الموت وعزاكى

ثم يكتب أيضاً الزجل الذى سبق أن أوردناه تحت عنوان « يرم فى
للنقى » والذي مطالعه :

عطشان يامـبابا

عطشان يامـصرين

متعكر ملىان طين

عطشان والنيل فى بلادكم

البح ،

وكتب كثيراً من القطع التى لبح فيها بالحنين إلى وطنه .

وهاهو يذكره عندما اشترى « راديو » وهو فى غربته، أول ما أنشئت فى مصر
دار للإذاعة ، وكانت قد قامت بذلك شركة « ماركونى » اللاسلكية ، ومقر
إدارتها كان رقم ٥ شارع علوى .

وصور فى زجله الصورة البشعة التى كانت تصل بها أصوات الإذاعة فى
الخارج عن طريق تلك الشركة :

يا لهفتى عا الحباب

أرض الحباب بعيدة

حرر عليها العقارب

قالوا المحطة الجديدة

عندك فى أرض المغرب

تحظى بمصر السعيدة

بالدين ومبلغ يساوى

جبت الجهاز أمريكانى

يا قايمة من بعد نومه

يامصر فالك مبارك

لندن وباريس ورومه

خليتى صيتك يشارك

لاجلك عشقت الحكومه

أنا الرذيل المعـارك

فى الحجر الزعبلوى

الى بنت لك محطة

لما سمعت المنادى

حطيت على القلب لىدى

فى وادى والنيل فى وادى

ولهان وناكر وجودى

أقول له شنف ياسيدى	ياما انتظرنا الساعة دى
أحنا اللي لا يدين عطاشة	هات اللي عندك ياراوى
صوته الحنون قربه لى	مخنوق وفى الحلق شارق
حسبته فى الوجد مثلى	يبكى وفى الدمع غارق
ولا احسبوش حس طفلى	يبكى فى أربع منسارق
فيها الترامواى يبرطع	والرعد من تحتسه داوى
« رنف ^(١) » بدا فى القرابة	وانا اللي « رنف » سباني
دارت عايه الرحايلة	أحبها فى بيت جيرانى
أحلف ما فرت آيلة	ولا فهمت المعاني
درسنى صوتك « يارفعت »	وانت اللي صوتك رهاوى
وبعده قام المبنى	فتحت له الراديو على
واسمع معاه ألف جنى	فى الأودة واقفين قبالي
صوهم يطشطش فى ودى	ولا طشيش المقالي
فضلت أفتح وأقفل	لما برت الملاوى
يامصر مفرز وجالك	ماتلقيش فيه مجامل
أحلف بشهرة جمالك	ماركونى ^(٢) بالعند عامل

(١) الرحموم المعري، انهمير الشيخ محمد رفعت .
(٢) شركة ماركونى التى أدارت الاذاعة فى أول عهد إنشائها .

شم دراعه وبنالك	محطة من غير فرامل
تخود وتلود وتربع	زى الحمار الحساوى
ياللى بنيم محطة	للدنيا تسمع وتحكم
مالك بنيم بغلطة	جابت على العكس ربحكم
وضاع أدانكم فى مالطة	إكته من فوق سطوحكم
والله الفوتوغراف بدالها	ينفع ويمنع بلاوى

ثم هو يتألم لفراقه عن مصر ، ويستعرض الأحداث التى مرت . ونحن إلى
وطنه . ويعتاب فى هذا الزجل القوى :

أنا اتاهيت واخل زندى	مانيش نبى الله غاندى
إن كانت الغلطات من دى	يكون فى عون اللى عامها .
إن كان على السجن دخلنا	وإن كان على المالح أكلنا
والصوم نعلنه ونعلننا	خلى اللى فاضل لرجالها
ياما نطح شاعر قابى	واللوح كتب له اللى كتبلى
واشمى شعرك يا غرابلى ^(١)	خلاك تفوت من غربالها
أنا باللى ضليت فى جهادى	وغشنى حسن الوادى
وهبت للنيل أولادى	من بعد ما عمرو دخلها

(١) الراحوم محمد نجيب المبراهيمى كان محامياً أديباً ، وأصبح وزيراً .

يا ام الكرانك والدلتا	حاتملى طرشة لامى
ما تغيرت كلمة رفقى	والدنيا رافت أحوالها
قالوا اللى يشرب من نيلك	لابد يرحل ويخى لك
وانا اللى عطشان فى سبيلك	الدنيا ليه اللى جرالها
ياريس خلاص صبحت خربة	اللقة فيها بمضاربة
وانا ارمىيت وسط مغاربة	القلب والكرب قاتلها
مغاربة يازر فاشوكة	يازر تربط به فلوكة
باكل معام شكشوكة ^(١)	تشط وتشوى اللى ياكلها
لا سطل خروب يسفى	ولا ابن نكتة يكفى
ما يقصف العمر ويفى	غير الخلاق بعلها
يامصر هجرك يكفانى	ياعامله قمع وناسيانى
دا يوم ما أرجع لك تانى	حاتبقى رجعة برسالها
خراب ماتحتاج لمأينة	وفن باير واهى باينة
أميرى جوز أم بثينة ^(٢)	وأنا الرعية مع عيالها ؟

(١) طعام مغربى يخاط به الففل والكشة وجميع التوابل

(٢) الأستاذ محمد عبد النعم (المروف باسم أبو بثينة) وكان للرحوم الأستاذ حسين شفيق المصرى قد لقبه بأمر الرجالين

وها هو يجد وطنه العزيز على نفسه بهذه القطعة الجميلة ، التي لا ينسى فيها
أيضاً التعبير عن حرمانه من نعمة العودة إلى هذا الوطن :

يا مصر

يا مصر تتحدث الأملاك بجمالك

في وحي جبريل

من قبل فرعون وموسى الشمس ضاحكالك

في صفحة النيل

حسنك لوحدك لا نوانك ولا رجالك

من جيل ورا جيل

في وحي جبريل قصائد واسمها سينا

منقوشة بالنور

في صفحة النور مرايا للحياة زينة

قدامها جمهور

من جيل ورا جيل ومن خوف ورا مينا

وكل طرطور

منقوشة بالنور قراها سيد الإسلام

بأمر مولاه

قدامها جمهور على ذكر الجلالة ينام

والأمر لله

وكل طرطور بقبة أو بني أهـرام
والكل سايعاه
بأمر مولاه محمد عاالجمال وصى
حاكم ومحكوم
والأمر لله وجدتي في الخلف غصه
تمدد وتدوم
والكل سايعاه وله من رأفتك حصه
آه عالى محروم



بيرم أيام حياته فى المنفى

يرم والاحتلال البريطانى

كان « يرم » فى الحادية والعشرين من عمره عندما قامت الحرب العالمية الأولى . ولقد عاصر عهد الاحتلال البغيض وهو قى . كما عهد الحماية البريطانية التى أعلنت على وطنه ، مصر ، الذى ولد فيه وشب وبما على أرضه ، وشرب من مائه ، وتغذى من خيريه ، واشتئق أول ماخرج إلى الدنيا هواءه . فلم يكن لريب هذا الوطن ومحبه إلا أن يآلم لأله ، ويدود عن حياضه .

كان يسمع من أبيه ما لحق ببلاد أجداده من أذى على يد الاستعمار الفرنسى . وكان يرى بعينه ما لحق بوطنه من ضغط الاستعمار واستعباده .

فأشبهت نفسه بالكراهية والبغضاء لأولئك الدخلاء الذين اغتصبوا حرية وطنه .

وكان العداء للاحتلال البريطانى .

وما أن قامت ثورة سنة ١٩١٩ حتى كان « يرم » من أبواقها .

إنه لا بد أن يشور مع الثأرين . فكتب ماشاء له الظروف أن يكتب . ونظم من الشعر والزجل مادونه وما لم يدونه ، وإن كانت قد تناقلته الألسن وأنشده الشباب الثأر .

ونقدم للقراء مثلاً مما نظم ضد الانجليز بعنوان : « يامتفع الحجر » ، نشره فى العدد الأول من مجلة المسلة قبل انبثاق ثورة سنة ١٩١٩ بخمسة أيام :

أحمدك يامن فتحت الباب علينا	بعد أزمان لما دبنا واستوينا
بالله تصل على طه نينا	وأنحفه بالقل والوردة الزكية

جالنا ضيف بارد وصاقع وابن جزمة نام ومزع في القماش والوقت أزمة
والضيافة بالكثير ما تكونش لازمة غير تسلات أيام ودى بالتلمية
طقة الضيف في الفطور ميت ألف بيضة غير ميتين طور كل طور غندور وموضة
بعث عفشي وبعث ملكي وبعث بابي والطاحونة والحمار والبطانية
إسأل البنك العقارى وبنك رومه تعرف المبالغ وشيكات العزومة
والتلم مش طالع إلا بالحكومة إن كانت تنفع وبالقدره القوية

ثم نقرأ له هذه القطعة بعنوان « الحماس »، وفيها وصف دقيق لحالة البلاد
في عهد الاجتلال :

الحماس

الحماس ما اتبط من أيام عرابي واتلمينا
لأنجليز شالوا المدافع والطوابي واتهمينا
الخازوق ماسك متين والفرقة نينتى بالمدافع
والحقوق تطلبها بالروب والجوانتى وابقى رافع
للبلد جايين حكمدار من جلا كسو واستلمها
متحمق لو كان في مدريد والاموسكو كان هدمها
في القوتيل قاعد أمير والشغل داير حرى جمرى
وإن زغر لاعظم وزير، بردون ياماهر بطنه تجرى
مشروعات اتنفذت ، وسيادنا تنهب في الفوايد
من سكات وان كنت تزعل ياللاهيب في الجرايد

وإنتمالك	المسكر يبننى يوم المفاوضة
خلوها لك	دى الأوامر ، والمرافعات ، والمعارضة
عالم الراتب	وقت ما يهف الغرام قول ياللا بينا
م المراكب	ستميت كبتن يحولك عالم المدينة
بالباشا	تتفق أو نختلف برضه أنت تطلمع
وانت باشا	والنشان الحلو فى صدرك ييلمع
كلمونا	ياللى قصر الزعفران مقفول عليكم
طمنوننا	سلمتكم مصر روحها بين إيديكم

وإذ جاءت إلى البلاد لجنة ملنر ، وهى اللجنة التى أراد الانجليز بها تخدير الأعصاب فى عرضها المفاوضة فى مطالب الحرية والاستقلال مع « سعد زغلول » ، وفشلت هذه اللجنة فى مهمتها ، وتجددت الحركة الثورية ، وتشدد الانجليز فى قمعها بضربهم الشعب الأعزل برصاص البنادق ، كتب « يرم » هذا الزجل تحت عنوان « على الأرغول » :

الثورة المصرية

الأولة آه ..

والثانية آه ..

والثالثة آه ..

الأولة ، بالبنادق سكنوا الثوار

والثانية ، جال اللورد ملنر يربط الأحرار

والثالثة ، تصریح فى فبراير وأصله هزار

الأولة ، بالبنادق سكتوا الثوار ومدافع .
والثانية ، جا اللورد ملنر يربط الأحرار . ويتراجع .
والثالثة ، تصریح فی فبرایر وأصله هزار . ومش نافع .

الأولة ، بالبنادق سكتوا الثوار ومدافع . أهم فاضلين .
والثانية ، جا اللورد مانر يربط الأحرار . ويتراجع . عن الغائبين .
والثالثة ، تصریح فی فبرایر وأصله هزار . ومش نافع . وقولوا آمین .

الأولة ، مین یمزق حجة الطالب . فی دین مطلوب .
والثانية ، مین بس یمنع حجة الغالب . عن المغلوب .
والثالثة ، تسلب ولكن قال لنا السالب . أنا المسلوب .

الأولة ، بالسهولة ضيعوا الأرواح .
والثانية ، غول بن غولة جار علينا وراح .
والثالثة ، هیه المهولة تلتقيها مزاح .

الأولة آه . . الثانية آه . . الثالثة آه . .

يرم والسياسة الداخلية

و بقدر ما كان « يرم » يهاجم الاستعمار والمستعمرين ، بقدر ما كان ينقد رجال السياسة من مواطنيه في أعمالهم ، ومبادئهم التي قلما كانوا في نظره يحرصون عليها ، وفي نواياهم إزاء الشعب الطيب المسالم ، الذي سلمهم زمام أمره .

وقد عاصر « يرم » ثورة سنة ١٩١٩ مدة عامين ، ثم نفي عامين ، وعاد فعاش مع هذه الثورة عامين آخرين . ثم عاصرها وهو في خارج البلاد ، فكان لا يفتأ يبعث برسائله الوطنية كلما دعاه داع

وها هو يخاطب بلاده بهذه المحاورة السياسية ، ملمحاً إلى القيود التي تحيط بها من الاحتلال إبان ثورة ١٩١٩

الثورة المصرية ١٩١٩

مالك شهقتي على العـالى	ياللى مالك زنىـد؟
مالك ياواقعة طـوالى	فى طريق الهند؟
ياراضية بالمسيو المـالى	يفقرك بالعند
والقطر ينضاف عا الفلة	جوا بيت المال
والفحل يضرب بالقـسلة	يطلب استـقلال
وتبص فى الناحية التانيـة	تلتقى القـاضى
فارشر وقاعد بالعنية	للشـكل فاضى
يعد عـمرك بالتانيـة	ويعيد المـاضى

ويقوم ويحجز عا الحـالة	ويجب الـدلال
والفحل يضرب
وإن قلتي يا خـوائى يانا	ينضرب تليفـون
م القنطرة للشفـخانة	يحضر الكركوب
بالسكويات والجـبـخانة	والحاجات البـون
والخرق ينسـد بفلة	والزعل ينشال
والفحل يضرب
وان قلتي صـبرى وجهادى	دا الى عـدى وراح
وان قلتي ماتت أولادى	فاللى مات ارتـاح
والحى ساكت والحـادى	له بكا ونـواح
ويشوف خيال الفرقلة	ينكتم فى الحال
والفحل يضرب
تفضل معاكى الشرطية	وان طلبتى حقوق
تظهر سوارىخ رسمية	تتربط بخـروق
والحجة تصبح مـهريـة	ممتاية شـقوق
وان كارب ما تنفع دتلة	تتعمل غـربال
والفحل يضرب بالقلة	يطلب استـقلال

ثم يلخ ، فى مناسبه أخرى ، بعبارات تهكمية ساخرة إلى أبعد الحدود ، عميقة المعانى ، إلى الحالة الواقعية التى لازمت البلاد فترة طويلة ، بين فورة الغضب من الاحتلال ، وبين عوامل التخدير بعرض المفاوضات ، ثم تبلى الأفكار بين الضجة والسكون :

دخل وشاف الفنم	متجمعين كلهم
وشاف منولى ابتسم	سلم عليه قبلهم
استغرب البيه عمر	وقال له يا للعجب
وشك دا والا القمر	قال كل شىء له سبب
بية-ول لى جارنا على	فيه ثورة قال فى البلد
قلبي عدوك غلى	نزات أشوف الولد
قال الفقى قول لنا	الكرشه أصل الزعل
شىء نعرفه كذا	فضك بقى م الزعل
البيه نده وقتدى	على منولى حضر
قال مين بقى المعتدى	فيكم هنا يا غجر
عبد الله قال من زمان	راح الزعل وانطوى
وقال منولى كان	عملنا غدوة سوا

ثم يشير المصرى للتحفز واليقظة ضد الأحداث التى تحيط به ، وضد الاستعمار
بوجه خاص :

يامصرى

يامصرى ليه ترخى دراعك	والكون ساعك
ونيل جميل حلو بتاعك	يشفى الله اليب
خلق الهك مقدونيا	على سردينيا

والكل زايطين فى الدنيا ليه انت كتيب
ما تحط نفسك فى العالى وتنباع غالى
وتتفلى عالى فى بالى من غير ماتعيب
وتقول له كرماء لصوفنا لكن صوفنا
ما ينتفش الا بكيفنا ويبد حبيب

ثم يهاجم الامتيازات الأجنبية التى جعلت من الأجانب على البلاد
أسياداً لها :

المولى ناظر لعبيده فوق شطوط السين
جاء الجمال بدره بايده والا تالا ثنين
المسكرى الزنجى يريده بالقليل اثنين
الكل دولة فى توحيده جات بلادنا البين
المبتلية بكوتارىلى عرة الخواجات
المبتلية ببلقانى نجس البلقار
وكل بلوة سيسيليانى خاف من البركان
ساكنين لى فى الدور الثانى واحنا فى الأكفار
اشرب ودوق ذلك بالى تكرم القفوات
اللطخ فيهم بهبهاته يكب الملايين
والندل فيهم بفالتة باع لنا الكوكابين

والى فرش لأمه وخالته	فرش فى الدكاكين
الله لا يحى ولا يحلى	يفعة امتيازات
يابو الشهادة المختومة	دكتوراه فى حقوق
مادمت بتقول يا حكومة	شلى المزوق
لا أعزى أمك فطومة	دى اللى والددة خازوق
وانزل عليك أنا بالشومة	وابعتك للسوق
تشيل مواهى المتولى	صاحب الكرامات
داخل لنا بتقل وضجة	زى ما تقول هون
وفى الحافل تهيجى	كلمة السربوب
وفى الحكومة تترجى	شفلة فى الكركون
أو يعملوك يا ابن الحاجة	عمدة البجامون
تضبط جناية وتعمل لى	شامبيور نشانات

ويتناول موضوع المحاكم المختلطة، التى كانت فى خطورة تشريعاتها وغيابها جزءاً خطيراً من أنواع الامتيازات الأجنبية وهو يخاطب فى كلمته المرحوم « عبد العزيز باشا فهمى »، الذى كان قد طالب بإلغاء تلك المحاكم، وتسبب عن ذلك امتعاض السفير الفرنسى.

المختلط

أخطب يا عبد العزيز واشرح وانا أكتب
بدم يسىبل

عتب علينا السفير ، خلى السفير يعتب

دا بالله طـ ويل

هو السعيد العظيم فى كادر مترتب

وغيره ذليـــــــــل

هو اللى ينشال ويكره كل شىء متعب

وغيره يشيل

أخطب ياعبد العزيز عن شعب متدرج

وعزمه شديد

مرت عليه العبر والقلب واتخرج

بعلم جـــــــــديد

ويخترع ملح فى عين اللى يتفرج

على اليراميد

أو يحسد المنكوبين عا النور ويخرج

على المواليد

ويتهم على أنواع المفاوضات التى كان تجرى مع الزعماء بين الحين والحين..
بهذه القطعة ، بعنوان المفاوضات ، على الأرغول :

الأولة آه ... والثانية آه ... والثالثة آه ...

الأولة . عالسودان كرزون . خلق تفانين — على كيفهم — ومالناش كيف

والثانية . بوظها هندرسون . سنة ثلاثين — وشرفهم — أسوه في جنيف .

والثالثة . في الزعفران بالحرملة داخلين — وسيوفهم — مفاوضة بسيف .

الأولة . عبست . والبرلمان حلوه — بمقالب .

والثانية . لما اتنست . خزان كبير وبنوه — بلوالب

والثالثة . أهى اتكربست . والهلب فيها رموه — بمخالب .

الأولة . ياخلف للأفريكان تأديب

والثانية . يا اهل البلد أرزاقنا في دواليب

والثالثة . أسطول يوفق بين حبيب وحبيب

الألة آه .

والثانية آه . . .

والثالثة آه . . .

ثم ينقد حكومة « أحمد زيور » في مهاونها في حقوق الوطن ، بتسليم إيطاليا — التي كانت مشرفه على بلاد ليبيا إذ ذاك — واحة جغبوت ، التي كانت داخله في حدود مصر ، وموافقته على التعويضات المالية للموظفين الانجليز ، التي فرضتها دار المندوب السامى البريطانى ، وكانت تقدر بملايين الجنيهات :

يا لى الأوامر فى ايديكم سلام عليكم

مشتاق بى — ألتى عليكم راجل محسوب

محسوبكم اللى صبح نيلة ولا لوش حيلة

وغير لا حدد ولا جميلة هو المسبوب

فالحق عا اللى عملكم ناس وهجـم وانداس
 ولا شاف يا أمة جوزة نحاس بيته الخروب
 راخر الهى سبحانه معظم شأنه
 يخلى مثلاً روفيانو يلعش جفسوب
 ويخلى دكيه أبو ضب عريض^(١) يلف تعويض
 ويخش تانى معاه تفويض رسمى ومكتوب
 أما اللى ساقها وزاد عا الكل الواد الفل^(٢)
 سقى التخزين كاس الذل أهو دا المشروب
 من شخطة منه يفور النيل وتيجى اساطيل
 تفهم السادة المساطيل من المنسوب
 آدى اللى حاكم بالقسوة أما أبو كسوة^(٣)
 شيخ خدامين حتى ما يسوى فردة مركوب
 مطلوب تقوم وتشرفنا وتنضفنا
 من التخزين اللى قرفنا وملانا عيوب

ويتهمكم أيضاً على المعاهدات التى كان الإنجليز يعشمون بها المصريين ،

(١) يعنى الموظفين الانجليز .

(٢) جورج لويده المنسوب السامى إذ ذاك .

(٣) أحمد زيور باشا رئيس الوزراء إذ ذاك .

وما هي إلا شركاء للإيقاع بهم . ويعرض بالحكام الذين آذوا البلاد .
بسياستهم الملتوية :

يا قرن عشرين ياريتك كنت قرن الفيل
وفيك محمد بعث بالوحى والتنزيل
وفيك عمر يرعب العالم بلا أساطيل
جيت والتقيتنا قلاشوه بالجاروف ننباع
لا المشتري في التمن ما كس ولا البياع
ومين في سوق الدلالة يشتري الصياع
إلا لمح الجزم ويدحرجوا براميل

سألت زيور ، وزبور صنعته حاكم
يحكم ولاد العرب بالحر والخصام
وينفذ الملك^(١) لا يحارب ، ولا يخاصم
الأورد^(٢) جاك بالأمانة يعمل ايه قول لي
يا للى الخروف أكلتك ، واللغد متدلى
رمى « الماتان »^(٣) من يمينه . والتفت قال لي
بعد المعاهدة أقول لك عا السبب يا رذيل

(١) كان زيور (رئيس الوزراء) يقول أنه « تولى الوزارة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه »
بعد حادث قتل السردار الانجليزى المروفة
(٢) الندوب السامى البريطانى إذ ذاك
(٣) جريدة فرنسية وقصد يرم بها تصوير شخصية الرجل و ميله للأجنى

قلت المعاهدة البديعة باينة يامونشير
بالخبر دول لعمطوها ، والله بشرة خير
الخبر يقعد ، وهيه تنكتب بأثير
يقراها ولد الولد ، ويسب بالأيمان
فيها الجنود داخلة أكثر م البنود بزمان
والطيـارات م الدخيلة لأمنا درمان
تطبق المادة ١٦ بمب تقيـل

أرجع لسيركين بويد^(١) سيد الجميع وأقول
يجعل كلامنا عليك سفسخ خفيف معسول
إمسك معايا القلم أحسن أنا مسطول
مخ اللي شاور عليك بالخبر دا مضم
يوم المظاهرة الجدع بالدم متعلم
أما اللي يهرب مهار الهول ويسلم
عويل ، ومن يجرى بعده يبقى زيه عويل
وينادى بضرورة تفاهم الأحزاب التي كثرت وتطاحنت في سبيل الفوز
بعضها على البعض ، والبلاد تن من فوضى التغيير والتبديل في الحكم ، بينما
الإنجليز يتر بصون :
حتى الفوريـ لا متفقين والمصريـين
أحزاب ورا أحزاب نـازلين طحن وتكسير

(١) إنجليزى كان يتولى الأمن العام .

وقت الخطر هم الأعداء	أما العقدة
في الفرزة تلقى لها مساعدة	وأهوده التعمير
لكل واحد قال مبدأ	يوم الخندق
ولما تخرب ما يصدق	يشبع تشخير
يعنى المبادئ، مجمولة	حبال مفتولة
في الربط تربط بسهولة	والحل عير
دستورى حر يقول قدم	طيب اقدم
واتحادى يقول إهمدم	وبلاش دساتير
والانجليز في اللوج قاعدين	منتظرين ميب
حيكون فتو الزفة ومسين	يا كل التعمير
والعترة فيهم أم ويأه	يدوله كراه
ويخلوا غيره يزن وراه	مطرح ما يسير
واللعبة آخرتها يياظه	ووزير طازه
ومسير كان... أباطه	يبقى لنا وزير
والطور إذا اتسبب عا الطور	آخرتها البور
أهو كل حزب يكون بالدور	وزرا ومأمير
والربح من غير تضحية	ميمة الميمة
باني الوزارة يا عضوية	عن أهل ابو قير

إسأل صاحبنا المازى اليوم عن حال القوم
اللى عطوك المال بالكموم أجرة تحرير
يقول لك الولد العفريت كلك عكارت
غشونى فى المبدأ ورضيت من غير تأخير
وقبل ما حط العرقوب جوه المركوب
عالم بأن المـال منهوب والحزب^(١) صغير
ثم هو يفرح لاتحاد الأحزاب الذى يعود على البلاد بالخير :

اتحاد الأحزاب

يارب أنا اتوكلت عليك ورجعت إليك
ما تنسانيش أنا صنع ايديك يارؤف يساودود
مين كان يقول ان الأحزاب تصبح أحباب
لك وحدك الحمد يا وهاب يا صاحب الجود
جاعل خلايقك ناس بتحش وناس بتقش
ورحمتك من فوق بترش الزرع يعود
يعود وبعد ما كان جلاوين يرعاه خروفين
عيدان طويلة تملأ العين الله عا العود
كانت زيرية السندين دول يرعاه الصول
وبيص لك عملك جون بول يلقاه أسود

(١) حزب الأحرار الدستوريين الذى كان من جملة الأحزاب القائمة .

شداوا اللبان بزيادة كلام	وامشوا القدام
السعد الى بنى الأهرام	هواه موجود
يخلق بدال الأنتيكة	ميت فابريكة
ويبيع لأمة أمريكا	وبتوع فرى جود
الدنيا كلها حاسدانه	عا الجبانة
« وادى الملوك » أما تانة	منك يا حبود
يعنى الحبة لأمواتنا	واحننا حياتنا
وكلنا محرافيتنا	فى الخارطة قروود
تزخرفونا بترتركم	وبأحمركم
وتشغلونا فى دواركم	نلقط فى الدود
وحق من أنبتة زينة	وفتلة متينة
ليتسج منه خاكيننا	والباقى بارود
ويتقلب شعب الوادى	كله جهادى
ما فيهش عاقل ولا هادى	غير الملحود
خيوب عليه ان ما جملها	يمشى داخلها
م اسكندرية اشلاها	فى عمار ممدود
والنيل يمين وشمال مجراه	يخلق سافواه
وصخرة الجيزة ياولدها	تصبح هوليوود

ويصور الاستقلال الذي كان يطالب به بعض الزعماء بهذه القطعة التهامية
«الاذعة بعنوان « استقلال عدلى باشا » .

قوى اقلنى الطارحة السوداء يا أم الهرمين
وركبى الوردة المـسودة بين النهدين
يا أم الخصال المعبودة أنا احطك فين
جميع لوازمك موجودة عا الراس والعين

إن كان هـلال

والا استقلال

والا رواق بال

على الفوانيس والحنفة يا ما بكيتى
مخلتيش يا ام مشنة ولا بقيتى
قالوا ما ترضاش تسنى لما شكيتى
فالعقد حايكون بالسنة عا الكيتى

محنش صومال

ولا وش قتال

داحنا ناسات عال

يا كتاف صلاة النبى أعرض وعيون غزلان
وطول من البحر الأبيض لامك درمان

وشىء مسى ومحفض اسمى الخزان
وحوض ذهب ساعة منفض وساعات مليون

أما القنال

زى الخلال

وطلوعه محال

ركك على الجمعة الجاية بالاك على ايه
حانققد لك جمعية وصالون وبوفيه
من كل كفر ومديرية ييجى باشا وبه
يخيطوا لك ناموسية وداير ستانيه

وابن الحلال

تحت التمشال

وادى الاستقلال

بـيرم هو شعبيتنا الخالصة ،
هو أنفـاس هذا الشعب ،
تنبعث من أعماق فكره
ووجدانه .

مهر دواره

بيرم والسياسة الخارجية

ويتناول « بيرم » السياسة الخارجية ، فيحول في شتى ميادينها .
ونقرأ له هذه القطع المنوعة ، يخاطب في إحداها بعنوان « ميتم الأمم »
الدول الغربية بما شاء له خياله من تحليل للواقع الذي كانت تعيش فيه هذه
الدول ، إذ ذاك :

ميتم الأمم
(أمريكا)

فين عين واشنطون تشوف روزفيلت أبو التفانين
القصح قال يتحرق ، والبطالين جمانين
آدى جزاتكم ياولسن عصبتك شينة
فرنسا وانجلترا ييضبعوا فينا

(روسيا)

ياللى صبحتم غنم ستالين راعيها
إدعوا اللى بطرسكم الأكبر زرع فيها
شمتان فى قلة مقامكم نصكم إجرايع
والنص فى أوربا دايرو يشتغل ويبيع

(اليابان)

بالرزقانعين ، وميكادكم رشيق ونحيل
حسرة على اللى عليكم ركبوا براميل

وكان صفار الوجوه اسمه صفار الموت
صبح صفار الوجوه له في الموازين صوت

(انجلترا)

الفرس فين والفراعنة فين ذراريهم
الجبارين ربنا يكسر رقابهم
طالب من الله أعيش واشوف بعينية
يا انجلترا أمتك تصبح فلايكية

(فرنسا)

الحظ كان محتكر والناس تروح له باريز
صبح مثل في تومبوكتو وفي تبريز
وف نص يوليوا افتتح باب السما غلطة
أما اللي في الغيب لا لباسيل ولا مالطة

ثم يخاطب دول الشرق ، بعنوان « الشرق » ، بهذه القطعة الرائعة ، مصوراً
فيها طابع الشعوب العربية ، التي كانت في ذلك الوقت مستكنة الجاناب

(الشرق)

من قبل ما اكتب أنا عارف	القول ضايح
والأجر بالتأكيد ذاهب	حسب الشايح
والشتم حاييجيني مسووجر	من واد صايح
مهما انكويت بالنار والزيت	برضك فنان

من دون الكل	يا مصرى وانت اللى هأمنى
عيان بالسل	هزىل ويحبك الجاهل
على كثر الذل	من دى الكيوف اللى تصبر
قوم بعى وطل	ونمت والمالم فايق
وارجع انسان	شوف الشعوب وانقص ودوب
إنت يا شامى	واللى آلمنى وبكأنى
بارد حامى	عالأكل نازل طول عمرك
مصرى حرامى	وقلت لى لما هيتك
جرحك دامى	لحد ما الجزار خلا
ما يفوته جعان	والله الخروف سايب معلوف
أبو زر فاشوك	واللغربى المسلم راخر
يلعن بوبوك	ما انتقدته فزع قال لى
يصبح مفكوك	وانا اللى قصدى أشوف قيده
طيب مبروك	لقيته فرحان به وراضى
وكل التعبان	خليك قهير، دق البندير
كيف الأحوال	روح العراق راخر قول له
بحرام وعقال	لأمتى تفضل يا أخينا
غير للمشمال	ما تعرف الجاز يستعمل

ألطم بقى وقول ويابه الجاز أموال
واوعى المداس يفلت تحتاس وتقول لى أمان
يا شرق فيك جو منور والفكر ضلام
وفيك حرارة يا خسارة وبرود أجسام
فيك سبعميت مليون زلمة لكن أغنام
لا بالمسيح عرفوا مقامهم ولا بالإسلام
هى الشموس بتغلى الروس كدا هو بدنجان

وإذ أعلن مرور المهاتما « غاندى » رعيم الهند الخالد الذكر ، من قناة السويس ، فى طريق ذهابه إلى لندن مفاوضاً فى سياسة بلاده كتب هذا الزجل الجليل ، الذى أعجب به المرحوم « أحمد شوقى » أمير الشعراء ، لما فيه من براعة وبيان ، ودقة فى وصف حالة كفاح هذا الزعيم الخالد ، وجهاده ضد الانجليز الذين كانوا يستعمرون الهند ، متخذاً من العصيان المدى مبدأ له ، ومن اكتفاء البلاد الذاتى سلاحاً ضد المستعمر ، ومن صيامه المتكرر أساساً للمقاومة :

غاندى

السلام لك والسلامة من هنا ليوم القيامة
يا الله أظهرت الكرامة بعد عهد المرسلين
يا الله من لعبك بمنزل تطلع البورصات وتنزل
فوق دماغ لندن وتعزل لا فكثير الفزالين
فيلسوف ما يخيش قولك كل فلسفتك فى نولك
والتلاميذ الله حولك بالكاكيك شفالين

الانجليز عابثين في لذة	عندم أسطول وعزة
وانت تغلبهم بمهزة	سودة بنت اربع سنين
الانجليز تاخذ ما تدي	بالحنان من كل هندي
وانتبح صوتك ياغاندي	ما التقيتش المنصفين
قول مسادام الحق ضايع	والغرض بيع البضايع
الحزام سار وسايح	والا نمشي عريانيين
يخضعوك ليه للتجارة	وانت في أرض الحرارة
كل قرش يروح خسارة	في الزفير والتفتالين
يازعيم الهند صومك	حبب العالم في قومك
وانتهت حجة خصومك	اللى باتوا ملبوخين
كلهم واقعين في حيرة	يمقدوا جلسات كبيرة
فوق موائد مستديرة	يعنى له محققين
يفضب الحاكم لنصحك	يحبسك ويعود لصالحك
وانت تستعجب وتضحك	عا الجبابة القحطانيين
يخسبك طالب جراية	ترعبك هزة عصاية
يلتفكوك ياغاندي آية	في الجهاد صايح مجين

ونعرض ليرم بعد ذلك قطعتين في السياسة الخارجية ، إحداهما بعنوان «سياسة
مدبرة» ، وتحمل تاريخ ١٩٤٧ ، والثانية بعنوان « يا مجلس الأمن جينا » .

سياسة مدبرة

لله سياسة مدبرة	من الأزل متة — مدبرة
سخر لها المتفشرين	الأمريكان وانجلترا
الحرب جاية والسبب	هيه الفنايم والسلب
الهند والصين والعرب	وجملهم مستعم — درة
تبرك عليها الأنجلو	أما اللاتين فيرحلوا
وفي بلادهم يفضلوا	أمم ركش متأخرة
الروسيا حاتقول حصتي	حاتقولوا للروسيا اسكتي
حاتقول جنودي وقوتي	حالا تقوم المجزرة
وبه — دمايمر الزمن	حاتقول تشرشل لترومان
من طنجه حتى لليمن	أراضى تبغ لندرة
ولسه تدفع لى الكلف	وتجيب سلف غير السلف
جديدة غير اللى سلف	والدفع عند المقدرة
يهيدوا تانى اللى اتبنى	محرب تالتة تسرنا
ونبص نلقى نفسنا	فى دنيا زاهية منورة

بالمجلس الأمن جينا

وحننا في إيدينا	بالمجلس الأمن جينا
الحق يمشي علينا	نصف ما نصف عليكم
مش عيزة تمحك وحيرة	قضية ماهيش عسيرة
ويش جابها تحكم واديننا	انجلسترا في جزيرة
وتسوق أمور المناهدة	حاتقول بيناتنا معاهدة
والبحر يصبح طحينية	نعود قوام للمحاهدة
بالضفر والناب نعضه	واللى ما تقدر نصده
ولا التجار يحكمونا	نعيش بموت زى بعضه
عاملينا في النوق بضاعة	تجار سعارنة جواءة
في كل بورصة ومينا	من ساعة تنزل لساعة
وانجلسترا دايرة تفتح	فرنسا في الغرب تربع
في أندونيسيا الحزينة	والست هولنده تدبح
وجب لتخليص بلادها	أمة محمد جهادها
لو تعرفوا تحبوننا	ونص مايسار عددها
شعوب وأملاك وقيمة	أمة محمد عظيمة
لجورجى والا ساريننا	ماهيش هدية وغنية

ثم بعنوان « إيه نابنا بعد الحروب » يصور الحقائق بهذه القطعة الصادقة :

إيه نابنا بعد الحروب

بعد الحروب اللي هـدت قلبنا المروج
طلسم منابنا شوية خردوات وبتوع
وكام جباردين مشمع ، نصهم ممزوع
وجنبهم ربعيت مليوب جنبه مطبوع
وكام حمار حرب أصبح بالفنى ممروع
وجيش بنات اسمه أرتيستات ، يقوده الجوع
وفوج مهاجرين أكاسرة ، ذكرهم ممنوع
أجروا المشاريع ، ولم تعرف لهم مشروع
ولسه جاياك معاهدة غير ذات موضوع
تمص عود القصب ، وتفوت لك الزعزوع

بيرم والثورة

قلنا إن الذين كان يدهم الأمر، حينما دخل «بيرم» خلصة إلى أرض الوطن، في عام ١٩٣٨، كانوا يضمنون أمر استعطافه لفاروق كفاء لحرية والانضاء عنه . وأنهم طلبوا إليه أن ينشر ما يرضى حاكم البلاد، فكتب بالرغم عنه ما كذب .

ولكن الأمر تمالى إلى أكثر من ذلك . فكانوا يستكتبونه في كل مناسبة مديحاً لفاروق ، حتى سمع له الناس في الإذاعة بعض الإشادة بذلك الملك، في عبارات يعلم الله كم كان يتألم لها « بيرم » في أعماقه .

ومن الانصاف أن تخطى هذه السوءة في حياة « بيرم » إذ لم يكن له فيها ذنب ولا جريرة ، وإن كان البعض قد التزم اتخاذها مجالا للنشيع به .

وقامت الثورة المباركة في عام ١٩٥٢ ، على يد الضباط الأحرار، فتنفس « بيرم » الصعداء وحمد الله على أن زال ذلك الكابوس الذي كان جائماً على صدره .

ولم ينقلب طفرة متملقاً للعهد الجديد ، ولم يسرع ليعزف على قيثارة الرياء والنفاق لمن آل إليهم الحكم ، كما حاول أن يفعل غيره من الذين دأبوا على أن يلبسوا لكل حالة لبوسها ، وكانوا بالأمس القريب من أبواق الماضي الفاسد . ولكنه وقف وقفة المؤمن في محراب الصلاة ، يستغفر ، ويتهل ، معتذراً ، تائباً

وقد عهدته في ذلك الوقت ، كما عهدته غيرى من أحبابه ، تدمع عيناه ، ويتألم ، من تسجيل تلك الأقوال الزائفة في صفحة حياته .

ووقفه الله كل التوفيق في صياغة هذا الزجل الجميل ، الذي نشره في أول عيد
لثورة عام ١٩٥٣ . وجعله على وزن وقافية زجله الذي هاجم به الملك فؤاد ، والذي
كان السبب في نفيه ، وهو على سياق الأغنية القدية : «مرمر زمانى يازمانى مرمـر» :

العيد ده أول عيد عليه القيمة

ما فيهش تشریفه ولا تعظیمة

صاحبین و اعراضنا اقدسہ سلیمہ

باللى صمقم فى الإذاعة صوتى

دی مسأله فیہا حیاتی وموتی

مطیبانی کنت والا حسانونی

في الفرح والأحزان باقـوم متأجر

يارب سامحي ، وانت الفافـــــر

تفرح إذا استغفر وتاب الكافر

فضلت أقول يامتقى للفاجر

ويا خليفة الله لشيخ المنصر

وقد صور « يرم » بلباقة واقع الأمر الذى أزم تلك الضرورة . وأنه لعمر
الفن والبيان كفارة عن تلك الزلة الغير المقصودة . وهو أبداع ما تنطق به روح
أديب مخلص مؤمن بوطنه ووطنيته .

بعد هذا مضت الأيام بييرم وهوراض مفتبط ، وكأنه استرد كرامته وأباهه ،
ولمح في مجال الأفق قبولا لذلك الاستغفار الصادق ، على صورته الحقيقية
الصادرة من أعماقه .

لذلك أعقب بهذا الزجل الذى يصور به واقع الثورة التى قام بها أولئك
الأحرار :

سرت فى المدينة	حكومة بنينا
نولى بايدنيا	رئيس جمهورية
بلاش بغل شهـدى	يقول شعب جدى
على عرش والدى	له الأولوية
يقوم من سراية	ينام فى سراية
ويبعت عشاية	لجرمين هدية
وخالتى الإذاعة	تقول كل ساعة
نصير الجماعة	جزيل العطية
ولما ملكنا	أدحنا سبـكنا
تمائيل ملو كنـا	برايخ سقية

ثم يصور حالة الفساد التى كانت متفشية فى أنحاء البلاد ، والى قامت الثورة
على أسبابها ، منوهاً بانتفاضة الشعب ، فى قطعة من الزجل يقول فيها :

والرشوة مش بينى وبينك	لأ ... عيني عينك
وحط عرضى على دينك	لجماعة كبر
أتارى ده كان كله رماد	والفحم ياواد
من تحت والـع والوقاد	ساكت على نار

ويا ما من تحت الأمواج بركان وهـاج
إذا صحا من نومه وهـاج يقلب أخطار
والشعب يا اخوانا إذا قال يعسى الزلزال
تطير عروش وملك ينشال م الدار للنار

ويكرم الثورة في الأغاني التي صاغها لينشد بها المطربون ، تمجيداً لقائد
الثورة ورئيس الجمهورية العربية . ومن ذلك الأغنية التي تنشد ها مطربة الشرق
أم كلثوم ، ومن عباراتها :

بعد الصبر ما طـال نطق الشرق وقال
حققنا الآمال برياستك يا جمال
الشعب اللى رفـع الراية لصلاح الدين
أودعها يمين عبـد الناصر ويمينه يمين

• الخ

ثم يتجاوب مع الأحداث ، في ظل هذه الثورة ، بأناشيده الصارخة ، التي
مها هذا التصوير البارع لانتصار الشعب على العدوان الثلاثي الغاشم ، الذي
قامت به إنجلترا وفرنسا وحليفتها إسرائيل . على مدينة بور سعيد الباسلة :

صوت السلام هو اللى ساد والى حكم
على الدخيل اللى اندحر والى انهزم
عدونا لما اعتدى قدمنا أرواحنا فـدا
واستعجبت من بأسنا كل الأمم

تلات أمم يا بور سعيد متقدمة
بدبابات وطيارات تملا السما

الأولة : داخله البلاد مستعمرة
والثانية : بعد الانكسار متجبرة
والثالثة : على العرب متأجرة

هدموا البيوت قتلوا النفوس . وإنا
إحنا هدمنا عزمهم
فى الشرق كله ومجدم

تلات أمم جاية القتاد . لكنهم
متقدموش فى بور سعيد ولا قدم
اسم السلام هو اللى ساد واللى غلب
وبدنا الفالى على الأرض انكتب

لا يتمحى من أرضنا ولا يزول واحنا هنا
متسكين بحقنا متسلحين بعزمنا

أعدانا شافوا البينة
اللى بنوه فى سنين . فى ساعة أنهدم

شافوا العدا فى مصر عزم ومقدرة
شافوا النفوس تنباع . والله اشترى

شافوا الهواب واتندموا عاالى جرى
عادوا بالخذلان وبالعار والنسدم

وإذا عدنا إلى الماضي ، فإننا نلمح في كثير من أقوال « يرم » تلك الجذور التي كانت متصلة في أعماقه من عدم الرضا عن الأوضاع التي كانت قائمة ، وكيف أنه كان ينادى بصيحات تلو صيحات ، في كل مناسبة من المناسبات ، وكأنه كان يحس من وراء الغيب بذلك اليوم الذي ستحرر فيه البلاد على يد الأحرار بوثة الثورة .

من ذلك ، وعلى سبيل المثال ، قوله حين كلف أن يصوغ الملحمة المعروفة بملحمة محمد علي . وهي التي كانت الإذاعة تكرر ها أيام فاروق .

وليه القاضى والوالى	ينجيهم بابنا العالى
وليه ما يكونش طوالى	حاكمها من أهاليها
مزارع جوها دافى	وطولها وعرضها وافى
وليه يمشى ابنها حافى	يمد الإيد ويطويها

ومن السهل أن يلحظ القارىء ماذهب إليه « يرم » من تلميح لا ينطبق على أسرة محمد علي . وقد فات أمره على أولى الشأن إذ ذاك ، فاستساغوه اصالحهم . وهو لا يصورهم بشيء ، فليسوا من أهل البلاد ، ولكنهم أرناوط الأرومة ، أتراك الأصل ، وافدون على البلاد .

كما يبدو من المقطع الثانى بوضوح ذلك التعبير الصادق عن الأسس التي قامت عليها الثورة من العمل على الاشتراكية الاجتماعية

مزارع جوها دافى	وطولها وعرضها وافى
وليه يمشى ابنها حافى	يمد الإيد ويطويها

ثم ها هو ينادى بوحدة العرب والعروبة ، وكأنه يتنبأ بتلك الدعوة الجليلة

التي ينادى بها ويعمل لها رئيسنا ، وزعيم ثورتنا ، من جمع شمل الأمة العربية ،
وتكتيل قواها ضد مطامع الاستعمار :

أمة محمد جهادها	وجب لتخليص بلادها
ونص مليار عددها	لو تعرفوا تحسبونا
أمة محمد عظيمة	شعوب وأملالك وقيمة
ماهرش هندية وغنيمة	لجورجى والا سارينا

وفي لحظة من لحاته ، وكان ذلك من منذ نحو ربع قرن ، ونح عنوان
« اتحاد الأحزاب » يبدو وكأنما كان يعس متنبئاً بالمستقبل ، حين يشير إلى آثار
التصنيع والبناء والتعمير والإنتاج ، التي هي من المبادئ والأسس لثورتنا
الحاضرة ، في هذه العبارات :

شدوا اللبان بزيادة كلام	وامشوا لقـدام
الساعد اللي بنى الأهرام	هـواه موجود
يخلق بدال الأنثيكة	ميت فبريكة
ويبيع لأمة أمريكا	وبتوع فرى جود
وحق من أنبته زينة	وقتلة متينة
ليتسج منه خاكينا	والباقى بارود
ويتقلب شعب الوادى	كله جهادى
مافيهش عاقل ولا هادى	غير الملحدود
خيوب عليه ان ما جملها	يمشى داخلها
م اسكندرية لشلها	فى عمار ممدود

والنيل يمين وشمال مجراه يخلق سافواه
وصخرة الجيزة يا ولداه تصبح هولـيـوود

ثم هو يتناول مساوىء المجتمع فى دور الحكومة وغيرها ، وكأنه يشير إلى
ما تعمل له الآن خطة الثورة فى تطهير أداة العمل فى كل المصالح والمرافق ، من
المفاسد والانحرافات :

إن كان يحب الوزير يوفر يقوم يراجع فى كل دفتر
يلاقى نص العدد وأكثر يستاهل الرفت والأذية
وفى كلمة أخرى :

لن نربط الخبص والرشاوى نرتاح من الصرف والبلاوى
والاشتركية التى حددت الثورة معالمها لصالح الشعب والمجتمع العربى ،
فى حق كل فرد فى حياة قرية سعيدة ، كان يلج إليها « يرم » فى هذه الكلمات
التي هاجم بها الإقطاعيين المحتكرين ، وأصحاب الأملاك الجشعين ، الذين
لا يهمهم حياة الشعب :

أصل الحكاية الذوات ولهم علينا حقوق
زارعين بسانين ، وخافين من نزول السوق
ياما غنى يشتريها ، والفقير مدعوق
والرب نخاق ، ويمنع نعمته الخـنـوق

يرم الشاعر

آثر. « يرم » أن يكون زجالاً على أن يعرف عنه أنه شاعر . مع أنه ينبغي في الشعر نبوغه في صياغة الزجل .

وقد كان يمكن أن يكون في طليعة شعراء عصره ، بل كان من السهل عليه إذا اختص بنظم الشعر أن يبرز الشعراء ، وأن يتفوق على أساطيهم . ويمكننا أن نسجل عليه أنه بدأ شاعراً فأول ما أنتج من المقطوعات كان شعراً . ولكنه عزف عن الاستمرار في الشعر ، ليكون مع الشعب في طبيعته وبيئته ، وليتجاوب مع الجماهير في روحيتهم ومشاعرهم .

ولنتركه يحدثنا بنفسه عن السبب الرئيسي الذي دفعه إلى أن يتجه لقن الزجل .
ولقد قال ، وسبق أن أوردنا ذلك من قبل

« استوعبت دراسة الأدب العربي من أمهات بنا يبعه . ودرست البلاغة ، وعلوم اللغة وفقهها ، وأحطت بشواردها وأوابدها إحاطة السوار بالنعيم

» وكنت أقدر أنني سأجتز هذه الثقافات العربية الصميّة في صقل استعدادي وموهبتي الشعرية ، إلا أنني شهدت في مطلع حياتي صرعى الشعر ، وأشلاء الشعراء ، تحت أقدام المشعوذين وشذاد الآفاق ، والمتجرين في سوق الأدب الفارغ ، والكلام الساقط ، واللغة الدارجة ، على أرض خبيثة .

« ثم تعاقبت الحن الثقال ، مع الليالي الطوال ، فأخذت المجاعة مخناق وخناق الأطفال ، وتلقيت وحشة الاغتراب ، ونكد المرض ، وفقدان الأوطان والأحزان ، وضراوة المجاعة في بيت لا يؤنس بقايا الأدبيين فيه إلا الأنين

والدموع والأنفاس اللاهنة، فلم أر أن أضيف إلى هذه الحن القاصمة محنة الشعر
فكرت ثقافتى واستعدادى وموهبتى الشاعرة أمانة فى ذمة الأيام إلى الزجل أنظم
به المسرحية والموال والأغنية .

وننقل للقراء كلمة للكاتب الكبير الأستاذ « أحمد عبد الحميد الغزالي » فى
حديث له ، بجريدة المساء ، عن المرحوم بيرم التونسي ، بعنوان (بيرم التونسي
الشاعر الذى ترك قمة الشعر إلى قمة الزجل) .

قال فيها

« هكذا عاش « بيرم التونسي » يطالع الناس فى كل يوم بإحدى شخصيته
التيْن كانتا تولفان فنه ومواهبه . وظلت شخصيته ، تنأى به عن الشعر ، وتغريه
بالزجل ، حتى استوى على عرشه ملكا متوجا . فكل زجالينا ، صغيرهم وكبيرهم ،
روافد لهذا المحيط عميق الأغوار ، مديد الأبعاد ، متلاطم الأمواج

« ولمع « بيرم » وتألّق نجمه ، أستاذاً فى فن الزجل ، لا يشق له غبار ، وأقلّ نجمه
فى سماء الشعر ، رغم إرادته . وكان ذلك تلبية - لا مفر منها - لحكم الأيام

« وكنت أحيانا ألمح عليه أسى وحسرة تنطق بهما أسارى وجهه الصارم
المتجهم ، حين يثار حديث عن الشعر المعاصر ، فكان يضغط على أسنانه ،
ويلوح بيديه ، فى مرارة . ويقول

« أين هؤلاء الشعراء المعاصرون الجديرون بهذه التسمية ؟ .. »

ثم يقول الأستاذ الغزالي

« وكان « بيرم » فى شعره الجاد ، أو الساخر ، مشرق الديباجة ، نغم
الأسلوب ، جزال اللفظ ، رائع الخيال ، خلق فى آفاق لم يحاق فيها شاعر من قبله ، لأنه

كان يعيش في حقائق مجتمعه ، التي يصنعها المجتمع ، وتتألف منها آمال الشعب وآلامه ، وتتبلور فيها أحلامه ورغائبه .»

« ولن نكون مغالين إذا قلنا إن « يرم » الرجال الكبير الذي زحم أيامه بآثاره الخوالد ، من الأوبريت ، والمسرحية ، والموال ، والأغنية ، لا يعرفه كثير من الخاصة والمتقنين شاعراً كبيراً ، أسهم بشعره في أفراح الشعب ومباهجه ، وجوانب الحياة الشعبية الضاحكة » .

* * *

أتاح لي الحظ أن أتعرف على « محمود يرم التونسي » .

كان ذلك في يوم من أيام نوفمبر ١٩٢٢ وكنت إذ ذاك بالسنة الثالثة بالمدرسة الخديوية .

كانت الشكوى قائمة إذ ذاك من كثرة المتسولين في الطرقات ومضايقتهم للناس . فرسمت صورة بالريشة معبرة عن هذه المضايقة إذ كتب أعيش في بيئة فنية شاملة من الأب والعم والأخوة والأقارب . وحملت الصورة إلى مجلة النيل التي كان يحررها المرحوم الأستاذ « فرج سليمان داود » وهي المجلة التي استبدل بها فيما بعد « مجلة الحسان » .

كانت مجلة النيل تصدر في دار المؤيد (مكان مطبعة الرغائب اليوم) . فلما رأى المرحوم « فرج » الصورة أشار على أن أقصد حجرة أمامه ، لأرجو شخصاً أن يكتب كلمة من الشعر ، أو من التعبير الفكاهي ، تخدم موضوع الصورة ، وأخبرني عن اسمه أنه « الأستاذ محمود يرم التونسي » . وكنت قد قرأت لصاحب هذا الاسم « مجلة المسلة » ولا أعلم أنه مقيم حينذاك بالقاهرة ففرحت ، واستأذنت الأستاذ « يرم » ، الذي كان مشغولاً بكتابة بعض روائعه أن يتكرم بما عرضه الأستاذ فرج .

وأسجل هنا المقدرة الفائقة التي لمستها في هذا الكاتب النابغة

إنه ما كاد ينظر إلى الصورة المرسومة حتى أخرج ورقة من درج مكتبه الصغير المتواضع ، وكتب في سرعة عجيبة هذين البيتين

فنة مضها الشقاء فأضحت وسم عار في الأمة المصرية

قد زعمتم بأنكم أهل جود أين ياقوم مبلجاً الحرية ؟

ثم سلمنى الورقة وقال : لاتعجب لكلمة « مض » ففي هذا المعنى في اللغة « مض » و « أمض » . والحق إننى من هذه اللحظة قدرت الرجل . وتأكدت من جذراته في نظم الشعر

هذا هو « بيرم التونسى » الذى داومت اللقاء به في نفس المكان ، ونفس الحجرة ، وهى باقية المعالم إلى اليوم ، بعد ما عاد هارباً من منفاه الأول في تونس . وكان محرر صحيفة الشباب كلها للمرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » .

ذكر « بيرم » في غلاف مجلة المسلة التى أصدر عددها الأول بالإسكندرية في ٤ مايو ١٩١٩ أنه صاحب قصيدة المجلس البلدى . وكأنه حدد بذلك تاريخاً له في عالم الشعر

فقد كانت قصيدته في المجلس البلدى من بواكير ممارسته لنظم الشعر .

ويرجع تاريخ حنقه على المجلس البلدى بالإسكندرية إلى العهد الذى كان فيه والده يملك محلاً لتجارة المنسوجات ، وكان « محمود » يعاونه فيه وكانت الضرائب والأتاوات التى يحصلها المجلس البلدى في الإسكندرية حينذاك يمايرهق التجار . إذ كانت رئاسة تلك المدينة في أيدي أجنبية بحتة .

فلما افتتح « محمود » لنفسه ، بعد ذلك محلاً للبقالة ، زاده إرهاب المجلس البلدى حنقاً ، فنظم هذه القصيدة التى تشهد له ، على صغر سنه بالعبقريّة المبكرة ، وقد نشرها له الكاتب الصحفى الكبير المرحوم « محمد عبد القادر حمزه » في جريدة الأهالى

المجلس البلدى

قد أوقع القلب فى الأشجان والكمد

هوى حبيب يسمى المجلس البلدى

ماشرد النوم عن جفنى القريح سوى

طيف الخيال ، خيال المجلس البلدى

إذا الرغيف آتى ، فالنصف آكله

والنصف أتركه للمجلس البلدى

وما كسوت عيالى فى الشتاء ، ولا

فى الصيف ، إلا كسوت المجلس البلدى

كأن أمى بل الله ترييتها

أوصت فقالت أخوك المجلس البلدى

أخشى الزواج فإن يوم الزفاف آتى

يبغى عروسى صديق المجلس البلدى

وربما وهب الرحمن لى ولداً

فى بطنها يدعيه المجلس البلدى

يابائع الفجل بالمليم واحدة

كم للعيال وكم للمجلس البلدى

ثم أعقب هذه القصيدة بأخرى فى نفس موضوع المجلس البلدى ، وهو
يتهمك فيها على الفارق بين استمتاع الأجانب وحرمان أهل البلد :

وحول منـازل الغرباء عنا
غرست الورد ثم الياسمينـا
وأخضت الفصون لهم سماء
ومهدت الرخام الجذع حينـا
وما قرمو اللحم الطير حتى
منحتهم الأوز العائمينـا
تفجر تحت أرجلهم عيونـا
وتنفقاً وسط أعيننا عيونـا
وترضى عنهم وتصد عنا
وقد سخطوا ، ونحن الشاكرونـا
فر بها علينا كل عام
بجى الأشقاء البائسينـا
ترى الوحلات جائمة وفيها
بنات قد تلعن العجيينـا
إذا كنت الطيب ونحن مرضى
فأوص الناس خيراً بالبنينـا

ثم قرأنا له هذه الأبيات التى نظمها حينما رأى أحد الأفراد المزيلىين يقوم
بتمثيل دور البطل « صلاح الدين الأيوبي » :

يا مشرفين على التمثيل ومحكمو
إني لأمر عظيم هـاجنى الغضب
لقد كثرتم فهلا كان بينكمو
شهم لمثل صلاح الدين ينتخب
ما كان ممتناً حتى تمثله
على مسارح مصر مصرفية
ولنقرأ شاعراً مجيداً في هذه القطعة الصوفية الجميلة
قد دعاك المحزون في غسق الليل
وقد نام كل حى سـواك
رب أنت اللطيف بالبر والعاصي
حبيب لكل عبد دءـاك
لك لطف في الخطب لو أمعن المكر
وب في وقعه يكاد يراك
أنا مستمسك بخيلك في اليم
إذا الكائدون مدوا الشباك
فوق من دبوا على الأرض كيداً
كسيد رب يدبر الأفلاك

ثم ها نحن نراه محلقاً في سماء الشعر الوصفى ، في هذه القطعة التي يصور فيها
فقيها بهره الرقص في داخل المرقص الذي يعج بالرجال والنساء (الكباريه) ،
بما لم يكن يألوه

وكان من « شقاوة » يرم أن يلتقط له هذه الصورة السينمائية:
المجبية المضحكة

ياصاح وحقك ليس على	من رام المرقص من حرج
الرقص نعيم العمر فقم	وادخل في المرقص واندمج
جمعوا الفتيات على الفتيا	ن فيا للأمر المنهج
ما كاد مغنى القوم يدق	الدق باجن منه شج
حتى انفرطت وحداتهم	ثم ازدوجت بالمزدوج
رجل وقريته التقيها	بصدور المـز وبالمهج
فعلى كتفيه معاصمها	ويداه تـخصر ذى عـوج
وخطا الأقدام موقفة	بالرقص على نظم المـزج
ورواحيهما ومحييها	في النهج على أرق نهج
طوراً كالصاعد في درج	أو كالنـحط من الدرج
فإذا انجذبت فلمنجذب	وإذا اختلجت فامختلج
وإذا نقلت قدما ، رفعت	قدما . . والرفع بلا عرج
وأساورهم وخواتمهم	خطفت عبي من الوهج
والقوم تنوج الأرض بهم	مما هم فيه من المـرج
وفيه الله على حدة	تمثل بالشوق المعتنـج
في الركن يرقص لحيته	وتروج عمامته ونجى

وينظم على لسان أحد الفقهاء أيضاً ، في إحدى مقاماته الفكاهية ، هذه
القطعة التي يصور فيها هذا الفقيه وقد قبل الخدمة في أحد المساجد :

قلت صبر لعلها تجلب اليسر والغنى
إنها خدمة وإن كنت فيها مؤذنا
والإمام الذى بها هرم عمره دنا
فإذا مات ذا الإمام توليتها أنا
ولقد قتت بالمهمل كمن كان ديننا
قاصداً ففزع دينه خادما بيت ربنا
فأناجى مكبراً وأنادى مؤمنا
وكنت التراب والفنكبوت الذى بنى
ونشرت الحصار فى الشمس حتى تحسنا
والكنيف الذى اعتنيت به أيما اعتنا
كأن مزراقه قصيراً وعرجونه اثنى
فقد أبيت راحة ، مستعداً مزينا
ثم أمسى وقد مسحت الزجاج المدخنا
كان قنديلها عم فائتى يبعث السنا
كل يوم وليلة جاعلا ذلك ديدنا

ثم نقرأه فى شعر من الفصحى الممزوجة بالتعبيرات البلدية اللطيفة وهى
قطعة على كل لسان أحد الفقهاء أيضاً :

بأبى النساء اللابسات خلا خلا
الحايطات خائساً وجـ لـ جـ لـ
الخارجات بأحرر وبأبيض
الرباطات شرائطاً وحمائل

اللابسات شباشباً وبقابلاً
الحاملات مقاطفاً ومنساختاً
الماضفات لبانةً وحلاوة
الآكلات مدمماً وفلافا
الراكبات سوارساً وبضاعة
التاركات مساكناً ومنسازلاً
الضاحكات لمسرٍ ولوسر
الآخذات مبيضاً ومقاولاً
الضاربات صدورهن تعجباً
القائلات البخت أضحي مائلاً
الداخلات محاكماً ومكاتبة
العاملات مع الرجال عمائلاً
هن السلوأى ما انتهرن مداعباً
أبدأ ولم يشتتم قط مفسلاً
وكذاك لم يألنه عملاً إذا
كان المقاول جاهلاً أو فاضلاً
مهن سائلة ومهن التي
عن كل مسألة تجيب السائل

سم نضع أمام القارئ النماذج الفذة من شعره القوى الرصين فيما أسماه «لزوم
ما لا يلزم» ، بجாகياً به لزوميات «أبي العلاء المعري» ، وفيما قلد به جماعة الشعراء
من القدامى والمعاصرين ، وقد أوردنا بعض النماذج لذلك ، كلا تحت عنوانه .

وفي مجموعات المقامات التي يزيد عددها على المائة ، القسط الوافر من نماذج
الشعر الذي روع فيه «يبرم» كل البراعة ، لولا أنه آثر أن يكون زجالاً



بيرم الزجل

أرغم « بيرم » كما وضع ، على أن ينظم الزجل ، بعد أن كان يكاد أن يبلغ القمة في إجادة الشعر . وقد أشرنا إلى أن الظروف التي كانت تحيط به ، ودوافع البيئة ، وحالة المجتمع العليل في عصره الذي كانت مخازيه وأمراضه تثير نفسيته ، كل أولئك دفع به إلى أن يكرس حياته لعلاجها . وهو لا يتجاوب مع الجماهير في ذلك إلا باللغة التي يفهموها ، والتي تهز مشاعرهم ، أي اللغة العامية ، التي يستقيم بها النظم في الزجل

لذلك آثر أن يكون زجالاً ، أكثر منه شاعراً . ولم يكن بالمسير عليه أن يقفز طفرة إلى المجد ، فيكون في الطليعة لكل من يمارس فن الزجل .

وقد قال عن نفسه في ذلك ، وصبق أن أوردناه :

« كنت أقرأ ما كتبه الذين سبقونا في الزجل والأدب الشعبي ، فاجتمع لدى كل هذا ، مضافاً إليه استمدادى الفطرى للتمرد على البيئة القذرة التي أعيش في ظهرانها ، وأرى عيوبها الاجتماعية والأمراض المتفشية فيها ، فأخذت أنظم الزجل في بعض الأحيان ، وأنتقد بعض التصرفات ، وفي نفسى حنق شديد على المجتمع الذي يحيا في جو خانق من الاحتلال الإنجليزي ، وفي أعماق ثورة عارمة على الذين يعملون على أن يظل الجهل والفقر سائدين بيئتنا إلى أبد الآبدين ... »

ولكن « بيرم » استخلص لنفسه في فن الزجل طرازاً خاصاً ، فإن أزجاله تختلف عما اعتدناه لغيره منها ، وهي تنبض بالحياة وتشيع فيها جميعاً خفة الروح والإثارة ، وتجدد المفاجآت ، مع التصوير المتقن ، والقوافي العجيبة التي يرسلها سهلة متدفقة ، حتى تكون العبارة مع القافية إيجازاً لا يجاريه في جمالها أحد .

يضاف إلى ذلك ما يجب أن يلحظه القارئ ، من أن المرحوم « بيرم » يتخير لكل قطعة من زجله وزنا وإيقاعاً موسيقياً في سياقها ، يلائم موضوع القطعة ، ويتمشى مع معناها والهدف منها . وهي خاصية تميز بها هذا الفنان الشعبي دون غيره من رائدى فن الزجل . فالقطعة التي يتحدث فيها عن مرقص مثلاً يكون وزنها مع الإيقاع التعبيري راقصاً . . وهكذا .

على أن الأجواء والبيئة التي كان يعيش بين معالمها ، والتي جعلته يستخدم ألفاظاً وعبارات طريفة كل الطرافة ، تدفعنا إلى أن نشير إلى ما جاء منها في القطع التي يفرضها كأمثلة من أزجاله التي تبلغ في إحصائها الآلاف ، وتتنافس جميعها في الإجادة والبلاغة

وإليكم هذه الصور الرائعة منها . وهي لا تحتاج إلى مقدمات . وقد يدرك القارئ الفطن ما يقصده بها « بيرم » وما ترمى إليه من غرض ، لأنها أشبه بالفيلم السينمائي الواضح المعالم ، الذي لا يحتاج إلى تفسير

هذا فضلاً عما يلاحظه القارئ ، ويحس به من المهارة في التصوير ، والإبداع في اختياره الأوضاع المناسبة ، واللقطات البارة التي تثير الإعجاب ، بل الضحك ، على ما فيها من مواقف مسلية ومشجبة . مثل قوله :

خمين سنة عمرها ، لكن من (المناغيل)
وراهما قنطار (شفت) شايلاه ، وهم ثقيل
وتحزق الخصر (وتقرط) على (الزنبيل)

وقوله :

قالت حماة (القفا) يسعد يا عمدة مساك
والمولى يجعل فهيمة من (عضاك) ونسك

وقوله :

حاطة السنان الذهب (والقمطة) عا القورة
وجوزها (مستهوى) مقطوع النفس (دهبان)

وقوله

عرجة وفوق ضهرها (كبير) ومكارة
ومثل اختياره لهذه المسميات من المطارة التي لا يلم بها إلا كل مندمج تمام
الاندماج في البيئة الشعبية ، وهو قوله :

قالت لى أم المرة انزل وهات لى قوام
رتم وتنفيل . وإيد مريم . وسنبل خام
وعكنة ، ومغات ، ومحلب غفلى . وخزام
ومخشبان عندى أزرق ، كل شىء رطلاب
ولتسمع بعد ذلك إلى مقطوعاته

أم خليل

فى حارة القدرة دلالة اسمها أم خليل
خسین سنة عمرها ، لكن من اللناغیل
وراهها قنطار شفت شابلاه وهم تقیل
بالاختصار لما تمشى تفكرک بالقیل
والبرقع الی علی الخشم العریض محطوط
بالصنعة والفن فوق كرسى الحدود محطوط

ما يظهر إلا الميون متكحلة وخطوط
ويخفى داهية حنك واسع وصدغ طويل
الست دي يومى بتفوت م الصنادقية
وتحب واد خردجى جنب المناخية
تنظر لها م الدكا كين الصنايمية
يتجننوا الكل لما تنقص وتميل
واحد يقول لى جنبه : بص يا سيدنا
برد دو كهات يقول يارب توعدنا
وتزور مقامهم ، وتسددم وتسعدنا
أدى الحريم التمام : أدى اللى منه قليل
إيش قولكم الناس دي ربت للمرة وسواس
وخنت نفسها ست النساء والناس
تفوت عليهم وتسمع دي المديح تحتاس
وتحرق الخصر ، وتقرط على الزنبيل
إن كح واحد تقول قصده يشاغلنى
وان تف راخر تقول عايز يقيـا بلنى
وان بص راجل تقول مالك حاتا كلنى
أما اللى يضحك دا بيتقى فى هواها قتيل

يوم رايحة للخردجي بالقيمة والحشمة
 وهيه بين المفارق ماشية فى الزحمة
 أتاها شيال لا ذوق عنده ولا رحمه
 غرف له غرفة من الحلة ، وقال يا رحيل
 حسنت بدى البهيلة بصت وراها قوام
 ما تلتقى فى السكة غير واحد أفندى تمام
 نزلت على خالقه أربع خمس أقلام
 اتلعت الخلق حمارة على مساعيل
 قال الأفندى بذلة : إيه جرى يا ست
 والله إيدى ما جات بمك ، ولا حسنت
 قالت : وانا ما تعميت له ، ولا هلوست
 يلعن أبوك ، دون ، قبيح ، طور ، ابن كاب . رذيل
 قال واد هناك عريجي ، فى السجن تقييده
 يعنى الأفندى القبيح إيه اللى حايفيده
 أنا اللى شايفه تمام لما تنى ! ———
 وقال عمل حجته بيطلع المنديل
 بقى الجسديع ، اللى متعلم ، وابن ذوات
 فى وسط كبشة غجر ، أولاد بلد قفوات
 لولا وقف من سكات كان كلها لما مات
 لحد ماراج بعيد عن دى الخناقة ميل

وان كنت تعرف ياسيد خصلة النسوان
وعا الخصوص المرة الوحشة أم خاقة دهان
تعمل ولو بالفضيحة في البلد إعـلان
عن نفسها، والغرض تهم في شاب جميل
لاجل الى عازاه. يغير حالا ويخطبها
ويقول خـلاص يا ولد دى الناس بترغبها
وان حد غازها تعطى له بشبشها
ومن هنا تلتقى حاجة اسمها التفيل
راحت على الخردجى قالت : أنا جاياك
آخر مجية ، عشان أعرف خلاصى معاك
إنت بايعنى ، وكارهنى ، أما أنا شارياك
والشئء دا يلزم له ، وخصوصى الجواز ، تشهيل
روق لى فى المسألة بالعقل واتأمل
أحسن أنا غير كده ما أقدر بقى أتحمّل
فضيحتى ما بين جـيرانى واللى حايكلن
بهـدلتى دلوقت بين. الهبل والخـاليل
إيش قولكم إن الكانون دخن عليه يا ولاد
والخرمة قامت وراحت واخـددة منه ميعاد
من بعد أسبوع يكون كتب الكتب عا الواد
إلهى يـلطف بعـبده ليلة الهلاهـيـل

جوز فہیمہ

لما انعدم جوز فہیمہ السيد الجزار
جابت لها الخاطبة بالقيمة جـدع نجار
وشیخ بلد من (معینہ) ولہ دوار
وساعی فی البوستہ ، وتنقی بقی وتمتار
قالت لما أمہا یکنی بکا ونواح
ویا ما دقتی وقاسیتی من الی راح
إن کان فیہ قسمة ف رجالہ خدی الفلاح
الفلاحین قیمۃ وفلوسہم یابنت کتار
الخطابة دی الی سمعت فی اتسعی ماخابت
والشغلة ما عـوقت ساعتین ولا غابت
راحت تشحتف ودغـری بالقوام جابت
شیخ البلد م اللوکاندۃ دی الی جنب البار
دخل قلع بلغته ویقول باءـوافی
وخش یخطر رجـلہ عا البساط حافی
حسن القدم بالبساط ناعم کده دافی
قادت فی جسمہ وطلت من خدوده النار
قالت حماۃ القفا یسمد یاعمدۃ مساک
والسولی یجمل فہیمۃ من عضاک ونساک

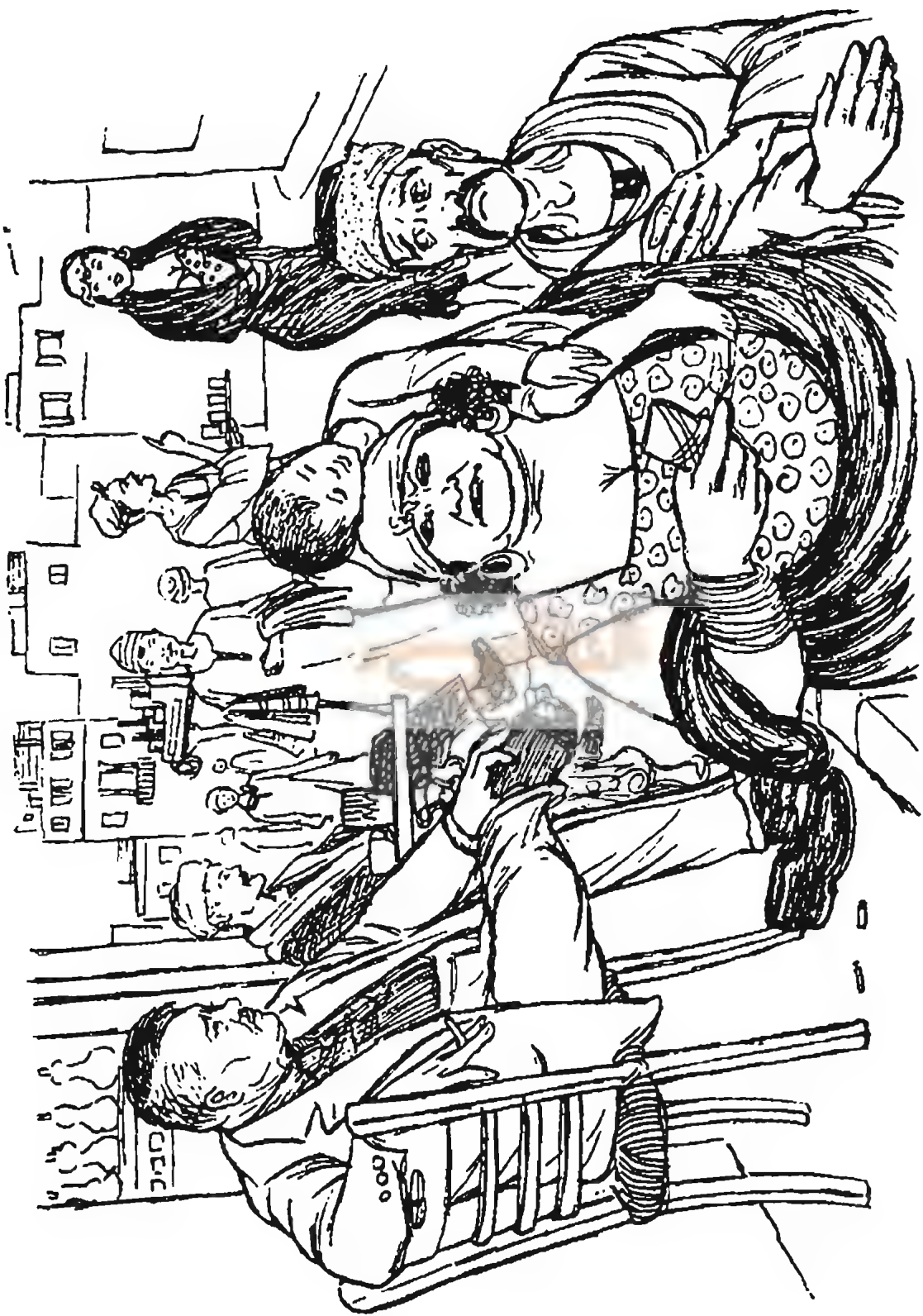
ياهل ترى راح تاخذها في البلد وياك
والا ليالى الوصال تبقى هنا في السدار
قال أما أجـول لك وصلى عالنبى جبله
أخذها إن هيه كانت بالبلد جابله
واديها مصر أما تيدى منى أنا حبله
آخذها شبه وتردع لك دموسه عشار
طلت فهيمة وقالت من ورا الدرفة
قـولى له يامه وهيه قصدها الخلفة
في الشهر ليلتين إذا بات عندنا يكفى
وإن ههنا الشوق بارحل له على الدوار
راحت فهيمة على العـزبة معاها العفش
منفوشة في الجلاية والمـلاية نفس
قعدت سبوعين وعادت تانى ليه ما اعرفش
مايعرف المسألة غـير عالم الأسرار
رجع يقول لهـرة إزاي تغشينا
وتجـولى إن العروسة بيضة وسمينة
ولما نخشيت عليها الجـاها سردينة
ولسه جال ناوية تجطع لى كان انذار
قالت حماته ياعمة كان عشمنا فيك
البنات من قبل ما تجيب الشوار وتجيك

نزل عليها العيسا فمضجها لم يوريك
خست وكانت ما تعرف في السرير تدار
ولا خست كـده ناديت لدادتها
استغربت والله يابى لمـا شافها
وبات قطرها الليلة دى عند كوديتها
طلع لها ، لاجل سمنها ما ترجع ، زار
واندق لك يافهيمه زار ، وزار بصحيح
استعجبت له جميع الخلق دون ومليح
لكن ياخيبة الأمل راح في الهوا والريح
والهز ، والنفخ ، ما يجيب الدرہ إلا فشار
ياواحدة شيخ البلد شيخ البلد شارى
بيعة علف مدهنة والبيعة جزارى
ان كنتى متسكة عا الضيقة دارى
البردة تلتقى يوم الجوازة حـار

زفة المظاهر

بشوف يومانى بعنية	فى السكة ساعة المصرية
موكب وفيه ميت عربية	راكبين عليها عيال حافين
تمدى قبله الجمالة	والطبله فوقها شفالة
والنقرزان والرجالة	من الفتوات الصابيين

وبعد مها جمل أزعر	وفوقه عبلة مرات عنتر
قدامها شيبوب يتمخطر	وف وسطه طزينة سكاكين
بعدين تفوت الرفاعية	والمجدوين والسطلية
والنشالين والحرامية	وبتوع أبو زعل رخرين
وبشوف بقی آخر الزفة	حنطور عليه كثير لفة
وعربجي ومملوك خفة	عليه زواق ورد وياسمين
وفيه ولد جربان أعور	قاعد يمحط ويبربر
وزر طربوشه أزعر	وكل حاله زى الطين
أبو الولد شایل الراية	وأمه شائلة الدفاية
والملاح شايلاه الداية	تطس في عيون الماشيين
يبقى الولد زى النمل	وتخاف عليه من عين الناس
تعال ساعدى بمداس	ورن أصحابنا تسعين
وبعد يوم من دى الفارة	تلقى المطاهر فى الحارة
يمجن وسخ فى الفخارة	وإديه على الوحلة لازقين
والخنفسة فى إيده تلعب	أما الدمامل شيء أعجب
القرود إب شافه يهرب	ويفتخر عا البنى آدمين
الواد بيعبي حدى بدى	والحاج عيسى الحلاق جى
أعمى نظر مايشوفش الضى	وكلبتينه مصدين
جابوا المطاهر يقطع له	وأبو المطاهر يدفع له
وام الولد تتشخلع له	والباقي بالزغاريد راقعين



يُعلم باستوحى الموضوعات من مشاهد البيئة

دكان مرسى

ندرت على الطاهرة أم مرسى الداية
إن ربنا خلاه وزاده هـداية
لتحط له رسمـال ويصبح تاجر ،
يبقى ان كسب مهر العروسة كفاية
سمع السميع منها ومرسى أثرشد
طلع جدع يطوى المدينة ويفرد
جدع صلاة الزين عليه متبغدد
يسد باب حارة ويملا عباية
فتحت له دكان فيه بن وسكر
يمجن ، ويخبز ، فى التجارة ويخمر
مادام لا يستعطى الحشيش ولا يسكر
يفلح ، ويبنى لها الخرابة سراية
قد سى مرسى والكوفية تزينه
عليه طاقية كاسية نص جينيه
وتلت سبعة كهرمان فى يمينه
والورد عا المكتب وفى الكباية
والأمهات وانت عليهم ترسى
فى الصبح نيتته لما يرجع مرسى.

ترقيه ثلاث مرات بآية الكرسي
ويفوت سبع خطوات على الدفاية..
وتقول يا قادر يا كريم تهديه لى
إنت اللى آخر قطعتى مديه لى
بقدرتك من ريحة أبوه خليه لى
لحد ما ياخذ بإيده عزايا
جوه اليهود من كل صدغ وكالغ
مللى فى تصريف البضائع فالغ
اليوم تعاملهم وتصبح شالغ
ما يكسبوا السلم ولا قشاية.
مضوه على بيعة ورق عساوى
وبيعة تانية شمع كله بلاوى.
وكوتراتو زيت وابور كفراوى
والكبيالة اتحررت فى غاية
صاحبنا ياخذ من عميله ما يكتب
ويعطى للشارى البضاعة ما يحسب
يجرد كده بالعين ، والعين تكذب
تشوفها طيارة تقول حداية
قالت له يوم أمه يامرسى قالوا لى
جماعة من درب المقشات جولى

إنك عارف لك واحدة في المدبولى
دافع لها اتناشر جنيه في ملاية

إن كنت قصـــــدك في الجواز يا حبيبي
من بكرة أعمل للفرح ترتيبي
والشرط ما ادفع مهرها من جيبى
انت اللى تدفع مهرها يا ضناية

قال مرسى أنا ملبوخ في شغلى وانتى
من بعد وعـــــدك بالجواز صهينتى
أما اللى قال لك عالمـــــلاية يا نينتى
كذاب ، وقصده تقصديها معايا

خطبت له بنت سيد احمد السرجانى
واتوضبت لـــــيلة الفرح سلطانى
جمعت ما بين المصرى والطليـــــبانى
واتفرقت فيها تحف وهدايا

بعد الفرح خلوا المعيشة ذواتى
أحسن فواكه ، والجيلاته يومانى
والكستليته والفراخ دى لـــــلاتى
وياما نعم ربنا بطـــــابا

الكبيالات استحق ميعادهـا
من قبل ما يروح م العزومة رمادهـا
جاله صاحبها يسترجى سدادهـا
سعر الدرام ما هو سد قنـاية

أبو المراسى قال له : مـالك خايف
وانت اللي جيتنا في فرحنا وشايف
مع المدامة بتاعتك المايلايف
قاعدين كده بين الفانوس والراية

اتكلفت لبانة الفرع دى دواهى
فوق عن ميتين أهيف كده واللهـ

أما البضاعة فاضلة عنـدى كما هى
مش عايزة تتفتح ولو بمصايةـ

والحسبة فارغة ما تأسيش على مالـك
وقت الفرع من عيني أـدفعها لك
أرجوك ومن فضلك ، تطول بالـك
ولأجلى أنا تقبل يا مسيو رجـايا

قام قال صاحبنا للجـدع يامـارة
الشغل دا مش شغل ناس فى نـجارة

ده شغل يا أستاذ عيال في الحارة
إدفع قوام ولا فيش لزوم لقضايا
قال مرسي : حيث إنك كده بتترافع
واللطف وياك والأدب مش نافع
روح إمشي والله العظيم ما انا دافع
مليم من المبلغ سوى برضايا
المسيو برطع ، والشتيمة سمعها
عا الكوتوار بالكبيالة قطعها
جاله المحصل في الصباح يدفعها
والمرغ في عرف البنوكة جناية
مرسي اللي طالع في التجارة يالوصته
بين التجارة والتجار ويأحوسته
ساعة مايدخل محضر البورتستو
في البيت ، ويحجز حتى عا المقلاية
جو المحضرين عا البيت ، وأمه الشايبة
عارفة المصيبة من زمان والنايبة
كانت مراة مرسي العروسة غايبة
في النحاسين ، بتصلح الدلاية
قالت يامرسي تنضرب في لسانك
وتنفضح قادر ماين إخوانك

ضيمت يامنيل قوام دكانك
وياما فاضل له غلب ورايا

بيت رضوان
سكنت بيت جوه حارة، اسمه بيت رضوان
فيه كل ما تشهيه ، الفشة والمصران
من الصباح للغروب، أهجم على الدبان
ومن الغروب للصباح، أجرى ورا الفيران
في أول الشهر صاحب الملك وصانى
على الملاقى ، وحفظنى وقرانى
قال أوعى حارب تعيد الحظ من تانى
لأن يوم طب فيه واحد وكان سكران
رضيت، ومن يرضى حتى بالعذاب يرتاح
وفضلت وحدى، ماليش صاحب غير المفتاح
بعيد عن الشر ، جانى أول استفتاح
تهمة غرام ، وادعتها أوحش الجيران
جارة عجوزة ، ولكن عابقة غندورة
حاطة السنان الذهب ، والقمطة عا القورة
أولادها جدعان ثمانية ، والبنات طورة
وجوزها مستهوى، مقطوع النفس دهبان

الست بتحب سراً ، واد مجاور شيخ
يومى على الله تدخل له بصحن طبيخ
راخر يجيب الهدية ، م الأجازة فسيخ
لا القرع يظهر ، ولا قشر الفسيخة يبان
أما العذول اللى شايف دى الغرام جارة
عرجة ، وفوق شعرها كبير ، ومكارة
خلت فضيحة الولية شايعة فى الحارة
وناوية تصبح تبلغ جوزها فى الدكار
سمعت رفيقة المجاور دى الخبر فى الليل
وجوزها داخل ليلة جمعة ، وعنده ميل
شهقت ومالت ودبت صدرها بالحيل
قال جوزها مالك ماهى الدنيا بخير وطمان
قالت : جابوا لنا جدع عازب ، وحطوه فوق
جدع ، يابو فرغلى ، بارد ، ما عندوش ذوق
تبعى نوبة من القلعة لسباب اللوق
مهار ما حيت ازور البنت فى حلوان
واليلة خلانى قاعدة بالقميص المور
وهو على البسطة فى الضلّة وأنا فى النور

دعس عليه ، لا يأسار ولا دستور
 مالحقش اتغطى ، والبارد ضحك لى كان
 إهىء معىء .. ينضرب ، قادر ، مايوعى ييات
 إهىء وينشك فى قلبه ، ولم يتغات
 وينضرب زى ماخلانى قاعدة وفات
 وشافنى من فوق لتحت ، الصايغ الندمان
 سمع صاحبنا الحكاية تنته طالع
 على السلام ، وعينه فصها والع
 خبط ، فتحت ألقى ده راجل كبير قالع
 وماشى حافى ، وفى إيده عصا خزران
 أول ما شاف وشى قال : يلعن أبوك خنزير
 وأبو اللى جابك هنا ، عبد الله افندى بكير
 وأبو اللى يبجى يحامى لك ، كبير وصغير
 بارد ، قليل الحياء ، دمك صحيح هربان
 عشرين سنة ، ما ابن آدم شاف حريمى يوم
 ويبنى جامع ، ما فيه غير الصلاة والصوم
 حتى البنات والعيال عايمين على دى العوم
 وازاى ما تدخل فى بيتى والحريم عريان

اطلع لى بى كده ، بره وانا اوريك
واجيب لك ابنى الكبير عبد اللطيف يعميك
وابنى كامل افندى ، فى البوليس ياؤذك
تفيت ، وقلب استعوذ بالله من الشيطان
على ايه ياعم البوليس والخوثة والمهرجة
أحلف يمين إنى فى الدخلة وفى المخرجة
ماشفت فى البيت دا عمرى غير مرة عرجة
وواد مجاور ، نجمة أصلها قفطار
ردت ، وقالت منك يا جـدع لله
إنزل ، يابو فرغلى ، دا شغل انا عرفاه
إن شاء الله من جاب فى سيرتى ينضرب فى حشاه
وتخوض فى دمه اليهود ، والمسلم السكران
نزل ، وقال : حابقى اشوف شغلى أنا بعدين
واجمعص جميص يتسم لك ، والا يضرب عين
عن إذنى حطى صوابك فى عينيه الاتنين
باقول على علو حسى ، قدام الجـيران

سبح الخالق

سبح الخالق الى زينها
بالجمال دنيـا سايبـة نسوانها

شوف لى من فضلك	الى قاعدالى
شابكة بالوردة	صدرها العالى
وام شعر اصفر	انصبغ مودة
لاجل يهوسنا	والعيوب سودة
واللى لابلها	ربع برنطة
ثم رابطها	عقدة وشنيطة
طب وشوف رخرة	خصرها الداهية
سر متخفى	والكفل موهية
شوف جاكته	عالية مشنطة
قول ما هي الدنيا	رخرة مسخوطة
واللى فستانها	وصلتين رقة
لفطين شقة	والعبط شقة
واللى سرتها	باينة منفوزة
لو تيجى تقيسها	تفرز الموزة
والنفست حبة	يا ابراهيم يابنى
الى عاطيالن	ضهرها المبني
تنقص قصعة	تزى رجالها
قال وعاملانا	ساهية وف حالها

الى عا اللحم لابه تنورة
ماشية قاطريها خلق بالطورة
قول لى مش عيب دا نفتح الباب ده
والعيال قاعدة

الحاج جابر
الحاج جابر على عيسى الى كارب خطاب
فى الحرب ورد لجيش الاحتلال أخشاب
فى ظرف شهرين صبح يملك ثلاث أعتاب
وفرن ، واصطبل جنبه ، سبعان الوهاب

للحاج جابر دا حرمة اسمها مباركة
وبنت من واحدة تانية من منين داركة
وكل عقدة لها عند الكرم فكة
البنت فى جمعة جولها أربعة خطاب
واحد جدع سنكرى افرنجى ، وله دكان
والثانى أوسطى ، كوالنجى ، وله صبيان
والثالث ابن اسماعين راشد ، من الأعيان
والرابع الساعى الى كان جاب له نوبة جواب

الحاج جابر ملا نحه من ابن البيه
ودار يلف البلد يسأل صحابه عليه

قام قال له عقله حاتتحير ياواد على إيه
الفاتحة في شرع مالك تبقى كتب كتاب
قروها عند العريس ، أحسن من الخيلة
وخلوا كتب الكتاب في ليلة الدخلة
ويومها ييجي الشوار بالزمر والطيلة
وياما للحاج جابر في البلد أصحاب
بيت العروسة في غمرة والعريس في بولاق
مسافة ، وان قصرت ، تطول على العشاق
وأما يوم الفرح كان يوم شكل وخناق
طلع لب البرية ، وانظر الأسباب
أم العريس أصلها هانم وتركية
وابوه فقير إنما عنده البهاوية
والحاج جابر عمل لك شغلة شاذلية
جانب اللويليات بوريه له فنيارين ودولاب
وشيل الصبي الأولاد حته الأجلاف
والكارو فوقها المخذة جنب منها لحاف
ناقص عليها القليل تصبح تمام اسعاف
وأمة جنب النحاس قاعدة له بالقبقاب

وصل لبيت العريس موكب عليه الغين
ياقموا على راس حارتهم أمة السائلين
جايياهم أم العروسة من بين الصورين
حالفين على البيت ماينخش الشوار الباب
أم العروسة تقول يا كلب ياعكروت
! كتب كتاب بنتي من غير شوري بعد ماموت
أدينى دلوقت جيتك بس قرب فوت
لاعمل لأقل الكلاب عندك مقام وحساب
قالت مرأة اسماعيل راشد : ياربى أمان
ناس فلاحين ! عفش ، بطل كان ، دوشمان
خرسيس ، أدب سيس ، يرم ، لعن اطوز ، يوقان
هرشوق ، فنايوق ، خهاايكى ، طوز اوغلى كلاب
قالت نبيهة يا حرمة بترطى على مين
بتحسينا بهـايم والا مش فاهمين
كل البنات فى البلد عند اهلهم قاعدين
حسرة عليه أنا الى بخت بنتى خاب
هم لك الحاج جابر بالعصاية وهات
على نافوخ المرة واحبد ثلاث هبدات

قال بعض أهل العريس : يا خلق ! يا فتوات !

مفيشنى مسلم يخلصهم ينوبه ثواب

طلع لهم واد فتوة ، لكن ابن حلال

جايب معاه كام جدع من عصبتة وعيال

واتلت العريجة كلهم فى الخـال

ودخلوا العفش بالقوة مع الأغراب

جابوا العروسة ، وراحت أمها الكركون

وشيعوا بهضمهم يبحث عن المأدون

الى أخذ فى النهار مهم ريال عربون

وجاره بيقول عليه راجل فقى نصاب

جابوا الكتب الكتاب الشيخ عمر دعموش

والمسألة لسه فيها شغل حلق حوش

قالوا العوالم حاييجوا من ٨ ماجوش

والساعة دقت ١١ والموالدى غاب

الحاج جابر بعت مبروكة للعائلة

تشوفها فين ، والمعازيم ملمومين لمسة

دارت تدعيس على مسكنها فى الضلة

لقيتها ساكنة فى عطفة جنب درب طياب

قطرها عمدة ، دخل في مصر ، بايعها
فضل وراهم — كده بالخطوة تابعها
شافه بوليس سرى ماشى يحسبه معها
قبض عليها بوليس الحفظ والآداب
شوف ليلة الحاج جابر كلها أحزان
الغم من كل ناحية ، والفلت ألوان
لأنه حطاب وكاره يشبه القران
يكسب ويربح ، ولكن تنخم بهباب
تاجر دقيق
تاجر دقيق أنعم المولى عليه وعطاه
ودخله في الطريق الأحمدي ، وهداه
وخش في الدنيا ، وأنجور في عز صباه
وبعد شوف البكارى ، حج بيت الله
التاجر اسمه حسن من يوم ما أهله جابوه
لا في مصيبة ، ولا في مدرسة ، ودوه
لكن فقط عالعاشورة والطبيخ ربوه
طلع تقول بكر شامى جل من أنشاه
وكان خليفة الطريق عامل صاحبنا وكيل
موكله عارايات الخضر والقسم ناديل

راح الخليفة من الدنيا ، وقال يارحيل
وسلمه كل شيء من بعد ما وصاه

فانت مراة الخليفة نوبة عا المكتب
شافت دا قاعد بشيثته يحسب المكس
ونوبة مطرح راجلها ماشى فى الموكب
بين الشموع والرايات ، زى القمر فى سماه

حبت نظيرة ، وقامت فى الغرام شدة
وتسهر الليل ، لا مسند ولا مخدة
ما صدقت لما فانت مدة العدة
إلا اما بانث على أم العيال واخدها

حسن ، نحسب الشريعة ، قسم الكيلة
صبح ييات عند دى ليلة ودى ليلة
يخلص من الشيلة يمشى يلتقى شيلة
والعز ما يحرمك من نعمته قواه

جات يوم لسيدنا مرة ، لكن مرة خفة
من تحت برقعها بان السن والشفة
نادرة تطاهر محمد ابنها بزفة
قدامها تمشى الدلايل ، والخليفة وراه

قالت له يادلعدي عايزاك تمشي له

موكب من الناحيتين تولع مشاعيله

وعايزاك انت اللي تمشي جنبه وتشيله

دا ابني اليتيم اللي انا من ربنا شاحته

قال للمرة إنتي اختي والولد ابني

وحياتك انتي ان ما كانت زفة تمجيني

أعملها من عندي نقطة ، شيء ما يخربني

ما بقاش حسن ، غير ما اجيب لك كل شيء عايزاه

قالت ما يلزمننا غير رؤياك وسلامتك

وأكون أنا رخرة محسوبتك وخدامتك

ولك حلاوتك كوفية نستاehl قامتك

وفوقها منديل حرير ، بيدي أنا شاغلام

زف المطاهر ، وجاب نقطة فوشيك وشموع

واستنى لما المطاهر فات عليه أسبوع

اتجوز أم المطاهر رخرة ، والموضوع

كل يحمل الثلاثة ، والثلاثة معاه

كانت مراته القديمة خلفت ولدين

وجات مراة الخليفة خلفت بنتين

وام المظاهر كان واحد بقواها اثنين
والتسعة زى الملق متعاقين فى قفاه.

والعز ده لما كان حال الدقيق ماشى
والناس تفتش على اللقمة ماتلقاشى
اتغير الوقت والدنيا ما مها شى
تبدل البدر ، وتضع زحل فى علاه

وابو على كان ضاربها ستميت جزمة
ولما شاف الكريزة ، والبلد أزمة
صنى التجارة ، وحضر بكنوت رزمة
وحصل اللى فى (وش البركة) تستناه

عايقة ، وفتحها منزل فيه سبع شبات
فيهم مرة حازها صاحبه ، اسمها نعمات
أخذ حسن يوم معاه حلفت عليه ليات
من غير فلوس ، افكر إن المرة حابه.

والصبح شالت معاه الشنطة والخاتم
والعايقة لما بدت كان سى حسن خاتم
شال الفلوس عندها فى الليل وراح خاتم
صبحت فلوس سيدنا ميرى ، واثرة طارده

قعد في خان الخليلي ، لما اتفلس حاله
ما عنده غير التلات نسوان رسم الله
يا نخت من كانت النسوان ساعيا له
مطرح ما يخرج فلان يدخل يلاقى عشاء
وقول يا نختك بنسوانك يا حاج حسن
الناس لياليها سودة ، وانت ما تحزن
تلات حل قوم وضع في الطبخ واتخن
غيرك له حلة مفيش غيرها طيخها عمه
لوكاندة الحاج سالم
نزلت في مصر مستخفي ، فقير وأديب
دخلت لوكاندة مفتوحة لكل غريب
تعلق الحاج سالم نعمة الله حبيب
راجل معلم ، مكل ، تربية كتاتيب
قال المعلم ياواد ! شوف الزبون دا أمير
أعطى له في نمرة خمسة في البريمو سرير
وخذ له وياك كمان القلة والبشير
واعطى له أكبرها ما عندك من المراكيب
الساعة دقت ٣ بعد نص الليل
والفلاحين بالزعيق شالوا اللوكاندة شيل

الخدامين يرحلوا عا السطح زى الخيل
طالعين يلحوا القوط فى الفجر بالقباقيب

أما المصيبة اللى خلتنى قوام سنحت
صاحب اللوكاندة مشغل فى اللوكاندة تحت
ولاجل ما تم أفراحنا وحسن البخت
باب اللوكاندة من الباب الحسنى قريب

شارع عموى ، عمار ، فيه تلتيمت بيع
وفيه قهاوى ، ملانة للصباح صياح
لهم وحيد ، ونكتة ، تجلب الأوجاع
غير القرف والصداع من دوشة المجازيب

واحد يقول يا عنب لما انت فيومى
والتانى يقول ياناس التين دا برشومى
ودوكها يصرخ يقول سرك يا بيومى
يا قطب يا غوث ، واللى يندهك ما يخيب

أما السرير مرة خمسة كان عداك مبلول
وكل قملة تزيد على ظبان الفول
والبق ده كل بقعة زى عيب الفول
تسمع لها من بعيد فوق الملاية ديب

طلع علينا النهار واحنا في قلب دماغ

سألت كام البياتة قاللى عشرين صاغ

وان كنت بايت هنا تانى تخط بلاغ

قلت البياتة دى عدت ، واللغا دا نصيب

هوليوود

هوليوود خربت عقل الناس أشكال واجناس

لا ذوق بقالم ولا إحساس ولا دين ولا طيب

كل المعابد خربانة أى ديانة

وانتى صلاتك عمرة يومى بتلاين

الدين بقى حب وأشواق وغزل وعناق

واهو انتهى بزواج وطلاق من غير مآذين

مستخدمة جى سليمان طالمة بالوار

سجد لزخرفها الشيطان شيخ الشياطين

جريت جاربو. بقت يابنات والا ياستات

فوق القياصرة والبيسوات وفوق السلاطين

أول ما تظهر تسريحانة وحركة قبيحة

تمشى بها الست سميحة فى ذراع سى أمين

وبنت مدبولى الجزار بمايوه على البار

عشائر تقلد هيدى. لامار تشرب طرازين
 هوليوود ، وأنا هنا فى بلادى بالسينما دى
 خربت بيتى وأولادى طلعت صابون
 ومنين أجيب من غير لازمة ثلاثين جزمة
 فى الشهر لراى وحزمـــــة من دى الفساتين ؟

ملاً « بيرم » سمع الدنيا ، وتجاوز بآثاره وفنه بلاد
 الشرق العربى إلى أوروبا وأمريكا وروسيا ، وأصبح « بيرم »
 هناك فى معاهد الأدب الرفيع والثقافة الأصيلة علماً وإماماً ،
 جديراً بأن يدرس ، ويعبى بمواهبه وملكاتة ، لأنه
 يصور جيلاً زاهراً من أجيال الفكر فى بلاده ، ويعتبر
 عندهم مرحلة من مراحل التطور الذهبى ، والنفسى ، التى
 خلقت قيماً أدبية لم يكن لها وجود فوق الأرض
 العربية ، التى تمتد من المحيط إلى الخليج

أحمد عبد المجيد الفزالي

يرم النثر

لم يندفع « يرم » في ميدان النثر إلا بمقدار ما ألزمته الحاجة إلى أن يصوغ بعض عباراته منشورة إلى جانب مقطوعات النظم ، وإن كان قد عمد ، أحياناً ، إلى كتابة قطع بذاتها من النثر وحده .

وله مع ذلك براعة في هذا الميدان تسجلها قصصه ورواياته الكثيرة ، التي أظهر بها كفاءة نادرة ، لا تقل جودة عن إنتاج قادة الأدب في النثر ، ونشير إلى نوع منها في هذا الكتاب تحت عنوان « يرم القصصى »

وهذا نموذج من نثر « يرم » في إحدى مقالاته التي كان عنوانها « المقفوشات » ، وهو عن قراء الصحف :

« للصحف المصرية قراء لا يبارك الله فيهم ، ولا أكثر من أمثالهم ، ولا نفعهم ولا نفع بهم هؤلاء المتحدلقون حريفة الطاولة والبوكر ، راقصو التانجو والفوكستورت ، الذوات المتفلسفون ، أصحاب الرسوم الكبيرة ، والذكاء المطبوع ، المتربعون في المراكز السياسية ، أو المرشحون للوظائف العالية ، الذين أبطرتهم الكفاية ، وأعيتهم الثقة بمستقبلهم وحاضرهم

« إن الكتاب بين كاتب يسهر الليل في مراجعة المجلات والسجلات ، ليكتب مقالا في التاريخ ، أو ليبرز لأهل عصره شخصية كبيرة تنفعهم معرفتها ، وكاتب يطوف بومه على الدواوين ، ويجوس خلال المجالس ويتجشم مقابلة أولى الأمر ، ليكتب مقالة في الأحوال السياسية . يثير الأذهان الجاهلية ، ويعرفهم بمقائق الأمور . وكاتب له مواهب يبيت يغالبها وتغالبه ، ليبرزها للناس قطعة من الفن الجميل لمن شاء أن يتسلى أو يتعظ ، أو يتذكر . . . وكل هؤلاء ينشرون ما يكتبونه في الصحيفة . وتقع الصحيفة المنكودة في يد أحد القراء سالفى الذكر ،

فيقرؤها ، من أى جانب يتفق ، كما يأتى ، رافعاً صوته .. ذكرنا أمس افتتاح معرض الزهور . اليوم نأتى على وصف هذا المعرض .. ومش عارف إيه ، وكلام فارغ بلا معرض بلا هجص .. غيره .. لم يبق أمل بعد اليوم فى نجاح مؤتمر نزع السلاح بعدما حدث من جراء رفض الاقتراح الذى يقضى إلخ . بلاش وجع دماغ .. غيره .. أصبحت مدينة سر من رأى بعد أن جعلها المتوكل قاعدة ملكه مسكناً للأشراف من العباسيين ، وكان الجاحظ يتردد على هو إليه الى جاحظ ومتوكل . الجرائد باين فلست مش لاقية كلام إيه التحريف الفارغ ده . غيره ... بعد أن تبين وجه الأهمية والمنفعة لـ سد دمياط . اجتمعت بوزارة الأشغال لجنة مؤلفة من حضرات ... طيب واحنا مالنا ومال سد دمياط . وهكذا .. ثم ياتى الصحيفة بجانبه . فيأله جاره . ماذا فى الأهرام ، أوفى الأخبار ، أوفى المقطم ؟ فيقول بايخ . ما فيش حاجة أبداً ... والصحيفة إذن حشرت هذا القارى . الذى لحظها بتؤخرة عينه ، وه يستوعب ما فيها ، وحشرت بجانبه عدداً من القراء .. فهؤلاء الألعيون الذين لا يدركون آخر الأمور من أوائلها ، ويكتفون بقراءة سطر أو سطرين من كل مقالة ، أستطيع أنا أن أذكر واحداً منهم باسمه ، وكل أوصافه ، ثم أكتب مقالة طويلة وأذيلها بلعن أيه ، وقذف عرضه ، وثلم شرفه . وأنسب إليه كل ما يعرف من المثالب والمحازى ، وأنا على ثقة بأنها ستمر تحت أنفه ولا يلتفت إليها ، ولا يشمر بها

وهذا نموذج آخر ، من موضوعات المقامات :

حدثنا الفالح بن جلان . قال :

قسم الحظ للعمه ، وطابت السفارة أئمة . فاختروا من المشايخ عشرة أنفار ، وأوقفوهم للانتخاب والاختيار . لأنه لا يجوز الذهاب إلى أوربا ، إلا لمن تهذب وتربى ، وكان حسن الهيئة ، شريف البيثة فجمعوا يفحصون الأجسام ،

ويتأملون الشكل والقوام. ويختبرون الكفاءات ، ويسألون عن الآباء والأمهات.
فكانت النتيجة كما يأتى :

الشيخ الدسوقي الدسوقي
جسمه ضامر كعز هزيل وعليه عمامة منفوخة

والشيخ راضى رضوان :

فيلسوف أرخى على الصدر منه لحية ذياها كذيل الفسيخة

والشيخ لطفى عبد ربه :

أحذب الظهر زره مستقيم فهو عود وزره زمبوخة

. .

وأخيراً قال

فاسقطوا هؤلاء الخفر ، واختاروني للسفر . لما رأوه من علم غزير ، وأدب
كبير ، وملابس حرير . فقطعوا الى التذكرة ، فى أول باخرة . وخرج المشايخ
لوداعى ، وهم يودون هدى واقتلاعى . . . قل وصلنا إلى مقر الوظيفة ، فى
السفارة المنيفة . فاستقبلنى السفير فى الصالون ، وأجلىنى أمامه على الشالون .
وقال : أعلم أننا لم نستحضرلك للسجود والركوع ، ولكن ليتم بك الموضوع
فالسفارة جعلت للأبهة والفخار لا للنفع والإتجار . ويلزمها خير الموظفين ،
وخير رجال الدين ، وخير النوبيين . ولا يلزم من العمل غير الذهاب والإياب ،
والوقوف على الباب . حتى إذا قيل لمن هذا القصر ، قيل هذا سفارة مصر . .
فهت ؟ ! . . قم الآن ، مع السكرتير فلان ، ليفتش لك عن مسكن ، ويساعدك
بكل ما أمكن . فذهبت مع السكرتير ، واشترينا الملابس الفرنجية من جاكته
وبنطلون ، وفانيلا وكالسون . وقمص وقبعة ، ومناديل أربعة . . . الخ .

وهذا نموذج ثالث :

سورة أربعين سعد زغلول

س ، والدستور العظيم ، ذكر ما أنزل على مصطفى وفريد ، وما أوحى إلى الزعماء من لدن عزيز عليم ، قالوا ربنا هب لنا قوة ، وامدنا بجرائد وأحزاب وجنبا القوم الرجعيين . إذ خطب مصطفى قومه وكانوا غافلين ، ألا تجمعوا في الوطن شركاء آخرين ، يسعرون قطنكم ، ويعلمون أبناءكم إن هذا هو الخسف الكبير . ثم اصطفاه ربه كما اصطفي عيسى بن مريم عن ثلاث وثلاثين . أما فريد فكان من أولى العزم ، إذ ابتلاه ربه ببرلين . قال : رب إني بلى الثوب مني ، ولا أجد الخيط الأبيض ، ولا الخيط الأسود ، وأنت على ذلك شهيد . وكان شلة من أهل فرعون يعبثون في الديار ، ويقامرون ويرقصون مع الراقصين . فما سندوه ، وما نصروه ، ومات من الجوع وهو زعيم . وكم من زعماء ماتوا وهم يشحذون ألا إن آل فرعون قوم منحطون . ما كان سعد وفديا ولا دستوريا ، ولكن مصريا كالمصريين . فمن اتبع هداه جعانه خليفة في الأرض ، وإنا له لمصوتون . فإن تولوا فالذي توفي سعداً يأتي بأربعين ، وما ذلك عليه بعزيز . يا قوم اذكروا مصر التي أنبتكم ، وفيها رزقكم ومتاعكم ، وفيها تدفنون .

لقد تعلمت من « بيرم » أن هناك أدباً عظيماً ، له تاريخه ، وله حياته المتدفقة المستمرة ، إلى جانب أدبنا الذي يكتب باللغة الفصحى .

الدكتور عبد الحميد يونس

بيرم الصحفي

بعد أن عرفته الحياة تاجراً ، حين ساعد أباه في محله التجاري بالإسكندرية ، ثم حين افتتح لنفسه محلاً للبقالة بها ، عرفته صحفياً ، فقد أغلق محله ، وأصدر صحيفة أسبوعية ينشر فيها نظمه وانشاده .

وكان ذلك في عام ١٩١٩

كانت محلته الأولى التي سماها « المسلة » ، مقتبساً لها هذا الاسم من مسلة الإسكندرية الأثرية ، فضلاً عما يحمل هذا الاسم من إشارة إلى الوخز والظعن . وحل عددها الأول تاريخ ٤ مايو ١٩١٩ بالإسكندرية ، وكتب على غلافها عبارة : « بقلم محمود بيرم التونسي ، صاحب قصيدة المجلس البلدى » ، ووضع على هذا الغلاف صورته ، ونحها عبارة : « عرضت على مراقبة المطبوعات » .

وكان لهذه العبارة سببها ، حيث لاقى عناء في إصدار المجلة . لأن رقابة المطبوعات رفضت التصريح له بها ، فأخرجها في حجم الكتاب ، وكتب بدل العدد الأول « الجزء الأول » ثم ذيل الغلاف بهذه العبارة .

ثم انتقل بهذه المجلة إلى القاهرة بعد أن أصدر منها بالإسكندرية عددها الثانى .

واتخذ لها في القاهرة مكاناً بجوار جامع العظام بالقرب من شارع عبدالعزیز . ثم كان أن نشر في عددها السادس زجله اللاذع ضد الجالس على العرش ، السلطان « أحمد فؤاد » ، وهو الزجل الذى أثار غضب السلطان . ثم نشر في العدد الثالث عشر زجلاً آخر يظن فيه فى مولد « فاروق » ولى عهد ذلك السلطان ،



« يدم » في طريقه إلى المنفى ، على ظهر الباخرة التي أقلته إلى تونس ، وهو بين أفراد من شعوب مختلفة

قبل استكمال مدة الحمل — وقد أشرنا إلى هذين الزجلين تحت عنوان (بيرم وأسرة محمد علي) من هذا الكتاب .

وهنا صدر أمر سلطاني بإغلاق هذه المجلة . ودارت الإجراءات لنفي صاحبها من البلاد . ولكن « بيرم » كانت تحميه الامتيازات الأجنبية من حيث كان ما يزال معتبراً بالنسبة لأهله تونسياً ، وكانت تونس تحت الحماية الفرنسية . وقد سبق الإشارة إلى ذلك .

وأخرج « بيرم » مجلة أخرى باسم « الخازوق » لم يظهر منها غير عديدين . ثم أغلقت هي الأخرى ، بسبب كلمة فيها تلميح لمحافظ القاهرة ، الذي كانت له قصة غرام بابنة السلطان ، وهي التي نشر عنها زجله في العدد السادس من مجلة المسلة . وكان القصد من هذا التلميح واضحاً في التجريح لشرف الحاكم . ففاض الكيل بالسلطان ، وانتهى الأمر أخيراً بنفي بيرم من البلاد .

وانقطعت بذلك صلة « بيرم » بالصحافة كمحرر وصاحب جريدة ، من أغسطس عام ١٩٢٠ حتى نهاية أكتوبر ١٩٢٢ ، حيث عاد من منفاه بتونس خلسة كما سبق أن أوضحنا

فإذ عاد من النفي لجأ إلى صديقه المرحوم الأستاذ « عبد العزيز الصدر » ، وكان يصدر في ذلك الوقت صحيفة الشباب الأسبوعية ، وكانت بحجم المجلات ، فاشترك معه في تحريرها ، وغير نظامها وشكلها ، وظهرت في ثوبها الجديد أسبوعية كما كانت ، ولكن بحجم الجريدة .

وكتب على صفحتها الأولى ، تحت عنوان المراسلات :

ممنوع كتابة كلام فارغ ولعب عيال

ليزهل الى كتب والبوستة والجرنال.

جريدة فيها المدير يوزنها بأشقة —
ولا ترد الرسائل لو تكون أزجال
وكتب تحت عنوان الاشتراكات :

الاشتراك عن سنة واحدة جنيه في الإيد
وللتلامذة مافيش تكليف بين الأجويد
وخارج القطر أهملناه لكونه بعيد

زيادة مصر السعيدة وهورسعيد ورشيد
وكان في الواقع يخرجها كلها وحده ، وإن كانت تحمل اسم صاحبها
عبد العزيز الصدر

ولعل المدة التي عاشها بين فترتي نفيه في تحريره مجلة ، أو جريدة ، الشباب ،
هي أنشط عهود ابتكاره الصحفي ، ففيها أخرج ما عرف له من « المقامات » ،
التي كتبها تخليط من اللغة الفصحى واللغة العامية ، ونظم فيها الشعر العربي السليم
مطعماً بالشعر البلدي ، الذي ينطق بأبلغ آيات الأدب الشعبي

كما ابتكر في الجريدة أنواع الإعلان بالزجل ، ومقطوعات السخرية
والتهكم بعنوان « صناعاتنا الوطنية » ، ومداعباته للشعراء والأدباء ، وجزءاً كبيراً
من أزجاله البارعة .

ونفى « بيرم » نفيه الثاني ، وهو آخذ في تحرير هذه الجريدة . فلما كان
في فرنسا أخذ يرسل الصحف المصرية ، كما سبق أن أشرنا تحت عناوين سابقة .
وظهرت أشعاره وأزجاله ، ومقطوعاته من المقامات ، وقصصه ، وتهكماته ، في صحف:
الأمم ، والكشكول ، والنيل ، والفنون ، وأبوللو ، والمطرقة ، والصباح . وذلك
بعد أن لازم نشر أغلب كتاباته في صحيفة الشباب قبل احتجائها .

ثم اشترك في تونس في تحرير جريدة اسمها « الزمان » .
ثم أصدر هناك أيضاً باسمه جريدة سماها « الشباب » ، إحياء لذكرى
صحيفة الشباب التي كان يحررها في مصر .
وكان ينشر في جريدة الشباب التونسية أشعاره ، وأزجاله ، ونقده الأدبي ،
بالعربية ، إلى جانب أزجال كان يصوغها باللهجة المغربية .
ومن بعض هذه الأزجال المغربية مانح فيه إلى التقلبات السياسية ، التي
تعرضت لها تونس بين الفاشية والبلشفية : وتشعر بعقريته الفذة في صياغة العبارة
بلغة تلك البرد :

رأى النادى وماشى خايف الغول واقف وانت شايف
ربك صاحب اللطف الطايف يخرسنا من الشياطين

رأى النادى وماشى حافى ربى يعلم قلبى صافى
ربك صاحب اللطف الخافى يخرسنا من الشياطين

الدنيا شطرين مقسومة كوفزما وحالة مشنومة
والفاشيزم وش البومة واحنا بينات الاتنين

واحنا معاهم يا عليهم كيف الأرنب بين رجلهم
يفنسونا ربى يهديهم واحنا قلالة ومساكين

وإذا ألحنا إلى حياة « بيرم » الصحفية التي عاشها في مزاولة التحرير بنفسه ،
أو المشاركة في إصدار صحيفة ، أو المعاونة بالتراسل ، مجد لبيرم في كل ذلك
نشاطاً يثير الإعجاب والتقدير . فقد كان يمثل بحق حيوية الصحفي ، من حيث
نشاطه الدائم ، وإنتاجه الدافق .



مكتب « يرم » في دار المؤيد ، بشارع اقلعة (محمد علي) .

ويجدر هنا أن نشير إلى ما كان عليه العصر الذي مارس فيه « بيرم »
مهنة الصحافة .

فقد كانت الصحافة في ذلك العصر مهنة شاقة ، وكان الصحفي اللبق هو
الذي يمكن أن تعيش صحيفته و يقبل عليها الجمهور
وإذ أجاد بيرم ذلك النوع الجميل اللطيف من الأدب الشعبي ، في وقته ،
فقد كان من الصحفيين الناجحين في اجتذاب القراء .

ولكن الكسب عن طريق الصحافة ، في ذلك الوقت ، كان ضئيلاً . فلم
يكن الصحفي يضمن الكسب الكثير بسبب القلة من القراء ، لركود سوق
الثقافة العامة ، وضآلة عدد المقايين على قراءة الصحف .

ومع ذلك فقد لاقت جريدة الشباب على يد محررها « بيرم » بين أواخر
عام ١٩٢٢ وسهاية عام ١٩٢٤ ، وهي الفترة التي عاشها في مصر بين النفين ،
رواجاً عظيماً ، وكان ثمنها . نصف قرش أسبوعياً

ويمكننا أن نقارن ضآلة مكسب الأدباء في ذلك العهد بالكتاب الذي
طبع لبيرم باسم « السيد ومراته في باريس » ، وهو الذي أشرنا إلى أن جامعات
العرب قد قررته في دراسة اللغة العامية ، حيث كان ثمنه قرش صاغ واحد بينما عدد
صفحاته ٩٦

والحق أنه كان عناء غير ذي جزاء .

وما كانت تلك المبالغ الضئيلة التي كان يحصلها « بيرم » في ذلك الوقت لتكفيه
أن يعيش منعماً . بل كان ، كأنداده من الأدباء ، كالشمعة التي تحترق وهي
تضيء ما حولها

لذلك كان « بيرم » دائم السخط على مهنة الصحافة والتبرم بها . فإذا أضفنا

إلى ذلك ما عاناه في سبيل الصحافة ، وخدمة الأدب ، من نفى وتشريد ،
ومصادرة ، واضطهاد ، أدركنا السرفى مداومته على التذمر من هذه المهنة .
لقد قرأنا من أقواله مثلاً :

. . .

واتوب على سيدى لاظاوغلى من كار الجرانين
واعمل حانوتى ومغسل واشيىل الميتين
ثم قرأنا أيضاً :

أعيش شريد وامشى حافى	في مصرولا اكونشى صحافى
على الأدب قول ياعوافى	لاعمل أنا فران أستر
لاعمل أنا فراى واعجن	وانبىخ فى فن العيش واتقن
إلا الكتابة اللى تسرجر	فى عهد دستورنا الأخضر
بالعجب على خلقتنا	والدود يبهى فى جتننا
ون كنت تالقى فى صحافتنا	دوا الدمام ال تنسكر
إن قلت يا حكومة جرى	واحد فاتح له بيت سرى
تقول لى طب ليه بتورى	ما كان فى حاله ومنستر
ون كنت أكتب فى حكاية	لا طعن فيها ولا غاية

يقولوا تحريض وغـواية عالفسق قوم امضى المحضر

وان كنت أكتب فى الحكمة وفى البخارى والختمة

واحلى جرنالى حشمة عا اشكل دا الجرنال يخسر

عمك (زميى) عطا التصاريح لكل جاف جانف قبيح

نزل بها فى الناس تشبيح لا خلوا سالم ولا بعجر

صحافى من همـه وغـه مسك القلم ونفث سمه

فى واحدة من طبقة أمه والدور على الدور ينشطر

ويلاحظ فى هذا الزجل تصويره لذلك العناء الذى يصادفه الصحفي فى أداء

مهمته ، بين مختلف تيارات التقاليد والعقائد ، التى كانت تحول دون التصريح بصيحات الإصلاح انواجب .

ولعل من أظرف قطع « بيرم » فى موضوع الصحافة ذلك الزجل الذى

داعب به صديقه المرحوم الكاتب الكبير « إبراهيم عبد القادر المازنى » ،

والأستاذ الكبير « عباس محمود العقاد » ، وقد وضع فيه لثالوثهم صورة

كاريكاتورية مضحكة ، يخطط بها إطار بارع من الواقعية ، التى يتعزى بها

أهلى الصحافة

فرقة رمز

يا ابراهيم ياما زنى .. ليه ما اعرفش مالى

كل ما اكتب ، ألتقى طيفك قبالى

أحشرك في الوسط ، واعمل بك تقالى
قول لى إيه أصل السبب فى دى الأسية
أخبرك إيه السبب فى دى اللجاجة
أولا ، دمك خفيف ، خالى السماجة
ثانياً إنك ضعيف ، ماتقولش حاجة
لازجل تنظم ، ولا ترفع قضية
من كده ، باامسك فى زورك كل ساعة
لما ما القاش كلمتين أملا البتاعة
قال مافيش غيرك هزؤ ، شوف دى الفظاعة
امثل ، أمرك لخلاق البرية.
يا ابراهيم حيث ان بساط سوق الجرايد
قوم ندعيس عا المـعـاش ، ياما موايد
مـدها سيدك بلاش ، فيها فوايد
للى يهب ، واللى ياهط ، مـتـتوية
خد قفاية ، وهات قفاك ، وامسك معايا
طار صنيح والبس ياواد طرطور براية
واتمسح مثلك ، وانظم لك حكاية
وندور احنا الجوز نزور الحلوجية

وان لبس عباس^(١) كان زعبوط وضنأر
فوقه عمة مزهرة من فرمة مصفر
هوه بالأرغول يتمم ، واحنا نجمر
عالم الطبل ، تنجح تمام الكومبانية
نجمع زى الذوات ، والعصر نسر
فى البلد ، ونشيل هموم الناس ونشرح
مها شغلة ، ومها فحة ، ومها نرج
تبقى دى ، صدقنى ، عين العبقريه
وان كسبنا روح لعزى^(٢) الاحتياطى
بالفطائر ، والسجائر تحت باطى
بلكى — مين عارف — يحينا يوم نطاطى
روسنا فى التخشبة ، تبقى لنا الهدية
يا ابراهيم ، كار البلا ، الزيت ، الصحافة
تمشى فيه بس اللطائف^(٣) ، واللطافة
أما جبار مثلى ، أو صاحب سخافة
مثلك انت ، الفقر أولى بك وبيه

(١) الأستاذ عباس محمود العقاد .

(٢) المرحوم الأستاذ محمود عزى ، وكان صحفياً شهيراً

(٣) مجلة اللطائف المصورة واختفت من منذ عشرين عاماً .

حيث بأن الشعب ماسك لك خصومة
من زناخ عقلك ، تناضل لى الحكومة
قول لهم ينفوك ، وأحظى بك يابومة
أو يخلوى أجيلك من عينية

* * *



يبرم فى شبابه الصحفي

يرم ورجال الدين

يروى لنا « يرم » في مذكراته التي دونها عن حياته ، كرهه لرجال الدين .
من حيث لاحظ في أحد المدرسين حينما كان يتلقى العلم وهو صغير ، في مسجد
المرسى أبي العباس والبوصيري ، أنه كان ينظر إليه نظرات مريبة ، الأمر الذي
جعله يشمئز ، ويعول على الفرار من وجهه ، ويترك المعهد إلى غير رجعة
ويقول عن نفسه :

« ... وتربت في نفسى عقدة من جميع الشيوخ الذين يابسون مسوح
التقى والورع . وكرهتهم كراهة الأرض للدماء ... »

فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان يحدث من بعض الشيوخ إبان ثورة سنة ١٩١٩ ،
حيث كان الإنجليز ، إذ ذاك ، يستمينون رجال الدين لتخفيف حدة الثورة ،
بالقاء الخطب الدينية والمواعظ ، نظير إغرائهم بالمال والجاه . وأن فريقاً من الشيوخ
بالذات كانوا يترددون في خفية على دار المعتمد البريطاني (كما كان يسمى في ذلك
الوقت) وفي طليعتهم من كان مفتياً للديار المصرية^(١) الذي شوهد أكثر من
مرة داخلاً إليها أو خارجاً تحت جناح الظلام .

يشير « يرم » إلى هذا ، مهاجماً ذلك المفتي ، في زجل جاء فيه :

يا نخيت يا ابو دومه	يا ابو خلقه مشومة
لاديك بالشومة	إب ما كنتش ترجع
ضبطوك متايـل	عا القصر محـول

(١) المرحوم الشيخ محمد نجيت .

تجرى وتنشندل وعامل واد مجدع

اتلم احسن لك دا الشعب قاعد لك

بالصرمة بذلك اتأمل واسمع

ثم يتناول أيضاً رجال الأزهر وقتذاك جميعاً ، بقوله في قطعة من زجل آخر :

يا أزهر العلم انت ازهر صحيح وشريف

لكن مع العلم أهلك كلهم م الريف

طالبين أجور المظاهرة كل خطوة رغيف

وجبة كرمير ، بقفطانها ، ومركوبها

وان شاء الله يحكمها مالطى يرعى في الحلاليف

وإذا أضفنا إلى هذا عقدة « بيرم » من جماعة الشيوخ ، علمنا السرفى حملاته الشديدة التى كان يوجهها ، دون رحمة ، عندما يقرأ أو يسمع حادثاً وقع من أحدهم

كتب مفتى الديار ، ذلك الذى هاجمه « بيرم » ، مقالا نشره فى الأهرام ، ووقع عليه بإمضائه ، فإذا هو منقول بنصه وفصه عن مقال للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، عنوانه « العصبية والتعصب » كان قد ظهر فى مجلة العروة الوثقى . وضبط الواقعة المرحوم سعد زغلول ، فكلف تقيب المحامين أبو شادى أن ينشر الخبر فى نفس جريدة الأهرام ، ويعرض النصين معاً .

فإذ بلغ « بيرم » خبر هذه الفضيحة وهو فى المنفى ، أرسل للنشر هذا الرجل اللادع :

ستين سنة لا عمل تبیت واشرب لی کبایتین نبیت
والعن أبو الشیخ کسفریت الکافر (الحادی عشر)
قلت لکم الشیخ ینجلد قتلوی أخرج م البلد
قلت انت مالک یا ولد حا تنحشر مع العجر
حسب شیخ الدولة تاب جه هود سخمها بهباب
مرق مقالة من کتاب شهر وصاحبه مشهر
یه رأيکم یا مسلمین فی الشیخ کباب کفتة الامین
طالع یر المسلمین أمال یاریته کان کفر
لازم تجییوا المفتی حالا فی مجلس عسکری
یا کلها نا یتهری وغیره راخر یعتبر
أزم ما یعمل فیلسوف ویحط لی فروة خروف
وتحت مها جبة صوف آل یعنی عالم مقبر
یاخی اتلهی جاک البلا فی دقنک انت—دلة
روح اترمی فی مزبلة واکنی الماجور علی الخبر
یلعن أبوکم کلکم ویدوس فضیلة علمکم
کلاب ما یشح بطنکم نغیر الرشای یا غجر

ونقرأ « یرم » ، وهو فی المنفی أيضاً ، عن مشروع جلیل کان قد قام به
جماعة من الفیورین . إذ فکر الأستاذ « عمر لطفی » فی تسکونین تعاون شعبی ،
یوفر المطالب الحیویة للمواطنین ، حتی یتغلبوا علی الأزمة الی کان قائمة من
الجوع والعری ، من جراء استیلاء الانجلیز علی کثیر من خیرات البلاد ومواردها

وإذ يصادف هذا المشروع نجاحا كبيرا ، بإسهام عدد كبير جدا من الكبراء وأهل الفكر ، مع العديد من الطبقة المتوسطة والعمال ، هال الانجليز الأمر ، وعدوه خطرا على سياستهم الاستعمارية ، فعمدوا إلى محاربته بشتى الوسائل . ولجأوا في ذلك إلى جماعة الشيوخ ورجال الطرق خاصة . وأوعزوا إلى الشيخ « محمد الفنيي التفتازاني » ، وكان أحد مشايخ الطرق ، أن يهاجم المشروع ويحض على النفور منه ، بدعوى أنه يرمى إلى البلشفية .

فما كان من الشيخ « التفتازاني » ، رحمه الله ، إلا أن تولى هذه المهمة ، وأخذ ينفذ آراء القائمين به على صفحات جريدة الأهرام . وكتب مقالا يتهم فيه الأستاذ « عمر لطفي » وأصحابه بأنهم من المارقين ، الخارجين على الدين الحنيف ، الداعين إلى البلشفية ، التي يحرمها الإسلام .

فإذ قرأ « بيرم » عن ذلك أرسل هذا الزجل المريع ، الذي جعل الشيخ التفتازاني يتوارى عن الناس بعد قراءته :

الحمد لله لا انا لثات ولا عجار
ولا قريبي بوليس سري ولا سجار
يا « زفتزاني » كلامك كله باذنجان
تبرق عليه الخلاق إنسها والجار

جماعة شافوا الغلابة ميتين م الجوع
حنوا عليهم وقاموا وضربوا مشروع
جي انت بتقول دا دين البلشفيك ممنوع
إيش أدخل البولشفيك في نجدة الإنسان

لا في الجوامع رأيت مثلك ولا في الدير
علم ومسلم وبتعارض في فـال الخير

مدام فضيلتك بتا كل كستليتة وطــــير
يبقى الدريس والدره والفجل للخرقات

طــــب وانت مالك بتتفلحس وتتلفس
وتخش فى اللى ما هو لك ليه وتتكشف
هيه هار البلد دى لما تتبلشف
حانجردك م القاوق والجبة والقفطان

لأ والتلامه بتستشهــــد لنا بالدين
إنه أمر تبقى نص المسلمين جـــــانين
إب كنت فاهم شريعة العدل عن لينين
أنظر شريعة نبينا نازلة فى القرآن

كان النبي والصحابه يجلسوا عا الأرض
مافيش لهم حد لا بالطول ولا بالعرض
متجمعين، والفقير عـــــــند الغنى له فرض
والكل فى الكل اللى فى الحرم إخوان

سيدنا عثمان ما كانش عنده رتبة بيه
حتى الخليفة عمر كان يشتغل بايديه
ولا إمامنا على كان عنده ألف جنيه
ولا أبو بكر عنده ست الاف فدان

ولما تتوزع الخنطة وصاع التمر
كان اللي ياخده بلال قد اللي ياخده عمرو
والأمر لله لوحدده هو صاحب الأمر
ينزل سماوى لا ديكريتو ولا فرمان

أوجب عليهم إله العرش شيء معلوم
يطلع مافيش هرش للسائل والمحروم
صار الكلام ده النهارده فى بلاد الروم
والمسلمين أصبحوا لا دين ولا إيمان

يشغلوا الشحط فى الجامع بستة ريال
يكنس ويمسح محلات الأدب ع المال
وأخر انشهر يتحاسب على الإهمال
يطلع من الدين والدنيا — اكان خسران

ويبقى فيهم غنى وفرد وصاحب بنك
يشغل ابن الأصول طول النهار بفرونك
ياما ألوف الألوف يامسلمين فى ضنك
أكل التراب والعبك من جسمهم ريقان

ثم يهاجم «بيرم» أيضاً ، نوعاً آخر من شيوخ الدين ، إذ ذاك ، فى شخص
رجل معمم كان يشتغل بالطب الروحانى ، وكان اسمه « الشيخ محمد زيدان » ، وقد

اشتهر بين النساء حتى أنه تزوج بـسيدة شهيرة ، ثم بأميرة من الأميرات . وكان
يتخذ عنه ستارا يخفى وراءه غاياته . ويرسل « يرم » من منقاه هذا الزجل
العجيب في تصوير هذا الشيخ :

الشيخ زيدان عامل طبيب روحاني
بالفلى قال يكتب وبالسر ياني
بين النساء له صيت عظيم جواني
فايق على الدكتور شاهين وريادة
والشيخ زيدان أسمر طويل ومتفحل
إبليس يشوف وشه المشقلب يرحل
يرخي العدايب حضرته ويتكحل
من الصباح ويلازم الجادة
له كل يوم دبشة حشيش رحلاوى
دخانها ضايع فى مخور الجاوى
وينخط قدامه كتب وبلاوى
لأجل العيادة تنقلب بعبادة
خشوا عليه اثنين واحدة زبونة
والثانية سمسرة زحل مجنونة
باسوا الأيادى المجرمة الملعونة
واستنظروا أمر العبيد والسادة

انتحى الدكتور وقال للهـانم
 دستور ياست اتفضلى ايه الـلازم
 قالت تحضر لى النهاردة الخادم
 يعرف لى أسباب انقطاع الماده
 آخر ولادنى كان هـار الزينه
 والطلق جاني يومهـا فى التراسينه
 راحم نجيهـوا الكرسى وام أمينه
 حضرت يادوبك عـا الخلاص الدايه
 حشـت على سلفى فى نفاسى
 وانـا عدوك فى الفراش وبقاسى
 بصت وقالت (يافطم) تنحـاسى
 اللى انت فيه دا لعب والا ولاده
 يادوب دى راحت واللى هوه فى ضرى
 جاني تقول خنجر ياخويا بيهرى
 الأربعين فانت ومدة طهرى
 والدم خـد عندك نخور مداده
 جابوا الحكيم قال الحكيم دى الحى
 زى اللى بتقوله جميع الحكـا

وصف سخام برشام وكان الخاتمة
من يومها أنا عاقر وأنا ولادة

ضهرى انقطع ، بصيت عليه ما لا قيته
أما اللي جبتـه في التراب حطيقه
أمر الحكيم يارب تخرب بيتـه
وتعمى عين السيدة الحـادة

استعدل الأستاذ وخش وراها
من بعد غمزة للى جيه مـهاها
قعدت تصهل طول ما هى مـهاها
تقول يالهوى حقـه كله إلا ده

إن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقرية ، لا يثق منها
بغير حساب .

عباس محمود العقاد

يرم والمرأة

كان « يرم » منذ ما خاض ميدان الأدب يتوقع أن المرأة هي الأساس في صلاح المجتمع ، وهي السبب في تأخر قومه لجهلها ، وضعفها ، فشرع قلبه في وجهها . وكان قاسياً عليها أحياناً ، مشفقاً بها أحياناً أخرى .

وهو بعد إذ نقد أخطاءها في الحياة مر النقد، عاد يشيد بها حينما تدرجت بها الأيام فأنمر فيها العلم والتربية .

وهذه بعض صور من نقده لها .

فهو يقسو عليها قسوة شديدة بتصوير جهلها بهذه الصورة البشعة

دود الحصيدرة زحف والعنكبوت عتش

على البيبان والستار وانقراز غش

شوفى التراب الى باللوحه على الكنسول

قوى امسحيه ليشوفه جوزك نجى يوش

فى كل جمعة اكنسى تحب السرير مرة

لا تحطى تحتها لا مقـالاية ولا جرة

والحابة والصفحة وسالة الهلاهيل

وقـدرة الش لازم يترموا برة

يامنية يالى مين زيك ما حقه جواز

غلبتى جوزك وعلمتيه على الزناز

مبسوطه لما بسلامته يروح يقول لامك
دى كل ليلة تجيب الأكل متعاص جاز

عمرك ما تزوقى الا عشان بره
وتطلعنى بالبوال والصدر تتعري
خلى الزواق والعدل فى البيت للراجل
لاحسن يكيدك وياخذ بامحل ضرة

دبقتى جوز الأساور من قفا المسكين
الوزن مية عيساره أربعة وعشرين
وما يسأل تقولى دول بتسوع أختى
لهوانت بتجيب أساور دانت عيشتك طين
حتى يا بنت الحلال قلبك على قلبه

ودبرى البيت وهو يعس على غلبه
داكل واحدة مطيعة يحبها جوزها
والناس يقولوا يحب مراته وتحبه

ثم هو يلقنها درساً قاسياً آخر ، بهذه القطعة التى عنوانها « تدبير منزلى » :

تدبير منزلى

ما تمضيش للعيال الأكل بسنانك
والنفخ فى الأكل سم ، فى عرض إيمانك

مرة جهولة ، حمارة ، خصلتك سودة
ما تسمعيش الكلام ، تنشكى فى لسانك
إن عيط الواد ، وقال لك ، أشتري نعناء
وحصية ، ونبتوت الففـــــير ، وبتاء
إوعك تطاوعى كلامه ، واعمل طرشه
دا السقم ، والسقم ، أصله من إيد البياع
وان قدر الله وكان عندك ولد عيان
ما تخطهوش بين خوانه دا العيا دقان.
وابقى اعلى زى ما يقول لك عليه الدكتور
ونمنعيه . الطيخ وترتبي اللباب
شلى يا بنت الحلال الإبرة م المسند
ليتكسر سها فى إيد الولد أسعد
تملى ترى الإبر ، ما تحرميش أبدا
مش فاكرة يوه ماشكت خربة أه احمد
وان كان فى بيتك شوك ، والا معالى بقص
خافى عليهم ليقوا كل يوم فى نقص
واغلى لم المية لما تفلى المواعى
ونضفى البيت ، وخلي الأودة ترقص رقص

وبطلى قولة العفاريت والفـولة
ليطلع الواد عيـط والبنت مخبولة
ما تعرفيش الكلام ده يتلف الأولاد
ويفرجوكى المـرار ، وتعيشى مخبولة
حاتملوا ازاي لما تصبحوا عيـلة
واتم بتاخذوا الجنـيه بتفرقوه فى ليلة
دابالكى كان مرة بعد الشر مش قادر
مافيش بقى الا الموييليا ، شفتى دى الميلة

ثم يهيب بالرجال ليحرروا المرأة من سجنها ، ويجعلوها تواجه الحياة بدراية
واطلاع ، ليستفيدوا من نضجها ومعاونتها كما يطالب النساء بضرورة الافادة
من العلم مع الحكمة والتعقل، والتكاتف مع الرجل فى ميدان الحياة، اذ يوجههما بهذه
القطعة الصادقة، الذى كتب عنوانها فى ديوانه « بردون يا شعراوى » . . . وهو
يقصد زعيمة النهضة النسائية المفخور لها « هدى هانم شعراوى » :

يا بنت بانى الهرم نى هـلاهيك
والبرقع الى انخرم ويا مناديك
يكفى لومان فى الحرم فى قيد خلاخيلك
ماشفت زيك سجين ساكت ومتاوى
غلبت أقول للرجال خلوا المرة حبرة
تخش رخره المجال تفهم وتـلدى

العاقلة بنت الحلال	ما يضره — باش بره
لكن بتنصح في مير	روس جامدة سنطاري
رابة ولاد العرب	في الأرض منكوسة
طول عمرها والسبب	إحسان ونفوسة
والله اللي قال ما كذب	نسوانا موكوسة
حتى اللي متعلمين	بردور يا شعراوى
جمل النساء بالعلوم	خلانا أنتيكة
نفهم في فن المهدوم	رقعة وتشتيكة
وفي البلاد عا العموم	ما تلقى فابريكة
غير فابريكات الطحين	فايحى بدرأوى ^(١)
يا بنت باني القصور	راجل يناديكى
بينه وبينك ستور	مدى أياديكي
ونكى عنه السيور	الله يقويكى
وكونى إيده اليمين	في اللي عليه ناوى

فاذ يطمئن إلى نجاح المرأة يكتب هذه القطعة التي يعترف فيها لها :

قاي اما كلثومة تفنى يبنى رايح جو

(١) يقصد « بدرأوى باشا عاشور » المليونير الذي كان يمكن من ماله أن يؤسس مختلف أنواع الصناعات لصالح الوطن ، ولكنه انتصر على مآحن الفلال التي تدر عابه شخصياً فيبوز الأموال

وروزاً ^(١) تمثيلها الفنى	يـمـلا عيني ضى
وعضى يتفكك منى	نـا تـكـتب مى ^(٢)
يا مصر دوى واتمـنى	بالحرير الحى
منيرة ^(٣) كاتبة فرنساوى	واقرا فى الجرنال
أما زجل إحسان ^(٤) كاوى	فى الصـنـاعة رجال
والكلمة من هدى شعراوى	تنضرب أمثال
وشوف سعاد الخلقاوى ^(٥)	شافت الأهوال
وتحيا استرويسا هانم ^(٦)	أم عقل كبير
وخلى ست ليبيه هانم	نابغة التحرير
وأنت اترحم قاسم	الى صيتها شهير
والحسنة الرقة المالم	الى جوزها أمير
أمال يا خلق الله مالى	كل مادا نخب
بيجوزونى أم طبالى	وامهات قباقيب
آخذ على المهر الفالى	ضرب بالمراكيب
لما انكويت واللى جوالى	لم يشوفه حبيب
أحيه على زهرة مرأتى	لما تطبخ قرء

(١) السيدة روز اليوسف المثلة الأولى

(٢) الآنسة مى (مارى زيادة) الكاتبة الشهيرة .

(٣) السيدة منيرة ثابت الصحفية .

(٤) السيدة إحسان القوصى

(٥) ، (٦) سيدات عاملات فى النهضة النسائية

واحيه على الفولة حماني لما تمـرعـع مرع
تاخدها وتسبيني أهاتي وبساعدها الشرع
والأصل لو كنت فلاتي أبقى ربي القـرعـع

ثم يؤمن بسحر المرأة في هذه القطعة التي جعل عنوانها « يا ست » :

أهلا وسهلا من قاي كل ما اشوفك
أقولها واطلب من ربي لمس كفوفك
جسمك في فستان السواريه عريان نصه
لو كنت أفصل بست عليه يـد من قصه
ولشيتك في ساب استغانو بانتجـرجـر
قالت جميع أهل الكازينو الله أكبر
والخطوة لما تخطيها واحدة تنفـة
أقول يا ربنا تكفيها شر عينا
وشمرك اللى الفـ لواه يا اصـاع ياني
لو كنت أعرف الاسطى كواه والا كـوانى
ونظرتك من تحت لفوق كده المـراجـل
تغلى لولب متر الشـوق طالع نازل
أما اللى زود في جمالك ونصب قامـك
وشوق الناس لوصالك تقل عظمتـك

والشفة لما تعضيها شفتك انتى
 دى نايبة وبتفتكرها يام جـوانتى
 يا مجلس الأنس اجعنا بينات حوا
 دول نصنا وعظم ضلوعنا وبيه نتقوى
 يا مجلس الأنس تـضـلم لما نجومك
 تغيب ونسعى ما نتكلم غير فى هومك

وسجل اعترافه بالمرأة فى هذه القطعة الصوفية البارعة ، التى يشيد فيها بمظمة
 المولى فى جمال تصويره ، وجلال قدرته ، تحت عنوان النسوان :

النسوان

ف كل عام للورد أواب إلا النسوان
 بقدرتك نابتين ألواب أبيض واحمر
 وانت تعلم وانا أجهل إيه فيه أجهل
 من دى الحدود اللى لا تدبل ولا تتغير
 ودى العيون اللى اشمـدلك بها واسجدلك
 دى خلت الطاغى انقادلك والمـكـبر
 والشفـتـين اللى فـالقـهم كنت خالقهم
 للابتسام والا رازقهم دانت تحير

يا معذبنى !	بذمتى انت اللى جاذبنى
لما تصور	ويا للى ذوقك يعجبنى
بها تماجب	لك صنعة فى العيب والحاجب
میں به يكفر	ونقول وجود الله واجب
غلب الرسام	ولك قوالب فى الأجسام
يلقاك أشطر	يقلدك عجز ورخام
وقبص مفكوك	يا ست يا ام زناق محبوك
إيدك يامر	حطى على القلب المشبوك
والنص يطير	ويا ام نص ملاية حرير
غطى المرمى	على الكتاف أنا عطفى صغير
ألباب حارت	ويا للى ساقك يسوى رقاب
والآ مقشر	فى لون حقيقته ان كان بشراب
تقفل شركات	ويا للى خصرك له حركات
لما يحمر	ويضج منها داود بركات ^(١)
أربعة سنى	ويا للى لابسـة لى جواتى
الى ما يظهر	فى إيه خفيتى وينتى

(١) رئيس تحرير الأهرام

ويا ام شمسية يا عايقة	على فيب سايقة
يا مرشقة الوردة اللايقة	عالمشـــــــــــــــــجر
هواكى بالياسمين هاف	وحلق رافف
يصافح العقد اللاف	على دى المنحـر
يا مسلمين الله يا حـريم	أنا مالى غـريم
غيركم أروح وياه ف جـريم	يوم المعشـر
الدنيا والنسوان وخلاص	والراجـل لاص
لا طيلة ينفع ولا بلاص	لو يتـكـسر
عليه قفا عايز الخيـة	وخلقة رديـة
وجتته المشـعرايـة	حاجة تقشـر
والا الشنب والدقن يا هـوه	مهما حلقـوه
باين وعاوز نـعن أبوه	برضـك أخضر

« أنا لا أخشى على الشعر العربى طفيان أحد ، أو شىء ،
إلا « يرم » ، وأدبه الشعبى » .

أمير الشعراء
أحمد شوقى

بيرم والعمال

من للعامل ؟ . . .

من لهذا الذى يبنى مجد الوطن دون أن يقدره أحد ؟ . . .

من لهذا الجندى المجهول ؟ . . .

هذا الذى يعمل صامتاً ، صابراً . . . راضياً بالكفاف والحرمان ، فى سبيل
لقمة العيش التى يقيم بها أوده وأود أسرته .

إن « بيرم » لم ينسه ضمن خطراته ومحاناته العديدة ، التى كان يسجل بها
الأحداث .

إن له فى مخيلة « بيرم » لوحة ، ولكنها لوحة نائرة ، صاخبة ، باكية .
فقد كتب عنه عبارة صارخة ، عن لسانه ، فيها القتاب المر ، مع الاحتشام
الذى تتميز به طبيعة العامل ، فيها الثورة ، مع الرضى والقناعة .
ولنقرأ له معالم هذه اللوحة البارعة فى لمسات كلماته العميقة المعنى :

العمال

ليه بيتى خربان ونا نجار دواليكم
ليه فوشى عريان ونا منجد مراتبكم
ليه امشى حفيان ونا منبت مراكيكم

هيه كده قسمتى

الله يحاسبكم

ساكنين علالي العتب وانا الى بانها
فارشين مفارش قصب ناسج حواشيهـا
قائنين سواقى ذهب ونا الى ادور فيهـا
يارب ماهش حسد

لكن بعاتبكم
من الصباح للمساء. والمطرقة فيدى
صابر على دى الأسى حتى نهار عيـدى
ابن السبيل انكسى واسحب هرايـدى
تتعروا من مشيتى
واخجل أخطبكم

ليه تهدمونى وانا الى عزكم بـانى
انا الى فوق جسمكم قطـنى وكتانى
عيلتى فى يوم دفنتى ما لقيتش أـكفـانى
حتى الأسىـة وانا
رايح وفايتكم

وليت «بيرم» عاش ، ابرى كيف أنصفت الثورة هذا العامل فى شريعاتها
الثورية الأخيرة ، وكيف ضمنت حقوقه لدى أصحاب الأعمال والشركات ، وكيف
يسرت له العيش الرغيد ، وأمنت له مستقبله ومستقبل أولاده عند الشيخوخة
والعجز

يرم والفلاح

ثم الفلاح .. لم يتركه « يرم » دون أن يعطيه حقه من التمجيد والإشادة به .
إنه عضد الدولة الذى يقوم على جهده كيائها . لذلك كان لا بد أن يكون له من
أدب « يرم » نصيب .

فهو يمجده فى هذه القطعة بعنوان « الفلاح » وهى على الأرجح :

الأولة آه . . . والثانية آه . . . والثالثة آه . . .

الأولة . عيرونى ، ان انا فـلاح

والثانية . أزرع ، واقلع ، لى نام وارتاح

والثالثة آه الى احبه شط منى وراح

الأولة عيرونى ، ان انا فـلاح ، بدفية .

والثانية . أزرع ، واقلع ، لى نام وارتاح ، فى دهية

والثالثة آه الى احبه شط منى وراح ، فى صبحية .

الأولة عيرونى ، ان انا فـلاح ، بدفية ، وعيشى حاف

والثانية . أزرع واقلع ، لى نام وارتاح ، فى دهية ، بميت مقداق

والثالثة . آه الى احبه شط منى وراح ، فى صبحية ، ما قال لى عواف .

الأولة مش يايدي . دا قضا محتوم .

والثانية . ومسبرها ناس تفرق وناس حاتعوم .

والثالثة . ميت هم يرحل ألف هم يدوم .

الأولة آه

والثانية آه

والثالثة آه

وهى قطعة عميقة المعنى لا يخفى الغرض الذى يرمى إليه بها « بيرم » فى تلهيحاته الخفية العميقة على استفلال الفلاح من أصحاب الإقطاع .
ثم يمجده فى أغانيه ، كقوله فى الأغنية المشهورة التى ينشدها الموسيقار « محمد عبد الوهاب » .

ما احلاها عيشة الفلاح مطمئن ، جلبه مرتاح
يتعمرغ على أرض براح والخيمة الزرجة سآتراه
يا . . . يا . . . يا . . . يا . . .
ولا يطلب شرط ومشروط غير لبدة ، وعرى ، وزعبوط
واللقمة واكلها ومبسوط ! كنه جايها بشقاه
يا . . . يا . . . يا . . . يا . . .

ويواسى الفلاح فى حاله من القناعة ، وإغضاء المسئولين عنه فى الماضى ،
ثم عناية الثورة به .

قضيت يا فلاح حياتك فى سواد العيش
ولبسك الخيش وياريتك تطول الخيش
وإنت لك جيش وأولادك جنود فى الجيش
شوف ضربة الجيش أعادت حقاك المنصوب
ورجعت للصواب أهل الفرور والطيش

بيرم والصناعات الشعبية

تناول « بيرم » بالنقد أنواع الصناعات الشعبية ، التي كان يعدها تافهة ازاء التقدم الكبير الذي أحرزته الصناعات في بلاد الغرب ، وكان يكتب عبارات النقد بعنوان (صناعاتنا المصرية) .

ومن ذلك تهكمه ، مثلاً ، على صناعة المناخل

قالوا عريسها مناخلى قلت يا خسارة

طب دى المناخل لا هى صنعة ولا تجارة

يا لى بقى لكم زمان فى الشاشة والطاردة

ايتمى بقى تبدلوا المنخل بطيارة

ثم ينظر إلى ذلك « العرقسوسى » ، الذى يحمل قدرة شراب العرقسوس ، ويختصنها ، وهو قدر الملابس والمنظر العام ، ويسقى الناس من شرابها الملوث بانيكروب . فيصفها بهذا التصوير البشع :

يا قدرة العرقسوس يا ام البتاعة^(١) نحاس

م المكروبات اللى فيكى ياما ماتت ناس

أخذك فى حضنه يا وحشة يالى عابزة القاس

واحد لاحصل لا شربتلى ولا كناس

(١) لم يدر بيرم كيف يسمى هذا الزخرف العباس الذى اعتاد أولاد البلاد من باعة العرقسوس تزويق غطاء القدرة به . فسماه (البتاعة) ...

الإعلان بالزجل

ابتكر « بيرم » نوعاً من الإعلان بعبارات الشعر ، بدلاً من الرسم .
وكان ينشره في صحيفة الشباب .

وقد أعجب القراء بتلك الإعلانات ، وحفظوها ، فكانت عباراتها أقوى
أثراً من الرسم

وتقدم منها هذا الإعلان الطريف لمجلات الراعى ، التى اشتهرت فى الغورية ،
فى وقته ، بجهاز المرائس من المفروشات والملبوسات :

بينى وبينك يا صهرى مشـاحنة

يوم الزفاف ، فردوا دعوة الداعى

فلا أريد عروساً من بناتكم

إلا إذا جهزت من مخزن الراعى

« الأديب الفنان خالد ما خلد الفن ، والفن باق ما بقى
الإنسان » .

محمود تيمور

تقليد يرم لشعراء العرب القدامى

لم يدع « يرم » مجالا من مجالات النشاط الأدبي إلا أقحم نفسه فيه . ولعله كان يدلل بذلك على خبراته وكفاءته كأديب متمكن من مادته ، إن لم تكن حيويته الشعرية هي التي كانت تدفع به إلى أن يفيض بكل ما تحتزنه عبقريته ومن بعثر ماتناوله من ذلك محاكاة الشعراء القدامى فيما اشتهروا به من اختصاص ، كابن الرومي ، وابن الفارض ، والشريف الرضي ، وأبي العلاء المعري ، وغيرهم

أما محاكاته لابن الرومي ، فالمثال عليها في قطعة فكاهية كاريكاتورية نظمها بعنوان « ابن الرومي في القرن العشرين » ، « صورة كاريكاتورية لأحد الباصقين » ! ويقول في أولها :

آتى عبد الإله وقد جاسنا من اللهو المحجب في شئون
فرحبنا وأفصحنا مكانا يابق بذلك الحبر السمين
فانذرنا بصوت بلغمى كصوت الكف نعبث بالعجين
سمعنا عاخوا منه فلنا نحاذر بالأكف على البطون
الح . . .

ومن محاكاته لابن الفارض ، هذه القطعة المطفة بالألفاظ البلدية من الشعر ، التي يعارض فيها قصيدته التي مطلعها

أنتم فروضى ونفلى أنتم حديثى وشفلى
وهو يتهمكم فيها على حال لاعبي القمار

أهل الكلوب ومالى عن الكلوب تخلى
قضيت فيه حياتى على سبيل التسلى
الناس تلعب يوما وكان لى تملى
كفى بجسمى دليلا وشعرى للتدلى
وبذلة لى فيها من النظافة مى
وجزمة بنت كلب منها ترى الناس رجلى
الأبعد راحة وكل فحل وعجل
والبيت من بعد رهن رسا على كوتارلى
والأكل خبز بفجل لابل ومن غير فجل
يامدعى وهو مثر حب القمار انكتب لى
فكنت تمشق حقا لكان شكلك شكى
أنا الذى قد بقى لى يومين من غير أكل
هل من ريال لأمضى إلى الكلوب لى . . .

وحاكى الشريف الرضى ، فى قصيدته التى مطلعها :

منازل العشب . للاحام ولا راع .

مضى الردى بطويل الرمح والباع

بهذه القطعة الفكاهية ، متهمها بها على رجال الأمن :

خطوا النفير على الدكان يحرسه

فباعه جملة لا بيع قطاع

جاء الحرامي له ليلاً . وفأواه
على الذي فيه من مائل وأبيض
والصبح جاء إلى الدكان صاحبه
فلم يجد فيه غير السقف والقاع
قال المماون شغل يس نعرفه
فاللص لا يسرقن الراجل النواعى
وحزر المحفر المكتوب صورته
نكل لـص ونشال وقطاع
يا ابن اللثيمة يا شاويش بلدتنا
جعلتنا فـكـة الدنيا باجـمـع
يا ابن التى غضبت من روجها حسن
شيخ الطريق وراحت رافق ساعى
الله يخرب بيتا أنت ساكنه
وبيت أمك يا بكر بن منـاع

أما تقليده لأبي العلاء الممرى ، فبمحاكاته لما التزمه أبو العلاء فى القافية
خرفين أو أكثر ، وأسماء لزوم ما لا يلزم . وننوه بأنواع من هذا التقليد :

الإفـلاس

أفلت حيناً لا أبث شكاية

حتى عرفت فضيلة الإفـلاس

المفلسون ، هديت ، أكثر فطنة

لتعاضد الإخوان والجلال

واقدر يغم على الغنى صديقه

إذ لا يرى أبداً سوى محلاس

الغنى والفقر

خل الأنام ولا تأمل منافعهم

فإن الله قد خلق الإنسان مرزوقا

هم يأخذون نفيس الشيء إن طلبوا

وإن هموا وهبوا أعطوك خازوقا

ترى الغنى ميذاً عنك محتباً

أما الفقير تراه فيك ملزوقا

كم جاء من فقير يشتكي سغباً

ومن غنى بطيب جاء محزوقا

الفقر

سليمي لم يكن بعدى لصد أو غنى عنك

ولكن لم أكن ألقى بحبي نصف إفرنك

ولا قرشاً به اشتري لعيني قطرة الزنك

كفى بالفقر والتلطيش مناعاً عن الهنك

عسى أن تصل الشكوى لطلعت صاحب البنك
هو الحرب الذى أضحى بمصر هازم الضنك

الناس

الأرض عندى كلها أرض فلا
باريسها تمتاز عن بيروتها
والناس فى نظرى ——— واء كلها
وشريفها ما امتاز عن عكروتها
ويغىظنى أنى رأيت جماعة
حملت لتعرفها الدنى بعكروتها
ولقد ضحكت من الجبابة التى
زلت بها الأقدام فى جبروتها

« إذا كان الأدب المكتوب بالفصحى مقصودا على
المثقفين ، ينعمون به ، فإن أدب « يبرم » يستمره هؤلاء وغيرهم
من جمهرة الناس ، ويجدون فيه صدى لما يضطرب فى نفوسهم
جميعاً من مشاعر وخواطر ، ومن آلام وآمال . فهو من هذه
الوجهة أوسع مدى ، وأعم جدوى . »

محمود تيمور

تقليد ييرم لأسلوب شعراء عصره

تخيل « ييرم » فاجعة اليابان في الزلزال الذى أطاح فيها مدن بأكلها ،
وأن الشعراء فى مصر هموا ليواسوا اليابان فى هذه الفاجعة ، فكتب على ألسنتهم
محاكى كل واحد منهم بأسلوبه الشعرى الذى اشتهر به ، وهى براءة
تسجل لعبقريته .

ويقول فى ذلك :

«...أما الأمر الصعب فهو مجازاة حضرات الشعراء، واستخراج (أرواحهم)
من شعرهم . لسمو صناعتهم ، ووعورة مسالكها ونواحيها ، ولقلة ما يتكرمون
به على الناس من نقاتهم ، الا فى الحادث العظيم والخطب الجليل نظن
أن فاجعة اليابان الكبرى قد أثارت من (أنحاحهم) المراكز التى ينبع منها
الشعر ، فإذا قالوا شيئاً فى هذه الزلزلة ، فهناك أقوالهم ترى فى كل منها صورة
فريدة من الحسن والجمال » .

حافظ إبراهيم

بلد الشمس ، أى خطب دهاها
فطغى سفاهاً على أعلاها
إيه يا مطلع الشمس لقد أظلم
مت ما بين ليلة وضحاها
فى بلاد الميكادو ، قد صاح إسرا
فيا بال الأرض كى تدور رحاها

فوران ، فرجة ، كشف القشرة
عن ذوب نارها ولظاها
إحلى يا شمس ، بالله ، عن مص
ر عـزاء ورددى نجواها
خليل مطران

تقطعت الأوصال من عزمة الفتى
وما الخطب الا أن تقطع أوصال
عجبت وأرجاء السماء عريضة
عن الأرض أن يبقى على الأرض أنقال
ترى الناس لا يرجون رحمة ربهم
سوى فى سموات الإله إذا طالوا
تفجر صلصال الأديم وما درى
على علمه أب البرية صلصال
أفى كل يوم للسماء صواعق
وفى كل حيز للبسيطة زلزال

أحمد رامى

فى رياض المـوى وتلك الجنان
خليانى فى سكرتى خليانى

واسقياني كئوس ذكر حبيبي
واغلاظا ، والحفا على السكران
خفق القلب وهو دار حبيبي
ولهذا أخشى من الخفقان
أنت إن ما سألت عن خفق قلبي
لا تسأل بمده عن اليابان.

محمد عبد المطالب

واما لربيع قام يستبكي
متبعجر الجنين منك
قد أصبحت عرصاته جزراً
كاليه قموص ، بنير ماشك
وترندحت أفنانه فزعاً
فعدا كقعب الفرص الضمك
يا رب زلزلة مفجعة
ترمن جموع الناس في الهلك.

مصطفى صادق الرافعي

ما للورى ؟ هلك الورى ، ضل الورى
أين الورى ؟ ذهب الورى كهباء.

والموت ، ليس الموت ، بل هو نفسه
يفنى فناء ، قبل كل فناء
يا أمة الشرق ، التي قد أنزلت
بين الطبيعة من ذوى العلياء
أجدر بشعبك أن يعيد فخاره
بين الأنام بهمة قساء
إن كان فوق يد الطبيعة من يد
ما خلّتها غير اليد الصفراء
عبد اللطيف النشار
وما الشعر إلا الملم لولا عيونه
تبين تراعى همه التطاول
ترينا اتقوا فى كل يوم زعانفا
يضيق بهم ذرع الحليم الجمال
ولم ألق إلا شاعراً غير عالم
بنيته عليه عالم غير قائل
فيطالع إيماني ، وتخرج ملتي
وأركع حتى تستجير مفاصلي
فيدي إله الشعر غضبته التي
يردها عنه إله الزلازل

عبد الرحمن شكرى

عروق الضمير ، وحمى العيون ،
وموت الجبال ، وضحك الهوى
دعنى إلى خوض موج الدهور
وللدهر موج رفيع الندى
فتغمر دهرًا جبال اليبس
وتحزب آونة عن صفا
فبيننا ترينا شـموبًا علت
ترينا كذلك شـعبًا هوى

الحاج محمد المراوى

زلزلة البـابان جاءت بلا أواب
كذلك طوكيو دمرت وأرضها تدهورت
أودت بيوكاهاما فأصبحت أكواما
وقد علا الالهيب كما علا النحيب
وهلك المعبـاد لكن نجا الميكادو
وقد سمعنا الولولة من هول تلك الزلزلة

تقليد بيرم لأسلوب كتاب عصره

تناول « بيرم » ، أيضاً فريقاً من مشاهير الكتاب بالتقليد لأساليب كتاباتهم . وعرض لذلك ثلاث مرات في سنة ١٩٢١ بعنوان « صفات الكتاب في أقلامهم » . وفي سنة ١٩٢٢ بعنوان « كاريكاتير الكتاب » . وفي سنة ١٩٢٨ بعنوان « كتاب القطر في المفاوضات المصرية الإنجليزية » .

وقدم لذلك بقلمه بهذه العبارة

« سبحان الخلاق العظيم القدير ، أن جعل لكل إنسان من هذه المليارات خلقاً ، لا يمكن أن يلتبس فيه الواحد بالآخر . وجعل في خلق بعض الناس معالم . لا يكررها في غيرهم . فمنهم من لا يدرك عايه إلا أنفه ، ومنهم من لا تعرفه إلا بقفاه ، أو جبهته ، أو ذقنه . وذلك خروج هذه الأعضاء عن الاعتدال الخلقى ، ومخالفتها مثابها في باقي الناس . وحين مسح الله بعضهم فإن هذا المسح نفسه يظهر في أفعالهم وكلامهم .

« وإليك مثلاً » بعض الكتاب يكتب المقال لا يكتبه سواه ، ولا يمكن نسبته إلى غيره لالتصاقه بطبعه ، وموافقته لخلقه . وكما أنك تنظر إلى وجوه هؤلاء . فيقع في نفسك منها معنى يدلك على صفة خاصة لهم ، فإنك تجد هذا في كلامهم ، فلو قرأت سطراً مما يكتبه أحدهم لعرفت صاحبه بمجرد وجدانك . . وإني مورد أمثلة من ذلك مع أسماء أصحابها فقارمها بكتاباتهم ، وراجعتني إذا شئت :

الدكتور طه حسين

هذه هي مقالة زعيم القوم ، والذي أخذ على نفسه زعامة القوم . ولم يتكلم متكلم القوم إلا لزعمه أن القوم هم الأمة . وأن الأمة إذا ذكرت فما هي إلا هؤلاء القوم

وهذه المقالة لا تدور إلا حول مقصد واحد . وهو أن هؤلاء القوم هم وخدم الشعب . والذين يحمون الشعب . وهم وخدم قادة الشعب وسادة الشعب . وليس عجيباً أن يزعم ولیم أن الوفد خدم الأمة . وليس عجيباً أن يرغم ولیم أن الوفد وكيل الأمة . وليس أيضاً لغير ولیم أن يدعى ذلك . ويريد الوفد أن يقول إنه يستغنى عن البرلمان . وهو لا يستغنى عن البرلمان . لأن البرلمان غير الوفد والوفد غير البرلمان . ونريد نحن أن نقول للقوم إنكم مخطئون في عقيدتكم . ومخطئون في ظنكم . ونقول إنهم لا يتحركون إلا للشر . وإذا قلنا إنهم لا يتحركون إلا للشر فذلك لأننا نعلم أنهم إذا تحركوا لا يتحركون إلا للشر . ومع ذلك فإننا منتظرون للكلمة التي يقولها سعد . ويقولها ولیم . ويقولها النحاس . ويقولها عاطف .^(١)

عباس محمود المقاد

أخذنا بالقرب اليسور حينما أردنا أن نتخذ من المفاوضات مقياساً صحيحاً لنية الإنجليز . وإننا ولا ريب في حل من التماس من القيود التي نخشاها ، وينذر بشرها أولئك النفير الذين احتكروا الإخلاص لمصر ، ولم يبق في القطر غيرهم يهرب جانبه وتنفذ كلمته . ماذا على مصر أن تتقدم خطوة إذا تقدمت مثلها إنجلترا .

إبراهيم عبد القادر المازني

الدكتاتورية لا تستقر في الأذهان إلا عند القائمين في القياس مع الفارق . فإن سعدا بدكتاتوريته . ليس إلا دكتاتوراً ضد الأمة التي لا تستطيع معارضته طعناً في هذه الدكتاتورية .

وقلد أيضاً كثيرين غير هؤلاء . الذين اكتفيا بهم .

(١) سعد زغلول . وولام مكريم ومصطفى النحاس . وعاطف بركان أعضاء الوفد المصري إذ ذاك .

مداعبات بيرم للشعراء

وابيرم التونسي مداعبات عدة ، « وقفشات » لأصدقائه من الشعراء والكتاب .

وهي ألوان من اللبابة الفذة ، والعبقرية ، التي تميز بها « بيرم » في تحكه في ميدان الشعر والزجل ، وصياغة الكلام ؟
ونورد للقارىء بعضا منها .

هذا لون بارع من ألوان المداعبة ، تناول فيه « بيرم » قصيدة أمير الشعراء « أحر شوقي » التي عنوانها « منفاى بالآندلس » ، والتي مطلعها :

يانائح الطلح أشباه عوادينـا
نأسى لواديك أم تأسى لوادينـا
ماذا قصصت علينا غير أن يـدا
نالت جناحك جالت في حواشينـا
رمى بنا البين أيكـا غير سامرنا
أخا الغريب ، وظلا غير نادينـا
..... الخ .

يداعب « بيرم » أمير الشعراء « شوقي » في هذه القصيدة ، بقوله :

يانائح الطلح أشباه عوادينـا
نأسى لواديك أم تأسى لوادينـا

قال : يعنى « يانائح الطلح » احنا وانت واحد فى الأحزان . حانئط على
أنفسنا والا عليك . . . والكلام ده ولا مؤاخذه زى كلام المحدثين ، أو كلام
النسوان لما يدخلوا عزاء ميت غريب ، ويسمعوا الندابة ، يقوموا يفتكروا رخرين
مصائبهم ، ويعيطوا .

فـ « يانائح الطلح » دى تهوئش فى الصنعة . لعل القصيدة تبقى قال زى بتاعة
أبو العلا مثلاً ، لما يقول .. ياساهر البرق . ويا مفرد الغيث .

ماذا قصصت علينا غير أن يبدأ

نالت جناحك جالت فى حواشينا

يعنى ماقلتش حاجة جديدة الأيادى اللى قصصت جناحك ، أو تنفته ،
أو عوجته - هى بذاتها دخلت فى بطننا ، وفضلت تلعب .

أمير الشعراء عايز يقول اللى قاله فى البيت الأول ، ويستحى طبعاً يكرره
زى ما هو . قام عمل للوادى جناح بالزور . وجاب له يد (ثالثة) وبعدها قال :
جالت فيه مش عارف ليه . . . يعنى ياوادى الطلح اتأذينا إحنا الاثنين .
وودنك منين ؟ من هنا

ويداءبه مرة أخرى فى قصيدته « شكسبير » التى مطلعها :

أعلى الممالك ما كرسية الماء وما دعامة بالحق سماء

* * *

ويداعب « شوقى » أيضاً ، فيعارض له نشيده القومى الذى كان قد صاغه
فى عام ١٩٢٤ ومنح له الجائزة الأولى ، والذى مطلعها :

بنى مصر مكانكم هيباً فهيا مهدوا للملك هيباً

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس بغيرها للعز ركن
السخ .

فيكتب في مجلة الشباب إذ ذاك بعنوان « نشيدنا نحن » . .

بنى مصر مكانكم تهيأ	فهيأ واحضروا بالفجل هيأ
على الرفين ماجور وصحن	وطنجير وفيه الرز سغن
عليه لكم بوادى النيل سمن	وصلصتها إلى طلعت شويا
تطاول قرعنا لونا وسمرأ	كلوه كله حلقا وقعــــرا
وتاموا واملاؤا الثقليين شخرا	يعمد عصبة الأمم الرقيا
فإذا قولكم فى ذا المجال	وعندى الكيف يؤخذ فى الهلال
وخدامى كصف من سحالى	يزق البربرى البربريا

وهذا لون آخر فى صورة أخرى ، يعارض بها المرحوم الشاعر الحاج
« محمد الهراوى » ، الذى كانت بعض قصائده على الأسلوب الذى عارضه
فيه يرم .

يقول « يرم »

وهل أنت القاتل ؟

تسير لا بالفرس

سيارة بالنفس

فقال : نعم ، ولا نخر

فقلت : وهل قلت أيضا ؟ :

حقيقتي صنعتها من الحرير الأبيض
وضعت فيها حاجتي حملتها بمقبض

فقال : وهذا أيضاً من قولنا البديع . فلم يبق عندي من شبهة في أنه الهراوى
ضخم القذال والجبهة .

فقلت لأصحابه ، وللمنتظرين اسكتابه : ساسمكم سحرا حالالا ، أنشده ارنجالا
وإذا سمى صاحبهم هراءه شعراً ، فلا عجب إذا سميت قولى سحرا . ولكم أن
تقترحوا الموضوع ، لتروا كيف يفيض ينبوع .. فأشار أحدهم إلى فتاة تسير ،
ذات وجه منير ، وقال : صف هذه الأنسة ، الزاهية إلى المدرسة . لتكون قد
جريت معه في ميدان واحد ، فنعرف أيكما المجيد الماجد .. فقلت :

أنظر إلى الفتاة	سيده البنات
تسير في الطريق	بالأدب الحقيقي
في يدها منديل	مطرز جميل
فستانها حرير	وشعرها غزير
في وسطه شريط	مركب بسيط
قوامها لطيف	ودمها خفيف
وجنتها حمراء	وعينا سوداء
في رجليها حذاء	ملمع وضوء
تمشي على الرصيف	في غير ما تحريف
وخلفها غلام	أباؤه خدام
مشيته عجيبه	ويحمل الحقيبة

يمشى بعيدا عنها وليس يدنو منها
..... الخ

فقالوا والله لقد حذوت حذوه ، وسابته فضله عنوة . ولئن كان شعره لطيفا
فشعرك أطف . وإن كان شعرك سخيلا فشعره أسخف . فقلت كلاهما بالبين ،
ولعنة الله على الإثنين . وإذا كان هذا ما يقوله الشعراء ، فليس لهم غير الصفع
بالحذاء على الأقفاء .

من أشعر الشعراء

وهذه صورة من صور « بيرم » ، أو عز اليه بها شيطان خياله فداعب فيها
أكبر مجموعة من أساطين الشعر الذين عرفوا في عصره . متخيلا لكل واحد
مهم الصفة التي تلصق به :

قال :

سئل أديب كبير من كبار الأدبائية ، يسكن سوق الليمون ، ويسرح جهة
الحسينية ، من أشعر الشعراء في مصر الفيحاء . فأجاب :

شوقي بك إذا شرب

والحاج محمد الهراوي إذا هرب .

وعبد القادر افندي المازني إذا تعب .

وعباس افندي العقاد إن كان بأتب .

وخليل افندي مطران إن ظل في حاب

وحافظ بك إبراهيم لو تمجلس على الكنب .

وأحمد أفندي نسيم في دار الكتب .
وأحمد أفندي رامي إذا ولول وندب .
وعبد الرحمن أفندي شكري لو قرأ مهابة الأدب
والشيخ إبراهيم الدباغ كلما نظر إلى العنب .
والشيخ عبد المطلب إذا أرخى العذب .
وأحمد أفندي الكاشف إن سار على نهج إبراهيم بك العرب .
وأحمد أفندي محرم لو كان من أرباب العزب
ومحمود أفندي عماد لو عرف السبب .
وحسن أفندي الدرس لو ضم الركب من غير تعب
ومصطفى أفندي صادق الرافي لو سمع فطرب
والشيخ المهياوي لو خطى العتب .



أسرة « بيرم التونسي » وأحفاده .

يرم في الرثاء

وإذا كان الشاعر يعترف له بجدارته في فن الشعر حين يجيد الرثاء ، الذي يعدونه ميزاناً لمقدرة الشاعر والأديب . فقد أثبت « يرم التونسي » هذه الجدارة في مراثيه المختلفة التي تنقل منها القارىء بعض الصور البارعة .

ونبدأ بأولها ، وهي قطعة من الزجل النابض بالبلاغة والبيان ، يرثى بها أمير الشعراء المرحوم « أحمد شوقي » ، وقد ألقى في حفلة تأيئه التي أقامتها الجالية المصرية في باريس .

ويقول فيها :

مكتوب لى فى الغيب مصيبة	والغيب عن العلم خافى
تطول حياتى الكثيبة	وارثى أمير القوافى
يا شوقى ساعة رهيبة	ما المذابح توافى
عزيز على الشرق بات له	الشرق صارخ ولاطم
وقفت أرثيك بصوتى	والصوت على البعد خافت
موتك ، وباريتك موتى	أنطق لسان كل ساكت
ومين ما يسمع خفوتى	فى ميمتك ما ناحت
النواحين فى البوادرى	والمنشدين فى العواصم
شعوب محمد وعيسى	لم مذاهب مذاهب
جامع يخالف كنيسته	وشيوخ على عكس راهب

قروا صحايف نفيسة	لك فيها وحى المواهب
الكل صلوا عليها	القبعات والعايم
تسأل باريس عن غيابك	وانت عارف جوابها
دى مكتبك فى شبابك	وملعبك فى شبابها
وصفتها فى كتابك	يوم كنت تخشى خرابها
لو كان تقدر جميلك	تنصب عليك الميام
من جالك وزارك فى دارك	وقال يا دار ابن هانى
يقول لقبرك مبارك	إقبل يا قبر التهانى
يا قبر طال افتخارك	على القبور واللبانى
فيك الأمير اللى ساهر	فيك الأمير اللى نائم

وفى هذه القطعة الثانية يخاطب الفرعون « توت عنخ آمون » راثياً ، وكأنه يتحدى برثائه له ما نظمه عنه الشعراء ، وفى طليعتهم أميرهم « شوقى » الذى رثى هذا الفرعون بأكثر من قصيدة من روائع الشعر

ويقول « بيرم » بعنوان « توت عنخ آمون » :

من عهد ما كفنوك فى القبر يا فرعون

داست بلادك ملل من كل شكل ولون

وخلصوا منا تار موسى وتار هارون

وبعد جور الزمان واللى حكم فينا

ظهرت لما بقالك فى المنامة قرون

مت عيب عليك تستخبي نصف مليون حول
وكل من جه بلادك يسأل أواهول
لا ييوح برك لا بمشاوره ولا بالقول
وجا الزمان اللي بيلاقوا المناجم فيه
عتر عليك لورد ييفتش على البترول

في مصر كنت الملك لك جيش ولك حامية
وأمة غير أمتك ما تزرع البامبيــــة
ودولة غير دولتك ما تعمل الموميــــة
ولما خشــــوا عليك المقبرة يلاقوك
نايم مفتح . ولكن في بلد عامية

ثم يرثي « بيرم » نابغة الأغاني والألحان المرحوم الأستاذ « سيد درويش » :

من غيابك يوم وداعى	كنت با كتب لك عتاب
وانت لى مخلص وداعى	أنتظر منك جواب
شفت اسمك فى المناعى	واللقا يوم المعاد
لما حظى كان وجودك	خيت حظى القبور
وآتمحى ميعاد صعودك	والتجلى والسرور
وانت يا سيد وعودك	المصور فى الفؤاد
أنا أبكى لاجل سنك	واندب العمر الطويل
واسهر الليل لاجل فنك	فى المعازى والمويل
واسأل القيثارة عنك	يا لى أنطقت الجواد
إن خلت منك أماكن	فيها أسمع لك حنين

إنت جوه القلب ساكن إستمع منى الأنين
لك فى قلبى دق لكن دقة النار والزناد
مصر ما تميل والله بعدك للحسينى والحجـمـاز
والعراق من بعد بعدك يتحرق راخر بجاز
إنت فى الفردوس لوحداك والمصايب عا البلاد
أنا إن سالت دموعى كان مرادى أكون فداك
والا هبت نار ضلوعى أفكر أوقات هواك
وافكر ساعة رجوعى لما اشوف نارك رما

ويرثى الطيارين المصريين « فؤاد حجاج » وزميله « دوس » الذين سقطت
بهما الطائرة الأولى التى ركبها من لندن إلى القاهرة ، وكانا أول طليعة لفريق
الطيران المصرى :

البحر ماج بالسفينة حتى غلب ريحنا والجو أهو ماج
نجن فوق السحاب تلعب بأرواحنا طيارين فى أبراج
باب السما ، وانفتح ، والناس بتجرحنا فىن دوس وحجاج
فىن دوس وحجاج ، قالوا لى فى الطريق جاين ركك على الصبر
طيارين فى أبراج وخاطرك يتجبر يا حزين يا طالب الصبر
والجو أهو ماج وليه حجاج ودوس داخلين يتحطوا فى التمبر
يتحطوا فى القبر هويين من أعالى الريح الريح دا غدار
يا طالب الصبر قدامك مناك فى ضريح الموت ما هوش عار
ركك على الصبر ، دون ماتوا ، وهم بجارين صابرين على النار

على الأرغول



وهذا نوع من الأدب الشعبي ، انفرد به « بيرم » في استخدام أسلوبه لعلاج موضوع من الموضوعات الهامة . بعد أن كان الشائع في هذا النوع أن يتناقله الناس ألواناً من الأغاني الشعبية في الفرام والهيام ، والحنين والشوق كتب بهذا الأسلوب كثيرون قبل « بيرم » بل كان الناس من رواد المقاهي ، من منذ قرن من الزمان ، يقضون سهراتهم في الاستماع إلى عازف الأرغول ، وهو يشنفهم بمثل هذه الأهازيج .

وقد ورد في مجلة كان اسمها « الأرغول » كثير من أشباه الأسلوب الذي

تداول به « بيرم » مصر لمحاته ، وقد ظهرت الأرغول فى أول القرن العشرين ،
سم اختفت

ونستمع إلى « بيرم » فى نظمه « على الأرغول » إلى قطعتين نوردما على
سبيل المثال من كثيرات غيرها
الأولى عن الاستعمار فى شتى صورته فى بلاد الشرق .

والثانية : تصوير لحالة « بيرم » فى المنفى ، بعد أن أخرج من مصر . وقد
كتبها فى نفيه الثانى ، ويلمح فيها بالعتاب الرقيق ، ويشير إلى كفايته فى فن
الأدب ، حتى مثل نفسه حقا بموليير الشاعر الفرنسى الساخر

الاستعمار

الأولة آه

والثانية آه ...

والثالثة آه ...

الأولة . شطبت تونس من الإسلام

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام

الأولة . شطبت تونس من الإسلام . وجزاير

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام . بأشاير

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام . بذخاير

الأولة . شطبت تونس من الإسلام . وجزاير . طواها البين .

والثانية . تحكم بلاد الهند والأهرام . بأشاير . وغمزة عين .

والثالثة . حطت على حكم العراق والشام . بذخاير وطيارتين .

الأولة . لنا كل المسلمين صارت . خدم وعبيد .

والثانية . حضوا بناتهم قشلاقات فارت بنار وحديد .

والثالثة . أسعارنا فى سوق الفتم بارت . مهار العيد .

الأولة . أمة خايبة والتاريخ معلوم

والثانية . جات ضربة صايبة . من بلاد الروم .

والثالثة . قول جاتنا نايبة . والكلام مفهوم .

الأولة آه .. والثانية آه .. والثالثة آه

أنين وعتاب

الأولة آه .

والثانية آه .

والثالثة آه .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى .

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى . جزاة الخير .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدونى . وحتى الغير

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلونى . وانا مولير .

الأولة : مصر . قالوا تونسى . ونفونى . جزاة الخير . وإحسانى .

والثانية : تونس . وفيها الأهل . جحدوى . وحتى الغير . ماصافانى .

والثالثة : باريس . وفى باريس . جهلوى . وانا مولير . فى زمانى

الأولة : شربنى من فراقها كاس . بمرارة .

والثانية : آه فرجتى عالجمال ينداس . ياخسارة .

والثالثة : ياناس ياريتنى كان لى فيها ناس . وإدارة .

الأولة آه . . . والثانية آه . . . والثالثة آه . . .

الأولة : اشتكيها لى أجرى النيل .

والثانية : دمعى عليها غرق الباستيل .

والثالثة : لطشت فيها ممثلى وذليل .

الأولة آه . . . والثانية آه . . . والثالثة آه . . .

« قد اكتملت للأستاذ « محمود يرم

التونسى « موهبة وحربة فى التعبير بالعامية عن

استجابته للحياة من حوله . فكانت آثاره

فنّاً رفيعاً من الأدب ، فيه لذة وإمتاع » .

محمود نيمور

على الربابة



وهذا أيضاً نوع آخر مما اختاره « بيرم » للتعبير عن خوالج نفسه فيما يختزنه من صور الاصلاح . وقد وضع عنوانه « على الربابة » ، ويجارى به ذلك الأسلوب الطريف من الأدب الشعبي ، في الأقوال التي يصوغها « جماعة القوالين » كما يعرفهم أهل الريف ، ويشدو بها عازف الربابة .

ومنها هذه القطعة بمنوان « الرياضة » ، وهي على غرار أشعار الحكمة المعروفة :

الرياضة

الى الزمان ربه دا يصبح جامد

واللى الفرام سواه ، دا يصبح سايح

ياما فى سواد الليل ثفت مصايب

وجيت بياض الصبح أكتب نصايح

ومن يبوح لك يوم بسر ضميره

حاسب تكون مثله بسرك بايح

الناس رأيتها اليوم ، من ديب عاوى

قارص عليه الجوع ، ومن كلب نابع

أقعد فى ركن البيت إن كنت قاعد

وروح على الأموات إن كنت رايح

ولا تقبل الإحسان من ابن لثيمة

يحمل من الإحسان سبب الفضائح

ولا تعمل المعروف فى غير ابن جنك

النيل يروح ما يبان فى بحر مالح

دا عيب على الأجاويد يدوس فى حمام

قاطع طريق هباب ، ويطام رايح

وعيب على المقادير تنفص جيوهم

لصوص غجر ، والبنك فى مصر فاتح

وعيب على البهوات يوطوا رؤسهم
 لى دخـل الامتيازات ينطاح
 خشت لها الأندال تمـس دمانا
 ولا فيش طيب ما هر يسـد الجرائح
 وجات أمم فواتير تسن نياهمـا
 شبت، وبشمت . من طبيخنا الفايح
 يا أمة الأهرام شـدى عزائمك
 دانتي ميزانك فى الأولميك راجح

وهذه القطعة بعنوان « المنبوذين » ، ويصور بها حال البلاد فى أيام العهد
 البائد ، وما كان سائداً فيها من عبث وفوضى ، مما أصلحته الثورة فى
 عهدها الحاضر .

المنبوذين

يا منبوذين الهنـد كفوا دموعكم
 دى مصر فيها المنبوذين ملايين
 من منبوذين حافين يلهـوا سبارس
 ومنبوذين ما سحين جـزم دايرين
 ومنبوذين شباب معاهم شـايد
 حرم عليهم يدخلوا الدواوين
 ومنبوذين سـوان ، وضابط مباحث
 داير وراه من كـين لكـين .

ومنبوذين في البيت عشاءم فلافل
في العيد ، وأيام السنة جابعين
يا غاندى يكفى الصوم تعال بلادنا
شوف اللي فيها من زمان صابمين
إنت لقيت الملح ، أما الكنانة
الملح مـيرى ، واللى يهب مير
لوجيت في وسط القوم تبقى مطاوع
ولا الزناتى كاسر الكاسرين
ياريت تعلمنا صناعة الفسازل
ما احلى المغازل والمنازل طيب
بلد دهبها انشال ، ودهبان حالها ،
ولسه فيها الانجليز قاعدين
وقطعة أخرى بعنوان « الشهادة » ، وضعها على لسان فتى من الخائبين . يركز
أحلامه على الوظيفة التي لا ينالها ، مع آمال « يوم » في تحقيق النهضة الصناعية
التي تقضى على عطل الشبان .

الشهادة

يقول الفتى المصرى بتاع المدارس
المعاليق ، الكابتين ، بتاع التيم
يامين ييادلنى ، وياخد شهادتى
بجليية ، والا بالطوق قديم

واخذ شهادتين ، ابتدأتى وثانوى
ومش عارف اكسب ولا مله
تسع سنين فى الحـط والشقا
يساريت أهلى كانوا ربوا بهم
والله بهم يولد ، وينباع ، ويندج
ولا يلزمه غير حزمة البرسيم
باع لى أبويه النعريت الى حيلته
وأمنى رخـرة باعت المـباريم
سوق الوظائف فين ، يا طاهرة ياسيدة
شبت دوحـة ، واكتفيت تلـطيم
حلفظ بروجرام الصياغة الموضب
توضيب مهندس متخبي لثيم
يطلع التليـذ بين البنت والولد
لا هو صاحب صنعة ولا هو غـشيم
ابنت لنا الفباريك إلهى من السما
هيه الى تفنى فقرنا باكريم

فوازير رمضان

وبرع يرم في نظم نوع «الفوازير» بالزجل، وكان موفقاً في صياغة «الفزورة» وإحاطة المقصود بها بسياج من التمويه اللطيف في حبه وتكوينه . وكانت لباقة من « يرم » لا تجارى، بحيث أنه بعد أن أذيع له الكثير من هذه الفوازير ، وبالأخص في شهور رمضان المباركة، أصبح من المتعذر لغيره، بعد موته، أن يمارس هذا النوع ، نخفة الروح والمقدرة التي انطبع بها أسلوب « يرم » .

وننقل بعض ألوان من هذه الفوازير :

رمضان يقول لى	واحدة تلاية
قدامى أميرة	ومصيبة ورايا
تمدحنى فى وشى	وتقول لى يا آية
وعيوبى الفارغة	تعلمها رواية
والمثل السائر	تقولوه ويايه

والمثل السائر هو

« فى الوش مراية وفى القفا سلاية »

* * *

بهية قالت لجوزها عيد وادى الثانى
توعدنى بالكحك وتخالف وتجنفانى
راح النحاس مبيض حلل وصوانى

وشحت منخل مع غربال آه ياني

وجم يساعدوني أحبابي وجـيراني

وانت لا السمن جبته ولا الدقيق جاني

والمثل السائر هو

« عشتني بالخلق خرمت أنا وداني »

أم بهية جوزها ديباب

أهمال نفسه وهو شباب

وبقت عيشته عذاب في عذاب

لا نفع بنـاب ولا بواب

فكر يبقى من الكتاب

رمضان شافه ماسك له كتاب

قال كـاب في الأول يادياب

والمثل السائر:

« بعد ماشاب ودوه الكتاب »

* * *

يستعجب عمك رمضان ع الست الحاجة أم هلال

وصاحبنا هلال المسكين مارزقش لا شكل ولا جمال

خطبت له وشافت جمالات وتقوم ولا يعجبها الحال
يا بختك بامك يا هلال

والمثل السائر:

« القرد في عين أمه غزال »

* * *

رقية جالها ثلاث عرسان
واحد يبتهاى بجماله
والثاني طيب وف حاله
والثالث اللي رضيت به
جذبهها بس بأمواله
سنتين ثلاثة راح المال
وأهل زمام إيه قالوا

والمثل السائر:

« ياللى خاطب القرد ناله يروح المال

ويبقى القرد على حاله »

* * *

وهذا لون آخر من فوازير « بيرم » ، تنقل منه هذه الأمثلة :

أنا شفت عروسة جميلة وطويلة طويلة طويلة
حلاوتها أما تنطوق ثلاثين ليلة وتنزوق
بعقود لولى وكردان ثلاثين ليلة رمضان
« وحل الفزورة هو المئذنة »

شهر شهير أشهر من نار كله فسح ، كله أسفار
كله جمال ، كله أزهار تتمناه كل الشبان
بس ياءم مالهشى أوان لا هو نوفمبر ، ولا هو
ديسمبر ، ولا هو يناير ، ولا فبراير ، ولا شعبان ، ولا رمضان
« وحل الفوزرة هو شهر العسل »

ولون ثالث ، ننقل منه :
فا كة كبيرة قد السلة بيها نحلى ، وبها تنسلى
اللى يدوقها ينسى القلة
« وحل الفوزرة هو : البطيخة »

مفرته ولا بة طرطور كاوش ، يسقيها المية
أغمرها نمنيه تبكى والدمع يسزل فى عينه
« وحل الفوزرة هو : القطارة »

المقامات الشعبية

حاكى « بيرم » النمط الذى كان ابتدعه الشاعران « بديع الزمان الهمزانى » ، و « الحريرى » ، فيما سمياه المقامات ، وهو ذلك الأسلوب من الأدب المسجوع المرصع بالشعر بيد أن « بيرم » ، فى مقاماته ، يتميز بخفة الروح ، مع النكتة البارة ، والفكاهة اللطيفة ، مستخدماً الألفاظ المثيرة فى تصوير عجيب يعز على غيره أن يبلغ غايته ناهيك بمقدرته الفائقة فى صياغة الشعر الرصين ، بشتى أنغامه التى تتمشى مع الموضوع .

وقد كتب « بيرم » فى هذا النوع من الأدب حوالى المائتين من هذه المقامات . فى شتى المناسبات ، وهى بلا شك ثروة كبيرة للأدب العربى والأدب الشعبى معاً

ونذكر منها ، على سبيل المثال

للقامة : القرصاغية . والفلوسية . والجنيهاتية . والرغيفية . والصندوتشية .
والعيشية . والاقتصادية . والشوالية . والبيجامية ، والحجابية . والأسفنجية .
والليلية . والسفورية . والسرية . والشتائية . والبربرية . والشعرية . والريفية .
والصندوقية . والكانونية . والزيتية . والبريدية . والأفوكاتية . والهاوية . والأفندية .
والمنيرية . والفاسفية ، والشيطانية . والنحاسية . والرأسية . والترموائية . والترزية .
والفلوكية . واللومانية . والمنصورية . والحربية . والوطنية . والتحريرية . والبرلمانية .
والطابعية . والفرنجية . والأمريكانية . الخ ...

وننقل للقارىء لونا من هذا النوع من الأدب :

المقامة الشعرية

حدث الحاذق بن قذان . قال :

جلسنا دسنة من المشايخ البهاليل ، في جهة على شاطئ . النيل . وكلنا فصيح
شاعر ، وأديب واعر . عارف بالاستعارة والتشبيه ، والإطلاق والتوجيه . والترديد
والتوشيح ، والتفويف والترصيع . وحفظ الصرف والنحو ، بلا خطأ أو غلت أو سهو .

فقال أحدنا :

إن الجلوس على شطوط الأنهار ، والاستظلال بفصوص الأشجار ، شئ يفتق
الأذهان والأفكار . فليقل كل منا ما يقدر عليه ، وهذا الحازق بن قذان
نحتمكم إليه .

فقال آخر ، وكان أنشطنا همه ، وأكبرنا عمة :

ما بالنا أيها المشايخ جامدين ، وبأفكار القدماء متمسكين . مثالنا والعيسى
والجمدى ، والقيسى والسعدى . وأين نحن من ذاك العصر ، وأين صنعاء والحيرة
من الإسكندرية ومصر . وإذا وصف العرب الناقة والجل فما لنا لا نصف الوابور
والترام . وإن وصفوا السماء والأمطار ، فلنصف نحن الكهرباء والبخار . وبهذا
ترقى مدارك الشعب ، ويسهل على الناشئة كل صعب . فإن رقى الأمم موكل
إلى ذوى العمم .

فقال الثالث : نعم وإن ما أصابنا من العذاب الأليم ، لم يكن إلا من
إتباعنا للقديم .

وقال الرابع نحو ما قالوا . وكال الخامس مثل ما كالوا .

فاتفقوا بالإجماع ، على أن يصف كل منهم ما يعجبه من اختراع . فجلسوا
يحكون الجباه ، ويعضون الشفاه . فكان بعضهم يتمم ويكتب ، والآخر

يلبس ويشطب .. فلما فرغوا أعطاني أحدهم ورقته ، وكان وجهه كقعر الوابور ،
وشفته كحرف الماجور . وهذا كان يظن نفسه أحد الأعلام العظام ، قال
يصف الترام :

إب ارتكانا على لوح من الخشب
لم يبق شخصا من الأشخاص في تعب
لله هـذا ترام حين تركبه
تستغن حقا عن الأفراس والنجب
إب الترام عجيب حين يخرج من
شبرا ، فكالوت ، فاليدان . فالعقب

فوقعت تحتها :

من كان همه تكبير عته
لحسبه صنعة الافتاء لا الأدب
قبح الله شرك ، وأرخص شرك ...

وتقدم الثاني ، وهو قدم بفيض ، ولكنه ينتحل القريض ، ولما كان بلحية
بهائية ، قال يصف الأنوار الكهربائية :

بشرى ، فقد وصف الأستاذ ماقدرا
شمس الكواكب في أفق العلا طلعا
تضيء في الليل والعداد يحسبها
الساعة — ان بيلم فواعجها

لها كذلك زر شأنه عجب
ضيئها الزر طرا كلما انفتحا

فوقعت تحتها

لو أن ذقنك هكذا ، نتفت
ولو قذا لك هكذا صفعا
وإن مفتشا هذه قوافيه ، فصبوا الرصاص في فيه .

وتقدم الثالث : وهو ذو وجه مستدير كالرغيف ، ولحية حمراء كالليف .
يعتلى كل منبر ، ويحمل معه المنزول والعنبر . ولما كان مكثرا للمشي والطواف ،
قال يصف التافراف :

على الإسلام والدنيا السلام
إذا بالسلك ينتقل الكلام
أرى الأفرنج قد قامت ونما
وقبلا طالما قننا وناموا
ألا يا قوم هبوا من رقاد
فصر اليوم بسمعها الثام
فوقعت تحتها :

ألا قبحت من شيخ خطيب
يضم مراق معدته الحزام
إن تعنجهت فلست غريبا ، وإن تفلسفت فلست عصرياً .

ثم تقدم الرابع ، وهو شاعر مطبوع بأقبح طابع . له أسلوب عنترى ، وألفاظ
أنفها كالبحر الفنترى ، فأما هو فإنه كالبرى . وقال يصف الباهرة :

الفلك فوق فقايع البحر
عجبا بغير صنيجة تحرى
متشققاً في السيم تدفعه
مجدولة الأطراف في القمر
يتنفس الصعداء تحبسه
متعرجاً من شدة الوقر
فوقعت تحتها :

فاذا صعدت عليه منفرداً
أغرقته من ذلك الشعر
أنت يا هذا ناعق أو ناعر ، ولست بشاعر
ثم تقدم الخامس . وهو شيخ نصفه قفا ، والنصف اختفى . ولما كان من
منفلوط أو سمالوط ، قال يصف التليفون والخيوط :

يا براعى أسعد يمى وانظم
في التليفون هذه الأشعار
وتوخ السهل المنيع وحاذر
أز ترى يا براعنا مهذارا
هذه آلة التكلم دقت
بتفن وحركت أوتاراً

فوقعت تحتها :

لو نظمت الدموع من عبرات الـ

شعر درا ما ما كنت إلا حاراً

الشهرة إن كانت قبيحة ، فليس وراءها إلا الفضيحة .

قالوا : قد عبتنا جميعاً ، وهجوتنا هجواً شنيعاً فأسمعنا أشعارك ، وأرنا

ذوقك واختيارك .

فقلت : ليس عندي إلا ما علمتم ، تسمعونه كلما نظمتكم ، فإذا بعدتم بعدنا ،

وإن عدتم عدنا .

إن التمييز بالعامية فن ، كالتمييز بالفصحى سواء بسواء ، فليس كل ناطق بالعامية ، أو محسن للعربية مستطيع أن يكتب أدباً في تعبير فني ، وكما أن الكتابة بالفصحى موهبة ودرجة كذلك الكتابة بالعامية . ولا بد لكل منهما أن تتوافر لها خصائص التأثير والإبلاغ .

وطبيعي أن تتفاوت الدرجة فيهما بين كاتب وكاتب ، حتى يسمو التعبير إلى ذروة الروعة والإبداع .

محمود نيمور

السيد ومراته في باريس

هذا عنوان لكتاب أخرجه المرحوم « بيرم » باللغة العامية . وهو تخيل قصة رجل من أولاد البلد ، سحب امرأته « بنت البلد » إلى باريس . فدارت بينهما هناك أحاديث الوقائع التي تناولها « بيرم » بتحليله العجيب ، ومقارناته بين الحياتين في القاهرة وباريس ، في ذلك العهد الذي وقعت فيه الأحداث . وشحن « بيرم » قصته البلدية هذه بالأحداث المثيرة ، المطعمة بالفكاهة والتصوير الدقيق ، الذي هو أقرب إلى الكاريكاتور البارغ . مع تسجيل الواقعية بشجاعة وجرأة ، في أسلوب مسلسل شجي العبارة لطيف السرد .

وقد طبع هذا الكتاب مرتين . وكتب على غلاف الطبعة الثانية : « هذا الكتاب مقرر بجامعة اللغات الشرقية في برلين لدراسة اللهجة العامية المصرية » . وإذا علمنا هذا ، أدركنا كيف قدرت الأوساط العلمية هذا الكتاب بأسنوبه العامي المتميز ، حتى أصبح موضع عناية الجامعات . على أن جامعة اللغات الشرقية ببرلين ليست وحدها التي قررتها للدراسة ، فقد قرر أيضاً في جامعة السربون بباريس وجامعة موسكو .

ويقع هذا الكتاب في ٩٦ صفحة من القطع المتوسط ، وكان يباع بعشرة مليات .

ولبيرم كتاب آخر في مثل غرضه وموضوعه ، ولكن اسمه « السيد ومراته في مصر » .

صور متتمة من كتاب السيد ومراته في باريس

(النظافة)

— كده— و ياراجل تقلعنى ملايتى و برقى و تخلىنى أمشى فى
السكة عريانة ؟

— عايزة تمشى فى باريس بالملاية والبرقع عشان تلمى علينا الناس؟ ما كنا
أحسن نجيب معانا قرد و حمار لاجل تكمل الفرجة . إنتى كده وانتى عريانة
تبقى مستورة أكثر . واحدة فى وسط ٤ مليون . ما حدش عارفك إن كنتى
من مصر والا من قبرص .

— و حاروح على فى دلوقت ؟

— عاللو كاندة . تتغدى و بعدين نروح عالبيت اللى أجرناه . بس من
فضلك ما تمشيش تهزى لحك رى ما بتعملوا فى السد البرانى . إمشى ضوغرى
زى خلق الله اللى قدامك .

— اليلد ياخويا نضيفه قوى شوف دى الشوارع الحلوة تلحس من عليها العسل .
— الشوارع نضيفه لأن الشعب نضيف . و لما يبقى الشعب وسخ ، وكل واحد
يرمى فى الأرض اللى يقدره عليه ربنا من قشر خس ، وزعازيع قصب ، وورقة
فيها قشر سمك ، الشارع يبقى مزبله واديكى عارفة الكناسين طول النهار يعموا
فيون الناس بالمكاس ولا فيش فايدة . الخيرات برضه نازلة زى المطر .
— خيرات ؟

— أيوه . ما هى الكناسة عندنا علامة الخير . كل من طبخت لها طبخة
يجى فى عز الضهر الاحمر وترمى كناستها من رابع دور تحدث بنعمة الله . يعنى
اتفرجوا ياناس على ريش الوزه اللى دبجناها . وعلى قشر البدنجان اللى لسه طرفه .

وعلى علب السردين اللى جابها الأفندى . لأ والجماعة اللى قاعدين فى الدكا كين .
رخرين ، الله عليهم لما الواحد منهم يتغدى قراميط وفجل وبرتقان . ويروح
مكعب الورقة ويطوحها فى الشارع على آخر إيدته . تيجى فى صدغ واحد ماشى .
يا محمد ربنا ويسكت . يا يتلن أبوه .

ويتحدث عن (البطاقات الشخصية)

وقد تنبأ بها من سنة ١٩٢٧

تقول الست لزوجها السيد :

— ورقتك أهه ! إوعى تضيمها . مانيش عارفه كان لزومها إيه . داهية
تغلبهم زى ما يغلبوا الناس .

— دى يا ولية ورقة « الشخصية » ، لازم تبقى مع الفرنساوى والأجنبى ،
ومن غيرها ما يقدرش حد يمشى فى البلد ، ولا يشتغل ولا يعمل أى حاجة .

— حكم !..

— المسألة ما هيش داخله نحك ؟

— أبداً والنبي . إيه اللى كل واحد لازم يطلع ورقة شخصية . هو
احنا مشبوهين ؟

— إفرضى إن البوليس يفتش على واحدة حرامية . وعنده أوصافها . إنها
سمينة وشعرها إسود مكركت وعينها سود واسعين وبشلاضيم زيك . وعترفيكى .
مش يروح قابض عليكى ؟

— أنا ؟

— إذا كانت أوصافك زى الأوصاف اللى عنده يقبض عليكى وعلى أبوكى .

لكن أمتكون معاكي الورقة دي اللي عايطها لك الحكومة، وفيها إسمك وصورتك
وبلك في الحال يعرف حقيقتك . ولا يمدش إيدته عليكى .

— قلت لى .

— آه آمال هوه إيه . وافرضي إنك اتسيتي في الليل . ومشيتي من حته
وحشة . وافتكر البوليس إنك واحدة من إياهم . إيه ينجيكي إلا الورقة دي ؟
بلاش كده . إذا أمك بعنت لك حوالة مالية على البوستة والا عا البنك من
غير الورقة دي ما تعرفش تقبضها ولو تجيبي ميت ألف شاهد يشهدوا إنك
السيدة بنت اسماعيل عبد الرحمن الشهير بالزنج . وانا رايح إذا كان ما معايش
ورقة زى دي ما حدش يشغلنى

— دى والنبي مضايقة . دى بس عشان ياخدوا عشرين فرنك من كل
واحد . والرجل اللي يشتغل رايح يبقى مشبوه ؟

— إفرضي إن واحد سرق سرقة أو قتل واحد . وعاز يزوغ في فابريكة
متطرفة . أو يشتغل . ويا كل ويشرب وينبسط . والبوليس داير يفتش عليه
ليل ونهار . لأن اللي شغلوه مش عارفين حقيقته
— على شان كده بقى !

— كده وغير كده . يلزم كل واحد على وجه الأرض يكون معروف
مين هوه . مش هرجلة ، متشردين من كل ملة وجنس ، وحرامية من كل بلد ،
وهيصة ما حدش عارف لها أول من آخر

لو كانت حكومتنا تعمل الحكاية دي تستريح وتريح خلق الله . أولا
ما تتمبش هيه في التفتيش عن اللي عازاه . وثانياً تريح الناس من البيات
في الكركونات بالليلتين والثلاثة . على ماييجي شيخ الحارة ويشهد إن ده إبراهيم

دسوق إبراهيم وقاطن بحارة البجامون . ويلدع شيخ الحارة عشرة صاغ . بقي
الأحسن كل واحد وواحدة عندنا يدفعوا العشرة صاغ للحكومة مرة واحدة في
السنة بدل ما يدفعوها لشيخ الحارة أربع مرات في السنة .

— وأربع مرات في السنة ليه ؟

— هو حد عندنا يستغنى عن دخول السكر اكون . إذا ما دخلش متهم
يدخل شاهد أو مشبوه ، أو مجرور في عركة مالوش فيها يد ، أو بأي سبب آخر .
ودائماً شيخ الحارة هو اللي يضمنه ويطلعه .

(جهل المرأة وطمعها)

— طيب حاسألك سؤال .

— إسأل .

— أخوكي يشتغل فين ؟

— في الجمر .

— عال . يشتغل إيه في الجمر .

— أنا عارفه .

— أهوده اللي أنا نابح حسي عليه . تعرفوا الحاجة بالجملة ، ولا تعرفوهاش
بالتفصيل . يعني ما تتيش فاهمة إن كان في الجمر كشاف ، والافتاح ،
والا كاتب قسايم ، والامتنع والا بلا أزرق . كنت أشوف حماته راخر
مسكين تقف تشوح له بأديها وتقول له . جيت لها إيه نابها منك إيه ؟ الموظفين
في الحكومة كلهم عدلين ومريحين نسوانهم اشمعني انت اللي خايب ؟ وتفضل
تردحله طول الليل وتخلي له البيت زى المورستان . لغاية ما يضطر ويختلس مبلغ

من العهدة اللي في إيده • ويوجب لبنها الصينة اللازمة والمنتوهات اللازمة •
متيألى إنكم عاملين الجواز ده شغله تجيب فلوس وبس • والجوز في نظركم
زبون ملزوم يقدم ثمن البرشة والبصصة والمجانسة • خلى بالك الحاجات دي
هنا بلاش •

— أنا سا كته أهو اتكلم زى ما يعجبك •

(عدم التدبير)

— من الساعة ٩ صباحاً ماتلاقيش في أوربا كلها واحد نائم في الفرش
إلا اللي في المستشفيات •

وعلى كده استعمرونا وشغلونا فعلة • ندحرج لهم راميل البيرة ونشيل بالات
القطن وما أشبهه •

— جيتي قد إيه كبدة ؟

— كيلو بعشرة فرزك •

— أو كانوا العشرة فرنك في إيد بنت باريسية كانت خلت بهم السفرة
تضرب تقلب من الأصناف اللي عليها • يعنى كان نص كيلو كفاية • وخر شوفتين
لطف ينسلقوا ويتاكلوا بالزيت والقلفل الأسود •

وخصاية بنسكة تنحط منفوشة جميلة في طبق كبير • غير ما تلاق هنا
حتة جينة • وهنا حنة زبدة • وهنا شوية فا كهة • وفي الوسط باقة أزهار
إن ما كانش عاجبك • تروحي تجيبي بالعشرة فرنك كلهم كبدة • جاكي
وجع في كبذك •

— الله يسامحك يامى السيد •

(الرقص الأجنبي)

- رقصهم صنعة قوى .
- ما هم يتعلموه فى مدارس مخصوصة .
- ما تعلمنى .
- إن شاء الله .
- إمتى ؟
- لما اشترى قرنين من السلخانة .
- مانيش عارفك إن كنت زعلان من الرقص والامبسوط .
- الرقص ذاته جميل . حركات رياضية تنفع الجسم . وفيه تفريح وسرور
يخففوا متاعب الحياة وغلبها . وناس بالشكل اللى انتى شايفاه ده يرقصوا مع
بعض بدون معرفة يبقوا ولا شك إخوان أحباب يتعاونوا فى كل شىء . لكن
فين بقى الملايكة اللى ينظروا لالرقص نظرة زى دى . خدى بالك م الواد اللى
معرض كتافه وملمع شعره . اتفرجى ازاي يرقص مع البنت الشقرة أم دراعات
عريانة ! حايا كلها ! شوفى أهو عمال يسألها وتجاوبه .
- بتقوله إيه ياترى . ويقول لها إيه ؟
- مفيش غير بتعملى إيه . وما كنهه فين . وأشوفك إمتى . وتعالى اشربى
حاجة معايا وهلم جراً .
- كده اشبكتك الكمتك .
- على طول .
- يغلبهم ! ..

— بقى ما فيش حاجة كويسة إلا ومعاها خمسين مصيبة • صدقيني إن للنظام الإسلامى أحسن نظام ظهر فى العالم • الراجل مايشوفش غير مراته • والمره ماتشوفش غير جوزها • حتى لو كانوا الاثنين وحشين وشكلهم كئيب تلاقىهم برضك يعجبوا بعض زى الجمعان اللى يتلذ بلقمة العيش والدقة • أما الشبعان يبقى قرفان من كل شىء • كل مايشوف حاجة يقول فيه أحسن منها •

— قوم نروح حته تانية •

— الله يهديكى ويخليكى • مش نروح أحسن عالييت نوضب لنا أكله كويسة ونندب فى الفرش •
— ياللا •

(غش التجارة)

— دول (فى باريس) تجار متنورين متعلمين • معظمهم يحملوا شهادات عليا، ومتربين فى بيوتهم تربية أعلا • قبل ما يعرضوا البضاعة للبيع يحسبوا تكاليفها وتكاليف المحل، ويقنعوا بربح بسيط جداً عشان يبيعوا كثير ويكسبوا كثير • ويخلوا الزبون يطلع من عندهم ممنون وينوى يرجع لهم • لكن تعالى للتجار أيام • الواحد منهم أمه والداه حرامى • السرقة غريزة فى دمه أباعن جد • فبدال ما يعمل رئيس عصابة ويكسروا الأقفال وينقبوا الحيطان يفتح أحسن دكان بيع وشرا ويجعله واسطة يهب بها اللى يقدر عليه • وتلاقى معظمهم من طبقة جاهلة فتوات داقين على اديهم سبوعة وضبوعة ونخل وشجر ما فيهمش واحد يعرف «نفسية» الزبون وهوه داخل يشتري • أنا كانت تعجبني الحاجة فى دكان واحد منهم وأقول يا واداشترى منه وخلي فلوسك مع أهل بلدك أحسن ماتدفعها لى بياخدوم • ويحتقرونا • لكن أبص مالاقيش حاجة مكتوبة عليها ثمنها • فايتها كده سادة • بكام يا سيدى جوز الجزم ده ؟ فتلاقيه قبل ما يرد يهرش فى قفاه، أو يمسخ شنبه •

أو يبلغ ريقه ، على ما يفكر ويخمن ويفن الثمن الى يناسب شكلى . يقول له عقله
ياواد دا باين عليه لطح قول له ثمانين بدال ستين . وهيه ترسى على خمسين .
بركات وارسل ، أو باين عليه منا كف قول مية وخمسين وترسى على
خمسين . أو باين عليه مؤدب بن ذوات قول له بمية وترسى على ثمانين ، وأخيرا
ينطق بالكلمة اللى يلهمه بها الشيطان .

— فلوسك فى جيبك . ورد عليه بايعة وشارية . ما فيكش لسان .

— لا . أنا محبش أوجع قلبى . آخذ بعضى ودى ماثى عدل ، ألاقه بنادىنى
ويبعت ورايا صبيه ، أسبهم ينفلقوا وابق سامعهم بيلعنوا أبويه . هوه فيه حاجة
خاربة بيوت التجار عندنا غير كوسهم يعرضوا بضائعهم من غير ثمن ؟ إنتى
ما تلاقيش فى مصر كلها عشر محلات على بعضها بقى لهم عشرين سنة فاتحين .
أعظم تاجر يقعد سنتين ثلاثة ويقفل . بينما المحلات الأفرنجية بتقعد لما يورثها
ولد الولد ، وتبدأ بـدكان صغير مفيهش بضاعة خمسين جنيه ، وتصبح دواير
وعزب وقابريكات وهم لا يحصى . هيه التجارة لعبة يا مسلين؟ لما يمسكها السيد
السندويلى أبو جلاية جوخ ، وعلى البرطشاوى أبو شهاب . و خليل أحمد خليل
وولده محمد . دول أولا يجهلوا فن عرض البضاعة ما فيهش واحد يعرف يرتب
بضاعته ترتيب جميل يفتح نفس الزبون ٠٠٠٠٠ الخ .

(العمل الحر — والوظيفة)

— بكرة الشهادات دول ينفعوك لما ترجع مصر ، تشتغل بهم فى الحكومة

— أشتغل فىن ؟

— فى الحكومة .

— ليه ودراعى فىن ؟

— دراعك برضك معاك . إنما تلاقى لك شغلة فى الحكومة قد بعشرة جنيه .
— ذا العاجز الغلبان المخروع اللى يقف على باب الحكومة ويقول لها
شغلىنى .

— أمال ناوى تعمل إيه ؟

— أما نروح يحلها ربنا . دى بلادنا لسة زى المستعمرة الجديدة فيها ميت
ألف شغلة للى عايز يشتغل ويكسب ، بس اللى يفكر برواقه ويعرف يشتغل .
— مهما كان ما يجيش برضك زى الحكومة اللى ترقيق كل سنة وتعمل
لك معاش

— أظن والله أعلم ما فيش حكومة فى الدنيا ربنا مغلها بشعبها قد حكومتنا .
الأفندية وظيفنا يا حكومة . العمال شغلنا يا حكومة الفلاحين إزرعى لنا
يا حكومة . إنتم فاكرين إن الحكومة إله على كل شىء . قدير . مع إن الحقيقة
ما فيش حد غلبان قد الحكومات ، لأنها هيه اللى بتمد إيدها وتأخذ من الشعب
عشان تبلط له الشارع ، وتركب القوانين ، وتحافظ على الأمن ، وتعلم الجاهلين ،
وتداوى العيانيين ، وغير كده ماهاش وظيفة ، وانتم وكلينا يا حكومة ، شريتنا
يا حكومة ، جاتكم القرف فى تربيتكم
والله يا شيخة عايز اخنق ألف مرة من شكلك وعينتك .
— هى . هى . . اشمعنى .

— أيوه لأنكم إنتم اللى بتربوا العيال عالبادة والكسل ، ولا تتجوزوش
إلا الموظفين ، ولا تحترموش غير الموظفين . ولا تخافوش إلا من الموظفين . تعالى
هنا اتفرجى على موظفين الحكومة ، تلاقيهم كلهم ناس يا دوبك الواحد منهم
مستور يا كل ويشرب هو وعائلته ، والمكاسب الهائلة كلها يكسبها الشعب
وأصحاب القابريكات ، والمصانع والتجار ، دافيه ناس هنا الواحد منهم يكسب
ألف جنيه فى اليوم بدون مبالغة . . .

يرم القصصى

وهذا مثال على مقدرة « يرم » فى تأليف القصص ، وصياغة الحوار بلباقة ، وببلاغة ، وبيان معجز . وننقل الفصل الأول من قصة له بعنوان « شافون » :

شافون

الفصل الأول

لأبى عبدة منزل صغير على شاطئ الدجلة ، بعيد عن بغداد مسيرة ساعتين . وهذا المنزل يقيم فيه كلما احتاج إلى الراحة والخلوة بأصدقائه الخصوصيين ، ولا يعلم أحد غير هؤلاء شيئا عن المنزل سوى جاريتين تقيان فيه ، إحداهما تدب اسمها « عبدة » أهدها الرشيد إلى أبى عبدة ، والأخرى بكر لم تبلغ الخامسة عشرة اشتراها من سوق الرقيق ، وهى ديلمىة الأصل وتدعى « شافون » .

* * *

فى ليلة دامسة الظلام ، شديدة الحر ، استلقى أبوعبدة على وسادة ، وقد خلع عمامته وثيابه ، ووقفت الفتاة « شافون » على رأسه بالمروحة ، تهزها يمينا وشمالا ، وتنظر بعينيهما الذابلتين إلى صلته المضئئة تحت المصباح ، بينما كانت الأخرى تهيج الطعام .

فى هذا السكون ، الذى ينعم به قوم ويشقى آخرون ، سمع من الخارج صوت رجل يقول وهويدق الباب بقوة :

يا هذه عجلى نحوى ويا هذا

وأبعدا مضجعى عن كلب بغداد إذا

فاستقام أبو عبيدة جالساً ، وقال :
لقد جاء اللعين ، لعن الله حاجة جمعت بيني وبينه .

افتحى يا جارية

فدخل الرجل فبادره أبو عبيدة :
مرحباً يا دعبل .

— السلام عليك يا شيخ السوء . أين النبذ الذي وعدت ؟ والغناء الذي .
وصفت ؟ والجوازي اللآتي نعت ؟

فقال أبو عبيدة ، وهو يتبسم ابتسامة يخفي بها مداخله من الفيظ لهذا السبب .
— خذ مكانك أيها الشيطان . ثم سل ما تريد .

فأطال دعبل نظره في المكان . فرأى طنفسة مطوية في أحد الأركان .
فتناولها ، وفرشها بانحراف ، بعيداً عن أبي عبيدة . ثم وقف متحيراً كأنه يريد
شيئاً آخر . فنظر فجأة إلى الوسادة التي خلف أبي عبيدة ، فهجم عليها ، واجتذبتها ،
ثم وضع شفته على الطنفسة ، وأخذ الوسادة تحت ساعديه ، وتقلب عليها قليلاً
ليستقر جسمه كما يريد . ثم نظر إلى أبي عبيدة باستخفاف ووقاحة قائلاً :

— أين إبراهيم الموصلي ؟

— كأيّ به يقدم الساعة . هل صنعت الشعر الذي أوصيتك به ؟

— لا عفاك الله .

— أين الواو يا وقع ؟

— هل تريد الواو أو الشعر ؟

— هات الشعر إن كان هناك منه شيء

— ماذا تريد ؟

— قلت لك من قبل إصنع لى شعراً على لسان عربية تنهى أخاها عن
المبارزة ، وشعراً آخر يجيب به . وليكن ذلك فى غير الرجز . . لأن الخليفة
يكرهه ويستخف براويه .

حانت من دعبل الفتاة رأى الفتاة الديلمية ، فنظرت اليه بابتسام يدل على
الإعجاب والانبهار

ولا عجب فقد كانت مع أبى عبيدة متضجرة من كبرياء الشيوخ ، وأنانيتهم .
ولكن دعبل ، النشط الخفيف الشائل ، غير مابها وظهر عليها الارتياح ، حينما
أبصرته يقرب الطنفسة فعلمت أنه سيقضى عندهم وقتاً طويلاً . . فخلق فيها مدة
طويلة دون أن يبالى بأبى عبيدة ، ثم نظر اليه نظرة اعتادها منه وسأل ببرود .

— هل هذه أيضاً من جوارى خليفتك ؟

فأغض عينيه ، وأجاب نخزم يشوبه شيء من التردد والجلين :

— لا شأن لك بها .

— نعم . ولكنى أريد أن تكون ساقيتى هذه الليلة .

— لك ذلك . . قال هذا ، وأراد أن يبعد الجارية عن عيني دعبل بأى
وسيلة فقال لها : علينا بالأفداح . . فمرت الفتات من بينهما ، وألقت
من جانب فمها ابتسامة على دعبل . . ووقعت من قلب الشاعر الكبير موقعها .
ولكن دعبل الذى لم يكن فى قلبه ذرة من التوقير والمراعاة ، لمخلوق ، استوقفها
وسألها :

— ما اسمك يامسكينة ؟

— شافون .

— بارك الله فيك . . اذهبي فائقنا بالأقداح التي أمر بها شيخك ، وزق الدوشاب . ثم التفت إلى الشيخ ، وقال :

— كم لك هنا ؟

— سبعة أيام .

— لم أعلم أنك فارقت بغداد إلا بالأمس ، حيث سألت صالحا الحمami ، وقال إنك خرجت إلى البادية .. وإني أعلم أن باديتك هذا المنزل . فجتك ألث فاني لؤمك الا أن تبدأني بطلب بضاعتك التي لولاها ماخلم عليك خليفتك دثار جارية .. أما كنت تنتظري حتى أستريح ؟

— أما قولك أني لثيم ، فلم الله أنك كاذب . لأنني أوويك إلى منزلي ، وأنت طلبة أمير المؤمنين ، الذين أهدر دمك .. وأما بدئي لك بطلب الشعر فذلك قبل أن تدخل الجماعة .

بينما كان أبو عبيدة يقول هذا دخلت الجارية ومعها قدحان ، والزق تحت إبطها ، ووقفت فملاّت له قدحاً ، فتناوله ، وكان الشيخ قد فرغ من حديثه ، فقال دعبل ، وهو ينظر إلى شافون

عجبا للشيخ ، يشتم ، وهو شتم . ويمتن ، وهو لثيم ، ويتصدق ، وهو زنيم . أتعبيني بإيوائك إياي في منزلك ، وأنا الذي أراب صدعك ، وأستر عورتك ، وأرفع مكانك ؟ أترى لو علم الخليفة الذي قلت له أنك خارج إلى تهامة والأحقاف ، أنك هنا ، وأنني أصنع لك الشعر الذي يعطيك عليه الجوائز . . ما كان صانعا بك ؟ ! . . .

— إسقني يا شافون قدحا آخر

في هذه اللحظة سوف يقدم إبراهيم الموصلي وجعفر البرمكي . الذي لم يل

وزارة الرشيد . ومعهما بعض أعضاء عائلة برمك . وكان أبو عبيدة ، رغم
عريضة دعبل يصنف إلى صوت الملاح ، يقود الحراقة التي تنقل الجماعة . ويتوقع
حضورهم من حين إلى آخر . وقد أراد أن يختم الشر الذي افتتحه دعبل . فقام ،
وأحضر الدواة والقلم والقرطاس ، وقال هو يضحك :

— شربت قدحين يا ابن الزانية . فعليك بالثالث . حتى يطيعك شيطانك .
أكتب ما أملى عليك بلا شيطان ..

قل له : يا أمير المؤمنين قالت ميسون النمرية لأخيها :

أخالد تنهل المنية دفعة وماء حياة المرء بالقطرات
أخالد لا تذهب بسن مثقف ومثلك تبكي أعين الفتيات

كان أبو عبيدة يكتب البيتين ، وهو مطرق ، ومنظره يشبه منظر الغلام الذي
يكتب ما يمليه عليه المعلم . فقال وهو ينظر في الطرس :

— ولكن هذا الشعر فيه زحاف .

— وهو لا يكون شعراً بدوياً عربياً إلا إذا كان فيه شيء من الزحاف ،
والشواذ ، يا شيخ الحق .

— وإذا سألتني الخليفة عن ميسون النمرية ، ماذا أقول ؟

— قل له يا أمير المؤمنين إنها امرأة تمخت بنات العرب وكان من قصتي
معها كبت وكبت . واذكر أنك مررت بجناتها ملتمسا شيئاً تأكله فرأيت
قديداً معلقاً في خيط ، فشرعت في أكله ، فخرجت إليك ميسون هذه صائحة بك :
يا هذا ، ليس ما أكلت مما يؤكل . إنني امرأة أخت بنات الحى . وكما خنت
فتاة علفت خنتها في هذا الخيط . لا أعرف عددهن وهأنت أفست على العدد .

فلم يملك أبو عبيدة نفسه من الضحك ، رغم ماهو فيه من الفيظ . وكأنه
اقتنع بأن الحكاية مسواة فقبلها . وقال :

— وماذا قال أخوها ؟

— أكتب .

أميسون لأبني التراب لجنتي

غطاء ولم أسحب عليه قناني

أميسون إب أسكن حسامي غمده

أجعت كبود الوحش في الفلوات

كتب أبو عبيدة البيتين . وأراد الاستزادة . ولكنه سمع حذاء الملاح ، على
الشاطئ ، وهو علامة على حضور الجماعة .

..... النخ

كانت آية الآيات في يرم أنه كان يفهم
السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية ، قبل
أن يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة
أو الأقلام .

عباسي محمود العقاد

محاكاة اللهجات المختلفة

لهجة جريكية

ياسأت البيه . أنا مسرى . فيه دلوجتى كامستاشرا سنة فى مسر . فيه أندى
صاخب كتير : صالح بك صاخبى . حسن بك صاخبى . موهاميد بك صاخبى .
كل دول إمسك منى فلوس . دلوجتى أنا آوز من كلو خمسين جنيه . فيه كان
ميت جنيه . لكن هوه مش يدילו فلوس بتاعى . عشان كله فيه واخذ كريزة
بتاع جطن .. لكن أنا موش شغلى ياخبيبي ... أنا واجف فى الجهة بتاعى
هوه ييجى يشرب ويمسك كان فلوسى . عشان إيه موش يديلو ؟
دى موش كويس . . .

لهجة شامية

عندنا بصور إلى صهرى خى مرتى اسمه جميل نخلة كان خد منى خميسطاش
ليرة سورية فى عام أليف وتاسماية وتساعطاش صارها سباع سنين مادفع المصارى
وكل ما طالبه فيهن يثول بتشرين .. المعى
ولاك ياخى العكروتة صار لك تسعاه وتلاتين تشرين مادفعت . إيمت بدك
تدفع ؟ بعد ارحت أخذت الطنبجة تبعى من البيت ، لقيتا مفسودة ما بتسوشى .
عطيتها للعكروت الى عم يصلح الطنبجات . قتللو صلح لى ياها . وإيش
قد بتريد بعطيك . على حساب إنه صلحها وأخض تلات ليرات . طلعت فيها
عالبستان من شان أجربها ما كانت تصروب . صرت أصلح فيها شهرين
ولما صارت منيحة إلت هلا بمشى لها الزلّة بحرق له دينه ودين دولته
. . . الخ .

لهجة عراقية

جال عبد المحسن بيش السعدوني للشيعنة : لا تخشون للعسكرية . ولا تدفعون
عشور للدولة . جلنا يا عمرو وlish السنية تجول لها أمشون للجندية . وادفعون
عشور . دخيل الجادر الجيلاني . راح شلالة الماش في لوندن عند الإنشليز .
وصار يحكي عالعراج . جال له الزمة بلدوين : ما تخاف عالعراج . ولا عالبحر .
ولا عالماعر . ولا عالجب . ولا عالشار . كله جاعد ليكم . ما لحد آخر .

هذا مثل ها الداعور اللي اشترى زلاية وحطها بيد ، وحط السكر بيد .
فجات الحداية وشالت الزلاية من يده . جام نظر لها بالسما وجال : طظ بيها .
السكر بيدى ويش تاشليها

فها العراج بيد الإنشليز وأهل العراج ما يحكمون على شي .

تبشين يا عيب عاللي في العراج جاعدون

الشرب ما يشربون ، والأشل ما ياشلون

والحب ما دثروا . والشار ما خلون

إيش لون تروح من عذاب الله يا سعدون

يرم والأغاني

إن كان « يرم » قد برز بين الأدباء كشاعر وزجال ، فإنه بلا شك قد تصدر الجميع في صياغة الأغنية .

ولم يأت لأديب واحد أن ينتج ما أتجه « يرم » في حياته من أغنيات . إذ نكاد نسجل له منها مئات .

وكان فن الأغنية في إنتاج « يرم » ذا صبغة خاصة فالأغنية عنده ليست كلاماً مرصوصاً ، ولا عبارات رخيصة ، ومعاني تافهة ، ولكن قطعة جميلة . فنية ، نابضة من القلب والوجدان ، تحمل العبارة الرقيقة والمعنى الصادق ، في ليونة ملحوظة ، مع حسن صياغة . ثم هي تتميز بعد ذلك باطراد التطور فيها . فلا تجد بين أغنية وأخرى إلا تجديداً وابتكاراً ، مما يجعلنا نتصور أن يرم يتذوق الأغنية ، ويمس بها إيقاعاً وموسيقى ، قبل أن يدومها كلمات وعبارات . ومن ذلك لا تكاد تختلط عليك قطعة من إنتاجه بين ما تسمع لغيره .

وأغنياته من العذوبة ، وحسن التنسيق ، بحيث تلائم اللحن ، وتستجيب للنغم ، ويمجد الملحنون فيها مجالاً لنجاح اللحن الذي يضعونه لها

وقد رفعت أغنيات « يرم » جماعات من المطربين ، وأثارت شهرتهم . وجنى بعض من غناها له منهم ربحاً طائلاً ، بينما لم يجن هو من وراء ذلك ما يذكر .

وكان « يرم » دائم الشكوى من ذلك ، لا سيما حين يذكر مشكلة حقوق التأليف التي لم يتم تشريعها في حياته ، مع مطالبة المؤلفين بأن يكون لهم من التقدير المادي نصيب عند تكرار إذاعة الأغنية . وكان المطرب ، وما يزال ،

بتقاضى من الإذاعة قدرأ من المال يختلف باختلاف درجات المطربين عندها ،
بينما لا ينال مؤلف الأغنية شيئاً .

وفى ذلك يقول « بيرم »

« إن مؤلف الأغاني فى جميع أنحاء العالم يكتسب من الأغنية الناجحة
آلاف الجنيهات . أما هنا فى الشرق ، فإن مؤلف الأغاني كما سح الأذى تماماً ،
يسلم الأغنية ، ويتقاضى أجره وينصرف » .

ونظم « بيرم » ألواناً شتى من الأغاني ، بعضها فى روايات مسرحية ،
وأخرى سينمائية وبعضها ملحقات وقصص . كما نظم أناشيد شعبية كان أقدمها
ما أنشده المرحوم الأستاذ سيد درويش . وغنى له من المطربين سيد درويش
وبعض أفراد فرقة بديعة مصابنى والسيدة ملك والسيدة أسمهان والأستاذ
فريد الأطرش . والأستاذ محمد عبد الوهاب والسيدة نور الهدى والسيدة
أم كلثوم . وغيرهم .

وقد ألف « بيرم » أغاني « أوبرا شهر زاد » ، « والبروكة » لسيد درويش ،
« وأبريت ليلة من ألف ليلة » ، « وعقيلة » لفرقة السيدة فاطمة رشدى وعزيز
عيد ، ورواية « طباخة برىمو » « وسفينة الفجر » لفرقة السيدة ملك ، ورواية
« غرام وانتقام » للسيدة أسمهان ، ورواية عنتر بن شداد ، « ورايحة » ، « وفاطمة »
« وسلامة » ، التى تظهر فيها أم كلثوم بطلة ، « وأبريت يوم القيامة » ، « وقصة
الظاهر بيبرس » ، « وعزيرة ويونس » ، وملحمة « محمد على » ، للإذاعة ،
وكلها على حلقات .

* * *

وإذا ما قارنا بين « بيرم » وبين الشاعر « أحمد رامى » ، نجد « رامى » ،
وقد بلغ الغاية فى لطف العبارة ، وجمال وقعها على الأذن ، وتأثيرها فى الإحساس ،

وفي أعماق النفس ، لا يكاد يتعدى إنتاجه في الأغاني إطاراً من العاطفية الشفافة،
التي يتكرر فيها التعبير عن واقعية الحب، بصورة تتجسم وتسمو ، مع ما يلحظ فيها
من قسبات مؤنسة مشجبة ، ومن روحية نابضة والهة . حتى يشعر الإنسان به
حبباً هائماً ، لا تبعد مناجاته عن هذه الروح الجميلة . التي يعشقها ، ويذيب نفسه
من أجلها ، وهو محروم منها . صابر على لوعته ، مؤمن بحبه . مهما لاقى فيه من
صد وهجران . وأغنياته أغلبها خص بإنشادها كوكب الشرق « أم كلثوم » ، حتى
لقد لحظ عليه الكثيرون أنه ينطق عن حقيقة ، وهي إعزازه الغير محدود لهذه
المطربة الكبيرة . التي صاغ لها مانع من قلبه .

أما « يرم » ، وقد صاغ هو الآخر أغاني لأم كلثوم ، فلم يكن إلا ذلك المثال
الفنان ، الذي يشكل تماثله أنواعاً وألواناً . فلا يصنع تحفة منها كأخت لها . وهي
إن اجتمعت في معرض واحد اختلفت أشكالاً وصوراً وأهدافاً . وهو لم يكن
نحب ، ولم يكن ينطق عن لوعة ، ولكن عباراته كانت هي الحب وهي اللوعة
بواقع من اللباقة والقدرة الفنية على صياغة العبارة .

وقد بلغ هذا الأديب الصانع القمة في صياغة الأغنية ، صنعة بزرعة ، لا إثارة
من حب أو دافعاً من عشق . ولكنها العبقرية ، والمقدرة ، التي تتميز بها « يرم » .
وهذه العبقرية والمقدرة جعلته يتمكن من صنع المعجز فليس بين الأدباء
من وصل إلى ما بلغه « يرم » من الإجادة في التعبير بالأغنية بكل اللهجات
وفي كل المواقف والمناسبات . ليس بينهم من نظم بلغة الحضر ، ولغة البدو ، في
مختلف الأقطار ، وبشتى اللهجات ، بل بلغة الشعوب المختلفة .

ولا تقف أغنية إلى جانب أختها إلا جديدة عليها ، مختلفة عنها في النسق
والسياق ، بل النغم والإيقاع .

وكان حظ مطربة الشرق السيدة « أم كلثوم » من أغنيات « يرم » أوفر من

غيرها . فقد غنت له مقطوعاته : «أنا وانت» - « وكل الأحبة اتنين اتنين » -
و « إيه أسمي الحب » - « وأهل الهوى ياليل » ، - « وراح فين حبيبي » (الأولة
في الغرام) « والآهات » - و « الأمل » - « وأنا في انتظارك » - « وحبيبي
يسعد أوقاته » - « ونور محياك » - « وعيني أيا عيني » - « وشمس الأصيل »
- « وهوه صحيح الهوى غلاب » - « وبعد الصبر ما طال » - « وصوت السلام »
- و « دلال حبيبي » . الخ .

هذا عدا أغانيه التي نظمها لها في فيلمي « سلامة » و « فاطمة » ، وغنتها . وهي
كثيرة ، منها « ظلموني الناس » - « يا صباح الخير » - و « غنى لي شوى » -
و « برضاك » - « وسلام الله » - « وقول لي ولا تخيش بازين » - وهي
على لهجات البدو .

ونعرض ألواناً من إنتاجه في الأغاني التي أنشدتها « أم كلثوم » . وقد اخترنا
منها « الآهات » « وشمس الأصيل » « وراح فين حبيبي » « ونور محياك » ،
« وأصل الهوى ياليل » « وهوه صحيح الهوى غلاب » « ودلال حبيبي »
وهي كافية لتعطى القارىء صورة من التباين في الصياغة ، وأسلوب السياق ،
والوزن ، مع مطاوعة العبارات للأداء والإيقاع .

(الآهات)

آه من لقاءك في أول يوم ونظرتك لي به بعينك
خاصم عيوني ليلتها النوم وبت أسأل روحى عليك
يا هل ترى راح يعطف على فـ ——— واد متلف
تقول لي روحى آه

واقول لقلبي يا قلبي حبه يسادل حبي
يقول لي قلبي آه

وارجع اسأل عقلي هو الزمان ح يروني لي
يقول لي عقلي آه

العقل ياربى ضائع ومتبدد والقلب في جنبي يسكت ويتنهد
آه من لقاءك في أول يوم ومن رجاءيا ومن حبي آه
وآه لما بلغت آمالي وفرحت بك والجو صفالي
ومليت كاساتك وسقيتهالي

أشرب بإيدي كاس يرويني واشرب بإيدك كاس يكوييني
بات السرور كله بيني وبينك متقسم
وانزهر ويانا ينظر ويتبسم
والطير يغني لي والموج يقول وياه ... آه
يادي النعيم اللي وجدناه واللي دخلناه ... آه

.
.

ده الأنس كان انت والابتسام انت
ما احببش ده كله في يوم يضيع مي
واجري ورا ظله اللي اتبعه د عني

ما تقول لي في انت

آه ياللى أسست وهديت آه ياللى أضحكت وأبكيت
آه من رضاك وصدقك آه

(شمس الأصيل)

شمس الأصيل دهبث خوص النخيل يانيل
تحفة ومتصورة فى صفحتك يا جميل
والنأى على الشط غنى والقُدود بتميل
على هبوب الهوى لما يمر عليل
يانيل

يانيل أنا واللى احبه نشبهك فى وفاك
لانت ورقت قلوبنا لما رق هواك
ووصفنا فى المحبة هو هـ هو صفاك
مالناش لاحتنا ولا انت فى الخلاوة مثيل
يانيل

أنا وحبيبى يانيل نلنا أمانينا
مطرح مايرسى الهوى ترسى مراسينا
والليل إذا طال وزاد تقصر ليالينا
واللى ضناه الهوى باكى وليله طويل
يانيل

• • •

(راح فـين حبيبي)

الأولة آه .

والثانية آه .

والثالثة آه .

الأولة : فى الغرام والحب شبكونى

والثانية : بالامتثال والصبرأمرونى .

والثالثة : من غير كلام راحوا وفاتونى .

الأولة : فى الغرام والحب شبكونى • بنظرة عين •

والثانية : بالامتثال والصبرأمرونى • واجيبه منين •

والثالثة : من غير كلام راحوا وفاتونى • قولوا لى فىن •

راح فىن حبيبي

الأوله آه ... والثانية آه ... والثالثة آه

* * *

(نور محياك)

نور محياك الهنى ... يسرنى ... أشدى لك الأحلى

الناس لإحسانك عبيد ... الله يزيد ... قلبك علينا حنان

..

وينولك ماتشهى ... ولا ينتهى ... حسنك ولا الإحسان

نصيبك في الغرام . . . فوق المرام . . . دايما بلا حرمان
والأمر لك . . . والنهي لك . . . واللى ملك الاتنين يعيش سلطان

كل المحبين في هنا . . . إلا أنا . . . في الحب مالى نصيب
نصيبى جرح من الهوى . . . مالموش دوا يسبراً عليه ويطيب
إلخ . . .

(أهل الهوى يانيل)

أهل الهوى يانيل فاتوا مضاجعهم
واتجمعوا يانيل حبة وانا معهم
يطولوك يا ليل من اللى فيهم
وانت يا ليل اللى عالم بيهم
فيهم كير القلب والتمالم
واللى كم شكواه ولم يتكلم
واللى قعد بعد الحبايب وحده
وبات حزين يشكى هيامه ووجهه
يشكوا ولا الخلق سمع شكواهم
إلا الكواكب في السما سامعهم
يطولوك يا ليل ، بالسهد والأفكار
والشمس بعد الليل ، تطلع عليهم نار

وبعد طول الليل تعود لهم ياليل
ويسألوك يا ليل إمتى تعود ياليل

..

ناس من قلوبها تقول ياليل
وناس على الأرغول تقول يا ليل
إحنا ممانا بدر طالع في ليلة القدر
فيها حبيب القلب وافي ووفي الندر
هوه يقول ياليل ياليل واحنا نقول ياليل ياليل
وكلنا بنقول ياليل

(هوه صحيح الهوى غلاب)

هوه صحيح الهوى غلاب ما اعرفش انا
والهجر قالوا مرار وعذاب واليوم بسنة
جاني الهوى من غير مواعيد وكل ماده حلاوته تزيد
ما احسبش يوم حا ياخذني بعيد

وتمنى قلبي بالأفراح وارجع وقلبي كله جراح
إزاي يا ترى
أهوه ده اللي جرى
ما اعرفش انا

نظرة وكنت احسبها سلام وتمر قوام
أتارى فيها وعود وعهود وصدود وآلام
وعود لا تصدق ولا تنصاف
وعود مع اللى ما لو هش أمام
وصبر على ذلة وحرمان
وبدال ما أقول حرمت خلاص أقول ياربى زدنى كمال

إزاي يا ترى

أهو ده اللى جرى

ما اعرفش انا

إلخ

(دلال حبيبي)

(وهى القطعة التى كان ألفها ومات قبل أن يتم لحنها)

دلال حبيبي يحيرنى بس اروح على فيز

أقول له ملكتك قلبى خلى لى عطفى

قال لى لأ لتنين

حكم على أسير وياه والعيب فى هواه



الكراصة التي كتب فيها « يرم »
آخر ما سطره في حياته ، يقرأ فيها
أصغر أولاده .



بعض كلمات من أغنية « يرم » الأخيرة
« دلال حبيبي » بخط يده

خضعت له وبقيت أجاريه
في اللي أمر ييه

نعب الهوى ، دا جنان في جنان
ويا ريتيه ما كان

ويارب ما خليت كل عزول يقول ويقول
واللوم على واحد منين وألاقي منين
وقلت له عندك قلبي وخلي لي عقلي

قال لي لأ . . لتنين

. . الخ

وبرى القارىء في المقارنة بين هذه الأغنيات صور التباين التي أشرنا إليها .
ومن صور أغاني « يرم » على لهجات البدو عرض على القارىء أغنيات :
« غنى لي شوى شوى » و « برضاك » و « قول لي ولا تخبيش يازين » وهي من
الأفلام السينمائية التي اشتركت في التمثيل فيها « أم كلثوم » .

(غنى لي شوى)

غنى لي شوى شوى غنى لي وخد عيني
خليني أجول الحار تتمايل لها السامعين
وترفرف لها الأغصان والترجس مع الياسمين

وتسافر بها الركبان طاووين البوادی طی

شوی . شوی . شوی . شوی

غنی لی . غنی . وخذ عینی

المغنی حیاة الروح یسمعها العلیل تشفیه

وتداوی کبد مجروح تختار الأطبـا فیـه

وتخلی ظلام اللیل فی عیوب الحباب ضی

شوی . شوی . شوی . شوی

غنی لی . غنی . وخذ عینی

... الخ .

(برضاك)

برضاك یاخالق . لا رغبتی ورضای

وخلقت صوتی ویدك صورت أعضای

أبلغ بصوتی یاربی مقصدی ومنای

لما أناجيك . ولما تستمع شكواي

(قولی ولا تخیش یازین)

قولی ولا تخیش یازین ایشی تقول العین للعین

لما العین تشوف حبيب تقول له ولا تخشاشی رقیب

بعيد وصالك والا قريب
قول لى ولا تخشاش ملام
القبلة ان كانت للملحوف
الى على ورد الخد يطوف
ياخذها بدال الواحدة ألوف
ولا يسمع للناس كلام
ولا يخشى للناس ملام
..... الخ

وما أبرع « بيرم » فى نظم أغنية « البنفسج » التى غناها المطرب « صالح
عبد الحى » وهى قطعة من الأدب السامى فى جمال العبارة ، وقوة التصوير ،
بحيث تكاد تكون ومضة من ومضات الوجدان وتأتق القريحة المبدعة :

ليه يا بنفسج بنهم — ج
وانت زهر حزين
والعين تتابعك وطبعك
محتم — وزين
ملسوم وزاهى ياساهى
لم تبـروح العين
بكلمة منك كأنك
مر بين اثنين
حطوك خيلة جميلة
بين صدور الغيد

تسمع وتسرق ، يا أزرق
همسة الشهيد

* * *

ثم ينظم « يرم » للموسيقار الكبير « محمد عبدالوهاب » أغنيات تصور
طبيعة الريف ، في تكريم الفلاح ، والإشادة بمحصول الزراعة ، في قطعة عن
« الفلاح » ، وأخرى عن « البرتقال » ، وثالثة عن « القمح » .

(الفلاح)

ما أحلاها عيشة الفلاح
مطمئ قلبه مرتاح
يتمرغ على أرض براح
والخيمة الزرق سآراه

يا . . يا . .

يا . . يا . .

ولا يطلب شرط ومشروط

غير لبدة وعري وزعبوط

واللقة واكلمها ومبسوط

إكنه جايها بشقاه

يا . . يا . .

يا . . يا . .

(البرتقال)

ياللى زرعتوا البرتقال ياللا اجمـوه
آب الأواب ياللا اجمـوه
ياللا . . ياللا . .

ياما احلى ريحته بين الجنان
ياما احلى شكله عا الخد باين
دا الفص منه يسوى مداين
يزيد ويكثر البرتقال

احنا زرعنا واحنا روينا
وادی احنا بعد التعب جينا
تسلم ايدينا واللى علينا
يزيد ويكثر البرتقال

(القمح)

القمح	اليـلة	ليـلة عيده
يارب	تبارك	وتزیده
لولى	ومشبك	على عوده
عمره	مايخلف	مواعيده
يارب	تبارك	يارب
يارب	تبارك	وتزیده

وتجاوب « يرم » مع الثورة ، فتظم لها من قلبه أغنيات ، نعرض منها قطعة
« بعد الصبر ما طال » التي يقول فيها :

بعد الصبر ما طال نطق الشرق وقال
حققنا الآمال برياستك يا جمال
الشعب اللى رفع الراية لصالح الدين
أودعها يمين عبد الناصر ويمينه يمين
الشعب وراه والحق معاه
والنور أهو بان
والفجر أهو لاح والقلب ارتاح
والله معين

ثم أغنية « صوت السلام » التي صور فيها « يرم » براعة انتصار الشعب
على المعتدين في العدوان الثلاثي على بور سعيد :

(صوت السلام)

صوت السلام هو اللى ساد واللى حكم
على الدخيل اللى اندحر واللى اتهمزم
عدونا لما اعتدى قدمنا أرواحنا فدا
واستعجبت من بأسنا كل الأمم
ثلاث أمم يا بور سعيد متقدمة
بدبابات وطيارات تملا السما

الأولة : داخله البلاد مستعمرة

والثانية : بعد الانكار متجبرة

والثالثة : على العرب متأجرة

هدموا البيوت ، قتلوا النفوس ، وإنما

إحنا هدمنا عزمهم ، فى الشرق كله ، ومجدم

ثلاث دول جايبة القتاد لكنهم

متقدموش من بور سعيد ولا قدم

اسم السلام هو الى ساد واللى غلب
وبدنا الفالى على الأرض انكتب

لا يتمحى من أرضنا ولا يزول واحنا هنا
متمسكين بحقنا متسلحين بعزمنا
أعدانا شافوا البيئة

اللى بنوه فى سنين فى ساعة انهدم
شافوا العدا فى مصر عزم ومقدرة

شافوا النفوس تنباع والله اشترى

شافوا الهوان واتندموا عالى جرى

عادوا بالخذلان والممار والندم

وحيث عرضنا هذه الأمثلة البارعة للأغنية من إنتاج « بيرم » فقد يفيد أن
فنقل للقارىء كلمة ظهرت فى جريدة المساء للكاتب الأستاذ « جمال فكرى »
يعنوان ملامح من شعرنا الشعبي ، جاء فيها :

«...إن كلمات أغانيها بوضعها الراهن لا يمكن اعتبارها من الزجل في شيء على الإطلاق، فكلها شطرات، بعضها موزون مقفى، من الشعر العاطفى الدارج الذى يدور فى فلك واحد من الغراميات والتأوهات. أما مسائل المجتمع وتدريسها لرجل الشارع، وتبصيره بها وبطرق إتقانها وعلاجها بأسلوبه الدارج البسيط الذى يستخدمه، ويسهل عليه فهمه، والذى هو الجذر الرئيسى للفولكلور العربى، فقد توارت توارت فى رؤوس كتابها الموجودين، المقصرين، أطل الله بقاءهم وتوارت فى قبور كتابها الراحلين المجتهدين تفعدم الله برحمته.»

«لقد جرف تيار أغاني الحب المؤلفين الغنائيين، حتى «يرم» رحمه الله فى السنوات الأخيرة، ولكنه الوحيد الذى أخلص للزجل فى ألفاظ أغانيه وأوزانها.

«أما إخواننا الآخرون، من مؤلفى الأغاني، والذين زاد عددهم جداً، فتسعة أعشارهم كتبوا، ويكتبون، وسيظلون يكتبون، فى حيز لا يزيد على مائة أو مائتى كلمة عاطفية. كلما جمع منها قدر بترتيب معين نتجت منه أغنية توأم لسابقتها ولاحقتها. فظلت، وستظل أغانيهم تكثر وتكثر، دون أن يستعملوا أكثر من هذه الكلمات المحدودة فى ثروتهم اللفظية للحب والغرام، ودون أن تزيد قوافيهم على أصابع اليدين على أكثر تقدير، وموازينهم على أصابع اليد الواحدة.»

* * *

وإذ ننهى من هذه الإشارة الجميلة الصادقة، للأستاذ «جمال فكرى»، تظل علينا قطعة ليبرم، كتبها بعنوان «أهل المغنى»، وصور فيها، من عهد بعيد، مأساة الأغاني عندنا، وكأنه ينطق بلسان الكثيرين ممن تثيرهم هذه المأساة:

يا اهل المغنى دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت لله
داحنا شعبنا • كلام ما له معنى • ياليل وياعين ويا آه

طلعت موضه • غصون وبلابل • شابط فيها حزين
شاكى وباكى • وقال مش عارف يشكى ويبكى لمن
واللى جابت له الداء والكافية طرشة ماهش سامعاه
يا اهل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت لله

ردى عليه ياطيور ينادى وارمى له الجناحين
وانت كمان يا وابور الوادى • قل له رايح على فين
قل له اياك يرتاح يا وابوره ويريحنا معاه
يا اهل المغنى

كل جـدع فرحان بشبابه يقول فى عينيه دموع
ياللى جلبتى شقاه وعذابه حلى لنا الموضوع
طالع نازل • يلتقى عـوازل • واقفة بتسناته
يا اهل المغنى

حافظين عشرة اتناشر كلمة • نقل من الجرنال
شوق • وحنين • وأمل • وأمانى • وصد • وتيه • ودلال
واللى اتعاد يتزاد يا اخوانا ليل وهار هواه
يا اهل المغنى • دماغنا وجعنا • دقيقة سكوت لله

الصور المختلفة فى أقوال بيرم

لبيرم من إنتاجه ألوان متعددة من المنظومات ، شعراً وزجلاً . وقد يبلغ إنتاجه فى مدى حياته قرابة عشرة آلاف قطعة ، أغلبها جيد . وبعضها من القوة بقدر يبلغ حد الإعجاز .

ومن منظوماته ما هو قصير مختصر ، وما هو مطول .
وبعض هذه المنظومات يشبه الفيلم السينمائى فى سرد القصة ، وتصوير الحوادث . والبعض الآخر لقطات سريعة هو فيما أشبه بالمصور الصحفي الذى يصور الحادثة أو المناسبة تصويراً مجتمعاً فى لوحة واحدة .
ونختم هذا الكتاب بعرض أمثلة من بعض هذه الألوان .
فن نوع التصوير السينمائى :

(أودة للإيجار)

شهرين أدور وادعبس فى البــــلاد على بيت
للأجرة دور عالسطوح أو أودة أرضى ياريت
بالاختصار إنى برضك بعد ما لقيت
على مشايخ الحــــوارى والسماسة لقيت
خبطت عالالباب واسمــــه بيت على العلاف
فتحت فى إيدها الأساور واحدة قلت عواف

ما هـنـا هـنـاسـى عـلى ، قـالـت دافـى الأرياف
وعـاوـزـه لـيـه قـلـت ؟ مـسـتـأجـر هـنـا انـدـلـيـت
قـالـت دى أودـة يا خـويا فى الدـور المـسـجـور
زايـدة عـلـيـنا ، واهـى . فاضـية سـنـة وكـسـور
الافـندى عـاوـز يـسـكـنـها أـمـير مـقـصـور
ولـك مـرة وـالا عـازـب ، قـمـت أنا كـحـيـت
قـلـت لـها عـازـب يا سـتى إنـما صـايـن
دـيـنى وعـنى اسـألـوا ، قـالـت أهـو بـايـن
إن كـنـت لك رـغـبة إدخـل حـضـرتـك عـايـن
خـشـيت ، وسـكـت ورايـة بـمـد ما سـمـيت
الـسـت فـوق صـدرها التـوب الحـريـر زايـناه
والطـرحـة فـوق صـدغـها زى القـمـر فى سـمـاء
وحـرفـها بـالقـور والحـريـر شـاغـلاه
رأيت أنا الشـكـل دغـرى عـا النـبى صـلـيت
بـصـت ، وقـالـت تـعالـى عـن يـمـيـنـك خـش
شـقـتـنا قـبـله ، وشـوف بـيـت الأدب والـدش
قـلـت لـها انا كـل شـىء مـقـبـول عـشـان دى الـوش
إيـاك يـكـون لى نـصـيب ، قـالـت : يا خـويا يـارـيت
الـدش أهـه يا ضـنـايا لو تـحـب حـمـوم
وتـجـيب غـسـيلـك إذا مـرة قـلـمت هـمـدوم

وأى شيء يلزمك خبط على أقوم
 أفتح لك الباب ، ولو وش الصباح خشيت.
 خشت ، وفاتنى وحدى فى الصالون مدة
 جابت معاها بقى المفتاح والعدة.
 والأودة دى عا السلام قفلها صدى
 ساعتين تعافر ، وآخرتها افتتح بالزيت
 رأيتها زنزاة فيها بالكثير مـتـرـين
 وملة متدغدغة ، وقفاص ، وصحارتين
 والعنكبوت اللى بيهندس قاسمها دورين
 رأيت أنا الشكل ده دعزى أنا انخضيت
 ضحكت وقالت: دى مهجورة بقى لها كثير
 ركك عليها اما تنبيض بحبة جـير
 وشين ثلاثة و بلاطها يتمسح يأمـير
 يصبح حبايبك عليها . قلت والله هويت
 (بستان وندمان ياريت الحبيب معنا)
 ولـمـا نلقى الحبيب نلقى العى معنا
 ياعين آدى الى انتى طالباه بس يمنعنا
 منامة تعمى المفتاح . آه ياريتنى ما جيت

(المــــأذون)

فلاح مجـ.....اور فتح مكتب خطيب مأذون
يجوزك بالمقــــاولة ، والا بالعربون
شاف الوظائف عـــــــيرة ، والمهايا دون
قال كل مكسب يكون عند الرب صابون

استفتح الشيخ في أول ما اشتغل بطلاق
حرمة أميرة ، وجوزها سيء الأخلاق
والقاضي يحكم في شرع المسلمين بطلاق
على المرة المحرمة ، والراجل الملعون

الست من ناس زمان ، صاحبة أدب وكال
م الحشمة دول اللي لا لبة ولا خلخال
واللي ما أعطاهما صبغة ما عطاها مال
يكفى التقى والصلاح ، والملح والكمون

كان المجاور عبيط عمره ما شافش حريم
من يوم ما أزهر لفاية ما انتهى التعليم
شاف المرة حشمة لا خاتم ، ولا مباريم
قال ما شاء الله كان ، واللي ما شاء ما يكون

والله كان حج جوزك ده ييوس رجلك
لكنه فاسج ، لا يصلح لك ، ولا يليج لك

لازم أشوف لك أنا راجل أمير مثلك
م اللي يحافظ على عرض النسا ويصون

قالت أنا واحدة لا أبيض ولا أحمر
عايزا لى راجل لا يتمرقع ولا يسكر
يعرف مقامي ، ولا يبرم ولا يسهر
وانشا لله آكل معاه ملح وبصل وزتون

بقت تروح للمجاور كل يوم نوبتين
ولحد ما شاف لها راجل مضى شهرين
راجل توفت مراته ، وخلقت طفلين
عايز لهم واحدة لوخان الزمان ما تخون

قال له المجاور أنا عارف مرة حرة
عيني ما شافت كده أحرار بالمرة
ويتها مليون نابوليا من ———— لاد بره
رأيتها لما انتهت م الراجل الجنون

فيها البساط بس وحده يفرش الجامع
ودولاب عجيب من أوروبه من خشب لامع
وبعلها ، لما كان في غفشا طامع
رهن كراسيها عند الجهوجي أنطون

أبو العيال بات ليلتها على المرة عاقد

والمهر كله ثلاثة جنيه ، وراح نساقد
وبعدها بجمعة ، كان في حضنها راقد
شاف لك دى حنة مرة أنشف من العرجون
الين نحل جسمها والمم كاويها
والقهر راخر متمم شغلته فيها
والموت هجم عا الحبايب من حوالها
خلا الغريب والحبيب تحت التراب مدفون
فى لـ الدخلة لابة له القميص ساتانية
والشنتيان فوقه ، والبالطو القطيفه عليه
اسود طويل للقدم ، تفصيل كمال ، وايديه
بكر ك أبيض عريض والصدر بالكبسون
أما المويليا اللى كان طائر بها الأستاذ
صندوق بسبعين ، وستاشر صفيحة جاز
فارغين ، وفوقهم قباقيبها ثلاث تجواز
وبرمة فخار ، ودفاية ، وست صحون
وكليم مخطط على مبرد صميدى عتيق
لو ينفرش فى الميايم عا الدكك ما يابق
وشلتين قش كاسيام بسديى غميق
والطشت وبا الكراسى من سنة مرهون

صبح العريس يلتقى الراجل يستنظر
عائز الحلاوة خروف ، ينحط فى أنجر
ضحك ، وقال له : نهارك يا عريس أزهر
قال له : بهار زفت متقطن ياشيخ ينسون

إن كنت تهوى الكمال والجد والعفة
ولوتكون فى عظام تنحط فى قفة
ما كنت تبقي يا بومعشر وتلفها
يا تشوف لها فى البلاد راجل ما لهشى عيون

قال المجاور مادام ما انتش بجا مبسوط
لا الباب مسر ، ولا جبل الحمار مربوط
طلجها حالاً ، وانا اجيب لك مرة بشروط
ترضيك ، ومجسودى انك تبجي عندى زبون

(جوازة)

ما تشوف الا الهيصه والموكب متحضر
أربعين حنطور تسد السكة واكثر
اللى باصفر ، واللى باحمر ، واللى باخضر
واللى حاطة حزوق فى صدر الجلاية
واللى جايبه نفيسة والسيد معاها
واللى صاحبة الحلو ، أو محسن وراها

واللى رابطـة عنـيـها ، ومعـاها دواها
واللى فاتـحة الصـدر بـترضـع بهيـة

يبقى يوم منه عزومة ، ومنه فرجة
والمرّة جـوه الستارة ، ورأسها خارجة
وان شافت دكان مزين ، والا سرجة
تفقع الزغروقة ، من رأسها القوية

أما يتكم يا بطل ، وانت اللى عالم
بس لو ساع العروسة والعـوام
واللى تتأخر تشرف عا السلام
والهاموش تحت السقيفة البرانية

العريس يدخل ، وتسلم الجماعة
واما يبجي الأكل تتحط البتاغة
خـمـسـة ، مسروعة يا كلـوا فى ربع ساعة
أرـمـن ، حـلـة خـضـار ومهلبية

كل صحى يشطبوه ، أمك ترصه
واز، فضل فى العضم شىء أختك تمصه
واللى يفضـل نصه للكناس ونصه
للمرة بتاعت الحـلـاة السـمـيـة

ومن نوع اللقطات التصويرية :

في السياسة :

(إسرائيل)

دول عظمى الى باعناها ، في أرض المسلمين تفتح
غنيمة كلها لكن ، بأرض القدس نستفتح
وتحرق زى ماتحرق ، وتدبح زى ماتدبح
معاهـا ألف طيارة ، ومليون تنك متصفح
عالمكم يا عرب يومى تشن الفارة أرضية
ولسه يا عرب جاية بفاراتها السماوية
ويومها العم لال هرو حايعت شكوى رسمية
لجمعية أمم تضحك ، ومجلس أمن يتنحنج
حاربناهم ، وهادنا ، وفاوضنا ، وجربنا
ولما نشكى نوبة ، على الشكوى تأدبنا
ياتزحف فوق أراضينا ، يا تتوقع وتضربنا
ولا ايدن، ولا تشرشل ، يسأل عن كلاب تنبح
يا اسرائيل ، ويا تشرشل ، ويا ايدن ، ويا غيرهم
٢٠٠ مليون بتتضرع ، ليوم الهول عساكرهم
٢٠٠ مليون مهاب الحرب يكفاهم خناجرهم
٢٠٠ مليون منى عيها في أنهار الدما تسبح

(يا عايق)

إيدن يا عايق ، حبت الحزب دى عىاقه
وبعت شعبك لناس للموت مشتاقه
تحسبها فى بورسعيد والمنزلة خناقه
لقيتها مدح وأجسادك غم فيها
أف بقى عا المراييه صلح الياقه
(حاترد لك)

فرنسا وانجلترا رايحين فى خراة
وانتى اللى فاضلة يا إسرائيل يا جارة
يا اللى علينا فى ليل وهمار مندارة
غارات حاترد لك غارة ورا غارة
(يا مجرمين)

ست البحار فى قنال شبرين غرقانة
إهانة يا انجلترا ما بعدها اهانة
يا مجرمين باللى جيتونا على خيانة
الدنيا فى الحرب شايفنا كم وشايفانا
(الحمد لله)

فى أرضنا وبسواعدنا القنال آمد
ميراثنا أصله لنا من عند سابع جد

وفيه سفن كل دولة ماشية ماتنصد
قالوا بلاش مرشدين من عنــــــدم بنهار
الحمد لله ياــــيديهم أهوه اند

في الاشتراكية :

(الجمانيين)

ناس تملك الطين ، وناس غيرهم عيشتهم طين
مع إن ربك خلقنا كلنا من طين
لا الشرع يحكم بدى القسمة ، ولا القوانين
اللى لنفسك تحبه أطلبه للناس
مش حب نفسك لوحذك ، واحرم الملايين ؟

(بائعة الفجل)

بياعة الفجل أحسبها من الأبطال
اللى لهم فى المداين يتنصب تمثال
فى الليل وفى شهر طوبوة ، والهوا قتال
والناس فى نومه ، وبتنادى على الأكال
راضية برسمال ومكسب كله نص ريال
وتسأل الله من فضله يديم دى الحال
فين الكرامة اللى ضاعت منكم يا رجال
ياللى استحيتم ، وفريتم من الأشفــــال

لو كان سليل الأماجد يشتغل عتال
أو الأفندي يكون جزار أو بقال
ما كانش في كل ناحية في البلد بطل
يمد إمد السؤال للسادة والأندال

(الطهقان)

في فصل الصيف يفوت بيته لرأس البر أو لبنان
وفي فصل الشتاء يرحل ، من أكتوبر على أسوان
وتعجب على الإنسان ، بكتر المال يعيش طهقان
لا هو طايق يكون حران ، ولا طايق يكون بردان

تشوف القصر وجنيتته ، تقول ياجنة الكافر
عليه بواب ، وطقم كلاب ، بتهارس وتعاقر
تقول يا قصر فين صاحبك ، يقول لك من زمان سافر
في كارلسباد إلى فيشي ، ومن فيشي إلى ايفان

أحب البرد في طوبة ، وأحب البرد في بؤونه
وعندى للشتا أودة ، وليلة الحر بلكونه
ولولا الدنيا تتغير ، لكنت دنيا ملعونة
لنسقط حكمة الإنسان ، ونحيا حكمة الرحمن

(السمار)

لا هو يمحرت ، ولا ييدر	ولا يحصد ، ولا يجمع
ولا يسبك ، ولا يطرّق	ولا يخرط ، ولا يقطع
ولا يشحن ، ولا يخزن	ولا يوزن ، ولا يندفع
وهو الغاتم الأسلاب	وغيره يضرب المدفع

وسيط بين اليقين يدخل	وهو السيد المالك
إذا السوق ارتفع سالك	وإذا السوق انضرب سالك
وغير مستول عن التالف	وغير مستول عن المالك
وبالتليفون يجيب مليون	وميت مليون ، ولا بشع

غراب ينمق على المحاصيل	وبوم في ساحة البورصة
وأفى تجعل المقروص	يخش القبر في قرصة
وله يوم الصعود فرصة	وله يوم النزول فرصة
وهدم بيوت ، وخلق تموت	بحسرة وهو ممتع

تشوف عمارات شقة هامات	وكل عمارة وعمارة
من الأعيان لها سكان	تزيد عن أيها حارة
عمارة مين ، ياعم ياسين ؟	« إمارة مسيو » دواره »
ما فيش في مصر من شكله	ولا أشطر ، ولا أجدع

في الإصلاح :

(الموظف)

يقعد على مكتبه عارف مقام منصبه
ووجهه دا يقلبه قلبه صحاب المرزب
يلعن في خاش السعاة والى ما ودوش عشااه
أما التلفسون هراه بالدق من غير سبب
وأم القوام سمهرى لها الكلام الطرى
ويخش له المبقرى يستقبله بالفضب
هخاص ويبيع كلام عمل رفيع المقام
يقبض مرتب حرام من جيب يتوع العنب

(الجاهير)

إن كنت ترضى المزارع ، يفضب السمسار
واذا رضيت الكياوى يزعل النجار
واذا مسكت الحرامى تزعل الفجار
واذا تركت الحرامى تزعل الأبرار
وانت الى تسهر وتشبع أمتك تشخير
وأكثر الناس ، وقايل لك إله الناس
« لا يشكرون » حتى لو خدك عملته مداس

« لا يعلمون » الى يخدمهم من المخلص
خليك مع الله ، تلاقى الصالحين وياك
الصالحين لويقلوا ، فى المهمة ، كثير

(نصائح)

إسلك طريقة الرشاد ، وأترك طريق الغش
ما تشتريش بندقية ، وتختفى ، وتنش
ولا تمشى حافى ، ولا تجمع طعامك مش
حفظ الكرامة ، وحفظ الصحة ، شىء واجب
أحسن ما تفعل تصر القرش فوق القرش
إحسن معاملة أجيرك ، يالى كنت أجير
ولا تجعلوشى أسيرك ، يالى كنت أسير
الرحمة بالخلق عند الله جزاها كبير
والشح ، والانتقام ، والظلم ، له آخر
ندامة فى الدنيا ، والآخرة حساها عسير

(أبواب جهنم)

قالوا لنا النار لها أبواب ثمانية حديث صادق وثابت عن نبينا
فأول باب - لسانك لما يشتتم فى عرض الناس بالنفية المشينة

وتانى باب — عينك لما تنظر بشهوة للرشيقة وللسمينه
وثالث باب — إيدك لما تسرق وتنشل م الجيوب وم الخزينه
ورابع باب — رجلك لما تسمى إلى الكباريه ، أو صالة سارينا
وخامس باب — ودنك لما تسمع كلام الفحش ، والنكته المهيئه
وسادس باب — بطنك لما تشبع بأكل السحت ، والخرقة اللعينة
وسابع باب — عقلك لو يدبر مؤامرة تجعل الميه طحينه
وثامن باب — لا يذكر باسمه بأمر اللى سبل ستره علينا
ثمان أبواب مفاتيحها ثمانية وليل ونهار نفتحها بأيدينا

(حقوق التأليف والفنان)

الروس ، وتعرف سيادتك يعنى إيه الروس
قطم — وارهوس القياصرة بالبلط والنفوس
وحطوا للفن أه — ل الفن فوق الروس
والفن نور ، والمؤلف فى ظلامها فانه — ووس
الشعب يع — ر ف وراه من يتبعه ويدوس
والشعب يسهر معاه فى المنزل المأنوس
يا خسارة يا بن العرب ، عايش ذليل مكبوس
ويقولوا حشاش ، أو صعلوك ، أو ملحوس

شوفوا مدير الإذاعة العالم الفضال
الى الفنون والآداب عقدت عليه آمال

أول بشارة ابتـداها للمؤلف قال
إوعك تيجي لنا هنا يا ناظم الأزجال
عايزتؤلف تقابل فاطمة عبد العال
إكتب لها ملحمة ، وخذ منها نص ريال
وفاطمة مديونة للجزار والبقـال
ودائرة تشحت كلام من أيها زجال
وتستلف أجـرة العواد والطـبال
ياذاكم لو تخوضوا في القنوب يا رجال

(مطالعات)

قريت ، ومليت كفاية	خوف القسوط ، والبطالة
وكل ما ازداد قراية	بالدنيا ازداد جهالة
يا طالب العلم تنداس	لو يبقى علمك بضاعة
تنفع وتستنفع الناس	لو كنت صاحب صناعة
يا عالم ، العلم بالله	يزيد في نور البصيرة
واللى استنـارت نواياه	يلقى الذهب في الحصيرة
إن كنت تطلب رضى الله	يجعل لك الناس عبيدك
وان كنت تطلب رضى الناس	أقلهم يبقى سيـدك



أحدث صورة للمرحوم
« محمود بيرم التونسي »

سجل بانتاج بيرم في حياته الادبية

ليرم من الانتاج الأدبي — كما قلنا — ما يقرب من عشرة آلاف قطعة من الشعر، أو الزجل، أو القصة، أو الأغنية. ومن المتعذر إمكان جمع كل هذا الإنتاج، لتفرقه في شتى الصحف، ولأن كثيراً من أصوله قد ضاع بالاهمال، وبعوامل أخرى أشرنا إليها في هذا الكتاب.

ولم ينشر ليرم في حياته من إنتاجه إلا ديوانان وكتاب عامي اللغة. ومنعه الفقر، وتعتت الناشرين، عن متابعة النشر. ونوه عن أحجائه في ذلك بكلمة قال فيها (من منذ سنين طويلة) :

« إن جملة ما كتبت في الصحف الكبرى (وحدها) لا يقل عن ألف قطعة، لا يمنعني من نشرها في مجموعة إلا عدم وجود الناشر الذي يقنع بنصيبه، ويترك للمؤلف نصيبه. فالناشر يصادر الكتاب ليحوله إلى أملاكه، نظير ثلاثين جنيهاً تقريباً، يدفعها جزافاً، ولا شيء بعدها ! »

ونقدم إحصاءاً عابراً لبعض إنتاج بيرم، مما تمكنا من حصره، لنعطى به فكرة عارضة.

مؤلفات مطبوعة :

ديوان بيرم التونسي (الجزء الأول)

ديوان بيرم التونسي (الجزء الثاني)

السيد ومراته في باريس

مؤلفات لم تنشر :

السيد ومراته في مصر

المقامات

نشاطه في الصحف

مجلة المسلة

صاحبها ورئيس تحريرها:

» » »

مجلة الخازوق

كاتب فيها

مجلة الاكسبريس

محررها مدة عامين

صحيفة الشباب (بمصر)

كاتب فيها

كاتب فيها

جريدة الزمان (بتونس)

صاحبها ورئيس تحريرها:

» الشباب »

كاتب فيها

مجلة الكشكول

» »

» الفنون »

» »

» المطرقة »

» »

» الإمام »

» »

» أبولو »

» »

» النيل »

» »

» الاثنين »

مجلة روز اليوسف	كاتب فيها
» الصباح	» »
جريدة المصرى	» »
» الأخبار	» »
» الجمهورية	» »
مجلة ياهوه	مشارك في تحريرها واصدارها

روايات

سلامة	عقيلة
دنانير	أحكام العرب
شهر زاد	سلطانة الصحراء
عنتر وعيلة	شاقون
رايحة	حوار رواية الشيخ متلوف
طبخة بريمو	أوبريت ليلة من ألف ليلة
سفينة الفجر	» يوم القيامة
مايسة	عدد من القصص القصيرة للاذاعة

اذاعات

سلسلة تاريخية من عهد المماليك	حلقة الظاهر بيبرس
ملحمة محمد على	كرسى البرلمان

بنـت بحرى (٣٠ حلقة)	حلقة عزـزة ويونس
بنـت السلطان (لمسرح العرائس)	بنـت البادية
مهرجان ابليس (للتلفزيون)	عشرة ملوكى

فى السياسة الداخلية (منظومات)

قدوم الرئيس	الثورة المصرية ١٩١٩
الأحزاب	استقلال على باشا
اتحاد الأحزاب	أوامر على باشا
المختلط	اللورد ملتر
القرن العشرين	زعماء
فى السكة الجديدة	الحماس
يوم الحداد	عطشان يا صبايا
العودة	يامصرى
من يارك ليون	الامتيازات

قصة السيد البدوى و ابراهيم
الدسوقى وسعد زغلول السياسى

فى السياسة الخارجية (منظومات)

يا مجلس الأنس جينا	سياسة مدبرة
--------------------	-------------

أنا اتلبيت

مصر حنة من أوربا	خلافة بنى عثمان
الشرق	هجوم اليونان على الترك
ميمم الأمم	الجيش وقع فى نصف ساعة أسير
احتلال سوريا	اسرائيل
عبد الكريم	يا عايق (لايدن)
مؤتمر روما النسوى	الحمد لله
يا أهل السودان يا عرب	يا مجرمين
حاتر لك	

على الأرمول (منظومات)

حياتى	دخلت راجل
غنيت	
من ليمانك	السلوك
الفلاح	المفاوضات

على الربابة (منظومات)

رياضة	حرب الترك والروم
المنبوذين	زواج قنزيلوس
اللورد ملتر	هزيمة اليونان
الشهادة	معاهدة الترك والروم
فرنسا	أبواب جهنم

في المرأة (منظومات)

علموا الجنس اللطيف تدير منزلي

هوليود المرة الحافية

أطفال باريس

رثاء (منظومات)

شوقي توت عنخ آمون

حباج ودوس (الطياران) سيد درويش

ذكرى سيد درويش

صور من المجتمع (منظومات)

زوجة السجان أم خليل

فيكتور حامد عاشور

الجماعية الحاج جابر

الفقر الأسطى على منصور

حانة مائولى أم فايق

خليل المنزولجي جوز فهمة

المأذون دكان مرسى

نابى بيت رصوان

ابن نظلة تاجر دقيق

المؤلف فى التربة حطت ثمانية

صعیدی فی باریز	لوكانة الحاج سالم
ریا وسكينة	أختین شقایق
المجايز	جواز
زفة المطاهر	ركاب سوارس
فريحة يقبض ويحصل	تاجر خضار
تنزل على لحم الخنزير	الولادة
مراقص الزنج	البصارة
	بنات بحرى

نقد (منظومات)

ايه نابنا بعد الحروب	ناظر الوقف
الخدام	الاختلاسات
على محمد شحاته	الاكتاب
بردون يا شعراوى	دونهارو
الإقطاع	مونبيليه
حا آجمن	شوفى لنا بنت الحلال
الرب	القاهرة فى الصيف
ستاتنا	مدارسنا ومدارسهم
القطر	بعثات
فى الطريق	محطة الإذاعة
الدواوين	الصعايدة
أعوذ بالله	دوسيهات الدواوين
الموظف	الحسن جنة لويجمع الأدب وياه
السمسار	الست الطاهرة
الطهقان	صدقة
حواديت	خير وشر

فلسفات (منظومات)

الحب	القن
الميون	الورد
يا مصر	النسوان
غاندى	المطرب
شغل الحكومة	بين القبور
العامل المصرى	عزرائيل
اللت والمعجن	يا اهل المغنى
السيارات	من كلمة هايفة
انقواكه	خسان
مسيح الخالق	الزحام
أبناء آدم	الجاهير

المقامات (منشورات . ومنظومات) وهى أكثر من مائة

المقامة القلوسية	المقامة القرشصاغية
» الرغبة	» الجنيهاتية
» العيشية	» الصندوقتية
» الشوالية	» الاقتصادية
» الحجابية	» البيجامية
» الليلية	» الاسفنجية

المقامة الفلسفية

- » السرية
- » البربرية
- » الريفية
- » الزيبية
- » الأفوكاتية
- » الأفندية
- » النحاسية
- » الترموائية
- » الفلوكية
- » المنصورية
- » الوطنية
- » البرلمانية
- » الفرنجية

المقامة المنبرية

- » السفورية
- » الشتائية
- » الشعرية
- » الكانونية
- » البريدية
- » الهراوية
- » الشيطانية
- » الرأسية
- » الترزية
- » اللومانية
- » الحربية
- » التحريرية
- » الطابعية
- » الأمريكية

فوازير رمضان

٩٠ فزورة أذيعت في ثلاث سنوات أيام شهر رمضان .

الأغاني

مقطوعات غنائية لبعض الراقصات

- | | |
|----------------------------|------------------|
| أغاني لأم كلثوم | في الصالات |
| أغاني كانت تلقى في الصالات | أغاني لسيد درويش |
| » لفريد الأطرش | » لأسمهان |
| » لصالح عبد الحى | » لعبد الوهاب |

تحية لفنان الشعب

محمد بيرم التونسي

ما كان فنك . . هذا الفن . . بالزجل
لكنها حكمة من سائر المثل ؟
شعر . . ولكنه للشعب في لغة
مما يحدث هذا الشعب من أمل
آماله صفتها بحرأ وقافية
وصفت آلامه في أنة المثل
حاربت طغيان من كانوا جبابرة
أيام شعبك ما في الشعب من رجل
وقد نفوك ، فلم تضعف لنا إزالة
وعشت في النفي مثل الشمس في نزل
لا البعد يمنع عنا من أشعتها
ولا الأشعة ، يا ابن الشمس ، في كل
لك البطولة . . لولا أنها أدب
قلنا الزعامة كانت منك في بطل
وعدت للنيل ، مثل النيل ، دافقة
أمواهه بحياة الشعب من أزل

شمس الأصيل قصيد لا يجود به
من عاش للشعر طول الدهر في شغل
غنى الزمار بها لحناً وقافية
شعراً من النسق الأعلى ، على زجل
وكل ما قلت من أغنية أدب
غنى الزمار به من دعوة الأزل
باق على الخلد ، يسمو بالعللا صعداً
ويستحث خطى التاريخ في عجل
يا نفحة من سماء الخلد في نغم
للخلد ألبانها من صيحة الأول
يا فيلسوفاً مضى غنى لغايته
ومن معانيه ما قد جل في المثل
لله أنت حياة كنت تبعثها
وأنت في الخلد منها أنت لم تزل
ما زلت حياً بما قدمت من عمل
وقد مضيت . . فيا لله من عمل
تحية لك بعد المسوت نابعة
من الحياة التي خلدت في المثل

الربيع الفزالي

للمؤلف

١٩٢٢	طبع	الفنون الجميلة قديماً وحديثاً
١٩٢٣	»	بين الأطلال
١٩٣٢	»	المرأة المصرية قديماً وحديثاً
١٩٣٢	»	الزخرفة المصرية القديمة (بالاشتراك مع الأستاذ يوسف خفاجي)
١٩٣٤	»	الحب بين القلب والعقل
١٩٤٧	»	الشباب (بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ حسن إبراهيم)
١٩٤٧	»	الحرية »
١٩٥٨	من سلسلة بلادى	الوطن العربى
»	»	القاهرة ١
»	»	القاهرة ٢
»	»	دمشق
»	»	القدس
»	»	صنعاء
»	»	النيل
»	»	القيضان
»	»	سيناء
»	»	ديرسانت كاترين

١٩٦٠	طبع	من سلسلة بلادى	قلعة القاهرة
١٩٥٩	»	من سلسلة عالم المعرفة	فى القطار وفى السيارة
»	»	»	فى الطريق
١٩٥٨	»	دراسات مصرية قديمة	أرض المجد
»	»	(بالاشتراك مع الأستاذ زكى سعد)	
»	»	»	مصر
»	»	»	أوراق البردى
»	»	»	الجعران

تحت الطبع

توت عنخ آمون الملك الشاب
هل أنت جميلة ؟
الشعب الضليل امرائيل
سيدنا الحسين

الناشر

سجل بانتاج بيرم في حياته الادبية

ليرم من الانتاج الأدبي — كما قلنا — ما يقرب من عشرة آلاف قطعة من الشعر، أو الزجل، أو القصة، أو الأغنية. ومن المتعذر إمكان جمع كل هذا الإنتاج، لتفرقه في شتى الصحف، ولأن كثيراً من أصوله قد ضاع بالاهمال، وبعوامل أخرى أشرنا إليها في هذا الكتاب.

ولم ينشر ليرم في حياته من إنتاجه إلا ديوانان وكتاب عامي اللغة. ومنعه الفقر، وتعتت الناشرين، عن متابعة النشر. ونوه عن أحجائه في ذلك بكلمة قال فيها (من منذ سنين طويلة) :

« إن جملة ما كتبت في الصحف الكبرى (وحدها) لا يقل عن ألف قطعة، لا يمنعني من نشرها في مجموعة إلا عدم وجود الناشر الذي يقنع بنصيبه، ويترك للمؤلف نصيبه. فالناشر يصادر الكتاب ليحوله إلى أملاكه، نظير ثلاثين جنيهاً تقريباً، يدفعها جزافاً، ولا شيء بعدها ! »

ونقدم إحصاءاً عابراً لبعض إنتاج بيرم، مما تمكنا من حصره، لنعطى به فكرة عارضة.

مؤلفات مطبوعة :

ديوان بيرم التونسي (الجزء الأول)

ديوان بيرم التونسي (الجزء الثاني)

السيد ومراته في باريس

مؤلفات لم تنشر :

السيد ومراته في مصر

المقامات

نشاطه في الصحف

مجلة المسلة

صاحبها ورئيس تحريرها:

» » »

مجلة الخازوق

كاتب فيها

مجلة الاكسبريس

محررها مدة عامين

صحيفة الشباب (بمصر)

كاتب فيها

كاتب فيها

جريدة الزمان (بتونس)

صاحبها ورئيس تحريرها:

» الشباب »

كاتب فيها

مجلة الكشكول

» »

» الفنون »

» »

» المطرقة »

» »

» الإمام »

» »

» أبولو »

» »

» النيل »

» »

» الاثنين »

مجلة روز اليوسف	كاتب فيها
» الصباح	» »
جريدة المصرى	» »
» الأخبار	» »
» الجمهورية	» »
مجلة ياهوه	مشارك في تحريرها واصدارها

روايات

سلامة	عقيلة
دنانير	أحكام العرب
شهر زاد	سلطانة الصحراء
عنتر وعيلة	شاقون
رايحة	حوار رواية الشيخ متلوف
طبخة بريمو	أوبريت ليلة من ألف ليلة
سفينة الفجر	» يوم القيامة
مايسة	عدد من القصص القصيرة للاذاعة

اذاعات

سلسلة تاريخية من عهد المماليك	حلقة الظاهر بيبرس
ملحمة محمد على	كرسى البرلمان

بنـت بحرى (٣٠ حلقة)	حلقة عزـزة ويونس
بنـت السلطان (لمسرح العرائس)	بنـت البادية
مهرجان ابليس (للتلفزيون)	عشرة ملوكى

فى السياسة الداخلية (منظومات)

قدوم الرئيس	الثورة المصرية ١٩١٩
الأحزاب	استقلال على باشا
اتحاد الأحزاب	أوامر على باشا
المختلط	اللورد ملتر
القرن العشرين	زعماء
فى السكة الجديدة	الحماس
يوم الحداد	عطشان ياصبايا
العودة	يامصرى
من يارك ليون	الامتيازات

قصة السيد البدوى وابراهيم
الدسوقى وسعد زغلول السياسى

فى السياسة الخارجية (منظومات)

يا مجلس الأنس جينا	سياسة مدبرة
--------------------	-------------

أنا اتلبيت

مصر حنة من أوربا	خلافة بنى عثمان
الشرق	هجوم اليونان على الترك
ميمم الأمم	الجيش وقع فى نصف ساعة أسير
احتلال سوريا	اسرائيل
عبد الكريم	يا عايق (لايدن)
مؤتمر روما النسوى	الحمد لله
يا أهل السودان يا عرب	يا مجرمين
حاترد لك	

على الأارغول (منظومات)

حياتى	دخلت راجل
غنيت	
من ليمانك	السلوك
الفلاح	المفاوضات

على الربابة (منظومات)

رياضة	حرب الترك والروم
المنبوذين	زواج قنزيلوس
اللورد ملتر	هزيمة اليونان
الشهادة	معاهدة الترك والروم
فرنسا	أبواب جهنم

في المرأة (منظومات)

علموا الجنس اللطيف تدير منزلي

هوليود المرة الخافية

أطفال باريس

رثاء (منظومات)

شوقي توت عنخ آمون

حباج ودوس (الطياران) سيد درويش

ذكرى سيد درويش

صور من المجتمع (منظومات)

زوجة السجان أم خليل

فيكتور حامد عاشور

الجماعية الحاج جابر

الفقر الأسطى على منصور

حانة مائولى أم فايق

خليل المنزولجى جوز فهمة

المأذون دكان مرسى

نابى بيت رصوان

ابن نظلة تاجر دقيق

المؤلف فى التربة حطت ثمانية

صعیدی فی باریز	لوكانة الحاج سالم
ریا وسكينة	أختین شقایق
المجایز	جواز
زفة المطاهر	ركاب سوارس
فريحة يقبض ويحصل	تاجر خضار
تنزل على لحم الخنزير	الولادة
مراقص الزنج	البصارة
	بنات بحرى

نقد (منظومات)

ايه نابنا بعد الحروب	ناظر الوقف
الخدام	الاختلاسات
على محمد شحاته	الاكتتاب
بردون يا شعراوى	دونهارو
الإقطاع	مونبيليه
حا آجمن	شوفى لنا بنت الحلال
الرب	القاهرة فى الصيف
ستاتنا	مدارسنا ومدارسهم
القطر	بعثات
فى الطريق	محطة الإذاعة
الدواوين	الصعايدة
أعوذ بالله	دوسيهات الدواوين
الموظف	الحسن جنة لويجمع الأدب وياه
السمسار	الست الطاهرة
الطهقان	صدقة
حواديت	خير وشر

فلسفات (منظومات)

الحب	القن
الميون	الورد
يا مصر	النسوان
غاندى	المطرب
شغل الحكومة	بين القبور
العامل المصرى	عزرائيل
اللت والمعجن	يا اهل المغنى
السيارات	من كلمة هايفة
انقواكه	خسان
مسيح الخالق	الزحام
أبناء آدم	الجاهير

المقامات (منشورات . ومنظومات) وهى أكثر من مائة

المقامة القلوسية	المقامة القرشصاغية
» الرغبة	» الجنيهاتية
» العيشية	» الصندوقتية
» الشوالية	» الاقتصادية
» الحجابية	» البيجامية
» الليلية	» الاسفنجية

المقامة الفلسفية

- » السرية
- » البربرية
- » الريفية
- » الزيبية
- » الأفوكاتية
- » الأفندية
- » النحاسية
- » الترموائية
- » الفلوكية
- » المنصورية
- » الوطنية
- » البرلمانية
- » الفرنجية

المقامة المنبرية

- » السفورية
- » الشتائية
- » الشعرية
- » الكانونية
- » البريدية
- » الهراوية
- » الشيطانية
- » الرأسية
- » الترزية
- » اللومانية
- » الحربية
- » التحررية
- » الطابعية
- » الأمريكية

فوازير رمضان

٩٠ فزورة أذيعت في ثلاث سنوات أيام شهر رمضان .

الأغاني

مقطوعات غنائية لبعض الراقصات

- | | |
|----------------------------|------------------|
| أغاني لأم كلثوم | في الصالات |
| أغاني كانت تلقى في الصالات | أغاني لسيد درويش |
| » لفريد الأطرش | » لأسمهان |
| » لصالح عبد الحى | » لعبد الوهاب |

تحية لفنان الشعب

محمد بيرم التونسي

ما كان فنك . . هذا الفن . . بالزجل
لكنها حكمة من سائر المثل ؟
شعر . . ولكنه للشعب في لغة
مما يحدث هذا الشعب من أمل
آماله صفتها بحراً وقافية
وصفت آلامه في أنة التمل
حاربت طغيان من كانوا جبابرة
أيام شعبك ما في الشعب من رجل
وقد نفوك ، فلم تضعف لنازلة
وعشت في النفي مثل الشمس في نزل
لا البعد يمنع عننا من أشعتها
ولا الأشعة ، يا ابن الشمس ، في كل
لك البطولة . . لولا أنها أدب
قلنا الزعامة كانت منك في بطل
وعدت للنيل ، مثل النيل ، دافقة
أمواهه بحياة الشعب من أزل

شمس الأصيل قصيد لا يجود به
من عاش للشعر طول الدهر في شغل
غنى الزمان بها لحناً وقافية
شعراً من النسق الأعلى ، على زجل
وكل ما قلت من أغنية أدب
غنى الزمان به من دعوة الأزل
باق على الخلد ، يسمو بالعللا صعداً
ويستحث خطى التاريخ في عجل
يا نفحة من سماء الخلد في نغم
للخلد ألبانها من صيحة الأول
يا فيلسوفاً مضى غنى لغايته
ومن معانيه ما قد جل في المثل
لله أنت حياة كنت تبعثها
وأنت في الخلد منها أنت لم تزل
ما زلت حياً بما قدمت من عمل
وقد مضيت . . . فيا لله من عمل
تحية لك بعد المسوت نابعة
من الحياة التي خلدت في المثل

الربيع الفزالي

للمؤلف

١٩٢٢	طبع	الفنون الجميلة قديماً وحديثاً
١٩٢٣	»	بين الأطلال
١٩٣٢	»	المرأة المصرية قديماً وحديثاً
١٩٣٢	»	الزخرفة المصرية القديمة (بالاشتراك مع الأستاذ يوسف خفاجي)
١٩٣٤	»	الحب بين القلب والعقل
١٩٤٧	»	الشباب (بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ حسن إبراهيم)
١٩٤٧	»	الحرية » الناشر »
١٩٥٨	من سلسلة بلادى	الوطن العربى
»	»	القاهرة ١
»	»	القاهرة ٢
»	»	دمشق
»	»	القدس
»	»	صنعا
»	»	النيل
»	»	القيضان
»	»	سيناء
»	»	درسانت كاترين

١٩٦٠	طبع	من سلسلة بلادى	قلعة القاهرة
١٩٥٩	»	من سلسلة عالم المعرفة	فى القطار وفى السيارة
»	»	»	فى الطريق
١٩٥٨	»	دراسات مصرية قديمة	أرض المجد
»	»	(بالاشتراك مع الأستاذ زكى سعد)	
»	»	»	مصر
»	»	»	أوراق البردى
»	»	»	الجعران

تحت الطبع
الناشر

توت عنخ آمون الملك الشاب
هل أنت جميلة ؟
الشعب الضليل امرائيل
سيدنا الحسين

الناشئ

